جامعة بغداد
كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

النشاط التجاري في المغرب الاقصى
خلال (القرن ٣ -٥هـ/ ٩ -١١م)

رسالة ماجستير
تقدمت بها الطالبة

بان علي محمد البياتي

الى مجلس كلية التربية للبنات / جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة
ماجستير آداب في تاريخ المغرب الاسلامي

بإشراف
الاستاذة الدكتورة صباح ابراهيم الشيخلي

محرم ١٤٢٥هـ

آذار ٢٠٠٤م

جامعة بغداد
كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

النشاط التجاري في المغرب الاقصى
خلال (القرن ٣-٥هـ/ ٩-١١م)

رسالة ماجستير
تقدمت بها الطالبة

بان علي محمد البياتي

الى مجلس كلية التربية للبنات / جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة
ماجستير آداب في تاريخ المغرب الاسلامي

باشراف
الاستاذة الدكتورة صباح ابراهيم الشيخلي

محرم ١٤٢٥هـ آذار ٢٠٠٤م

المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

المقدمة ونقد المصادر: -

ان دراسة التاريخ الاقتصادي بجوانبه المختلفة ومنها النشاط التجاري ترصد لنا مستوى التطور الحاصل في بنية المجتمع العربي الاسلامي والاسباب الكامنة فيه فضلا عن كونها اتجاها متميزا في الدراسات التاريخية الاخرى التي تلتقي جميعها في ابراز معالم حضارتنا العربية الاسلامية.

ان دراسة النشاط التجاري في بلاد المغرب عامة والمغرب الاقصى خاصة في عصور الازدهار الاسلامي لازالت تعاني نقصا واضحا باستثناء ما قدمته بعض الدراسات الاقتصادية الجادة من موضوعات وفصول تخص النشاط التجاري مثل دراسة الحبيب الجنحاني الذي تناول المغرب الاسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين الثالث والرابع الهجريين مركزاً في دراسته على قضايا اقتصادية معينة وكان من بينها النشاط التجاري لبعض المدن كسجلماسة واودغشت. وكذلك دراسة عز الدين موسى المعنونة بـــ(النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري) حيث ضمنها فصلاً تفصيلياً عن التجارة في ايام المرابطين والموحدين.

ان النقص الحاصل في دراسة النشاط التجاري في المغرب الاقصى كان السبب الاساس في اختياري هذا الموضوع وضمن فترة محددة (من القرن ٣-٥هـــ/٩-١٠م) وهي فترة مفعمة بالاحداث والتغيرات السياسية وغيرها من الصعوبات التي يواجهها الباحثون بصورة عامة اهمها صعوبة الحصول على المصادر والمراجع التي تخص موضوع بحثنا. وكم حاولنا الاتصال بالباحثين والاساتذة الافاضل في بلاد المغرب لمساعدتنا بما عندهم فيما يخص موضوعنا فلم يسعفنا الظرف مع الاسف.

وبعد فقد اشتملت رسالتي على أربعة فصول مع مقدمة وخاتمة. تناولت في الفصل الاول وهو فصل تمهيدي لفظة بلاد المغرب في اللغة والاصطلاح وحددت الموقع وبينت اقسامه كما اشرت الى التنوع الجغرافي والموارد المائية في المغرب الاقصى فضلا عن النشاط الزراعي وهي امور ذات تأثير واضح بالنشاط التجاري. وتضمن الفصل عرضا سريعاً للكيانات السياسية التي حكمت بلاد المغرب الاقصى خلال فترة البحث وموقف هذه الكيانات من النشاط التجاري.

وخصص الفصل الثاني لرسم شبكة الطرق التجارية الداخلية والخارجية البرية والمائية، فيما يخص شبكة الطرق الداخلية فكانت طرقاً برية رئيسة واخرى فرعية ربطت مناطق ومدن المغرب الاقصى تجارياً. اما المائية فقد كانت محدودة الاستخدام.

اما الشبكة الخارجية فكانت برية وبحرية ربطت المغرب الاقصى تجارياً باتجاهات مختلفة شمالاً وجنوباً وشرقاً. وكان للكلام عن اهم المراكز والمدن التجارية نصيب في هذا الفصل ايضا.

وعالج الفصل الثالث قضية الصادرات والواردات من والى المغرب الاقصى فحدد الاقليم والاقطار التي صدر واستورد منها تجار المغرب الاقصى وسمينا انواع السلع والبضائع المتنوعة التي دخلت في قائمتي الاستيراد والتصدير من منتجات زراعية ومصنعات وثروات طبيعية يضاف الى ذلك سلع وبضائع مصدرة يعاد تصديرها كما لم ننس الكتابة عن التبادل التجاري بين مدن ومراكز المغرب الاقصى اكدنا ان ما يفيض عن الحاجة في مدينة او مركز ما يصدر الى حيث النقص والحاجة اليه وبذلك وجدنا تكاملاً اقتصادياً يعود الفضل فيه الى النشاط التجاري الواسع بالدرجة الاولى.

اما الفصل الرابع فالاهتمام فيه كان موجهاً للتعرف على الاسواق والنظم التجارية المستخدمة في المغرب الاقصى فوضحنا انواع الاسواق وعرجنا في الكلام عن العاملين فيها فضلا عن الاهتمام بطرائق التعامل التجاري الداخلي والخارجي وموضوع العملة وانواعها والاوزان والمكاييل والاسعار والضرائب واخيرا الاشراف على الاسواق.

واستعنا في كتابة هذه الرسالة على جملة من المصادر والمراجع والبحوث والرسائل الجامعية نحاول تبين اهمها:-

اولا: كتب البلدانيين:-

١- **كتاب البلدان/اليعقوبي**، ابو العباس احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت٢٨٤هـ/٧٩٨م)، يتصدر هذا الكتاب قائمة المصادر التي استفاد منها البحث كثيرا لما احتواه من معلومات جغرافية وادارية واقتصادية عن بلاد المغرب يضاف الى ان اهتمامه بالنشاط التجاري في المغرب الاقصى وخاصة وصفه للطرق والمسالك التجارية ومحطاتها في القرن ٣هـ/٩م.

٢ -**كتاب صورة الارض/ابن حوقل** ،لابي القاسم محمد النصيبي(ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، الذي جاب اقطار المشرق والمغرب حيث زار بلاد المغرب ومن ضمنها المغرب الاقصى ومناطق افريقيا ووصل الى السودان الغربي والاندلس وغيرها، والكوفة تاجرا نجده يهتم كثيرا بوصف الطرق التجارية بصورة تفصيلية والاسواق والمراكز الواقعة على طول هذه الطرق وضمن ابن حوقل كتابه معلومات مهمة عن الثروات الطبيعية والصناعات في اقاليم بلاد المغرب ومنها المغرب الاقصى. كما نجده يهتم بالكلام على النشاط التجاري الخارجي للمغرب الاقصى خاصة مع السودان الغربي الذي زاره وكذلك الاندلس وقد افادتنا معلوماته في فصول الرسالة كثيرا.

٣- **كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك/البكري** ،ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، الذي دون فيه معلومات تفصيلية عن المغرب الاقصى في القرن (٥هـ/١١م) وتأتي اهمية هذه المعلومات من كون البكري كان معاصرا لها مثل قيام الحركة المرابطية في المغرب الاقصى واهتم ايضا بوصف طرق التجارة التي تربط بلاد السودان ببلاد المغرب عبر الصحراء ووصف بعضها وصفا دقيقيا وتفصيليا افادنا كثيرا في كتابة الفصل الثاني. كما سجل البكري قائمة باهم السلع التجارية الصادرة والواردة وعن وسائل التعامل التجاري وهي معلومات دونتها في الفصل الثالث.

٤- **نزهة المشتاق في اختراق الافاث/الادريسي،** ابو عبد الله بن محمد(٥٦٠هـ/١١٦٤م)، ويعد من المصادر المهمة التي اعتمدت عليها في البحث لما يحويه من معلومات مهمة عن الطرق والمسالك التجارية والانشطة الاقتصادية ذات العلاقة بالنشاط التجاري.

٥- **معجم البلدان/ياقوت الحموي**،شهاب الدين ابي عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، افادنا الحموي بالتعريف بالمدن والمراكز التجارية في المغرب الاقصى وباقي اقاليم المغرب وتقدير المسافات بين مدينة واخرى.

٦- **كتاب الجغرافيا/ ابن سعيد المغربي،** ابو الحسن علي(ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، وهو واحد من اعلام البلدانيين العرب في القرن ٧هـ/١٣م. وقد افدنا من مادة ابن سعيد

المغربي في الكتابة عن العلاقات التجارية بين منطقة المغرب الاقصى وبلاد السودان ولعل ما يزيد من قيمة مؤلف ابن سعيد انه اعتمد على مصادر جغرافية عديدة تعود الى القرون التي سبقته لم تصل الينا ولهذا فان معلومات ابن سعيد جاءت متميزة بالاصالة.

٧-**مسالك الابصار في ممالك الامصار/العمري**، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله(ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، وهو واحد من ابرز بلداني القرن ٨هـ/١٤م. يعد كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار من بين اشهر كتب الموسوعات العربية الاسلامية، وقد قدم لنا معلومات جغرافية واقتصادية مهمة افادت فصول الرسالة.

٨-**وصف افريقيا/ليون الافريقي**، الحسن بن محمد الوزان(ت في منتصف القرن ١٠هـ/١٦م)، يعد الرحالة والجغرافي الوزان اخر البلدانيين العرب المشهورين في العصر الاسلامي وتكمن اهمية المؤلف بالنسبة لبحثنا بما احتواه من معلومات عن التجارة والتجار في المغرب الاقصى وخصوصا عن مدينة فاس واسواقها وعن النشاط التجاري مع بلاد السودان.

<u>ثانيا: كتب التاريخ العام:-</u>

استخدمنا المؤلفات التاريخية التراثية في التعريف بالوضع السياسي في المغرب الاقصى خلال فترة بحثنا، واثر الكيانات السياسية فيه على النشاط التجاري كما افادتنا كتب التاريخ العام في سد بعض الثغرات في النواحي الاقتصادية، نذكر منها:

١-**كتاب البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ابو العباس محمد ابو عبد الله** (كان حيا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م). في الكتاب معلومات تفصيلية عن الامراء والحكام والدول التي حكمت بلاد المغرب منذ وصول المسلمين اليها وحتى نهاية الدولة الموحدية. استفدنا منها في الفصل الاول. وقدم ايضا معلومات عن النشاط التجاري في المغرب الاقصى.

٢-**كتاب الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس-ابن ابي زرع**، ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الفاسي(ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، اهتم بتاريخ مدينة فاس منذ تأسيسها وحتى ايامه فكتب عن نشأتها من قبل الادارسة ومن ثم نموها وتطورها بعدهم واهتم بوصف انشطتها الزراعية والتجارية والصناعية فوصف

المصانع ودور السك فيها، كما تكلم على سنوات الجدب والازدهار فيها وكان للنشاط التجاري نصيب في كتابه افدنا ما كتبه في رسالتنا.

٣-**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، يحوي الكتاب معلومات مهمة منها حدود المغرب الاقصى والكيانات السياسية الحاكمة وجوانب مهمة عن الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب الاقصى.

-**<u>كتب الطبقات والتراجم:</u>** اغنت هذه الكتب البحث في موضوع التجار المغاربة والتجار الوافدين على المغرب الاقصى الا وهم (الغرباء) وعن وسائل التعامل التجاري التي استخدمت، ومن هذه الكتب:

١-**طبقات علماء افريقية وتونس، ابو العرب**، محمد بن تميم القيرواني (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م). وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، القاضي عياض،ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م). وقد زودنا الكتاب بنصوص مهمة عن المشتغلين بالتجارة في المغرب الاقصى.

-**<u>كتب الحسبة والفقه:</u>**

١-**رسالة في اداب الحسبة: السقطي ابو عبد الله محمد** (عاش في ق ٥هـ/١١م)، وهو احد ابرز المهتمين بالكتابة عن الحسبة افادنا بمعلومات عن اصناف العاملين في النشاط التجاري مثل الجلاسين ومعلومات عن الضرائب ومراقبة الاسواق التجارية كانت مهمة في كتابة الفصل الاخير من الرسالة.

٢-**رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ابن عبد الرؤوف، احمد** (ت في ق ٥هـ/١١م)، زودنا بمعلومات عن صاحب السوق ووظائفه في منع الغش الذي يحدث من قبل ضعاف النفوس في الاسواق ومعلومات عن الطرق التجارية وكيفية العناية بها.

٣-**رسالة في القضاء والحسبة ابن عبدون ، محمد بن احمد**(ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، افادنا بمعلومات عن وظائف صاحب السوق خاصة ما كتبه عن النظر في الابار التي

يستخدمها التجار في طرقهم التجارية وكذلك في منع الغش الذي يحدث بالعملة وغيرها من الامور التي تتعلق بعمله.

٤-**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، الونشريسي، ابو العباس احمد بن يحيى** (ت٩١٤هــ/١٥٠٨م)، افادنا بمعلومات مهمة عن انواع المعاملات التجارية وانواع التجار في اسواق المغرب الاقصى والمراكز التجارية.

المراجع:

هذا ولقد افدنا من الدراسات والبحوث الحديثة في بحثنا فقد قرأتها بامعان وحاولت قدر الامكان الاستفادة منها في عرض رأي او اضافة معلومة لم احصل عليها من مصادرها الاصلية، وتأتي في مقدمته ما كتبه الحبيب الجنحاني في كتابه الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاسلامي وما دونه عز الدين موسى (النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري).

وفي الختام ارجو ان اكون قد وفقت في التعريف بالنشاط التجاري في المغرب الاقصى من القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة والتاسع والعاشر والحادي عشر للميلاد، وقد بذلت ما بوسعي وكل ما استطعت من جهد لتدوين هذه الرسالة مساهمة بسيطة في تدوين جانب من تراثنا الاقتصادي.

ادعو الله ان اكون قد وفقت في كل ما كتبته من غير ادعاء بالكمال وما الكمال الا لله وحده، ومن الله التوفيق.

الباحثة

الفصل الاول

عوامل نمو النشاط التجاري في المغرب الاقصى

المبحث الاول // مقدمات اساسية عن المغرب الاقصى.

المطلب الاول : المغرب في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : موقع بلاد *المغرب وحدودها.*

المطلب الثالث : اقسام بلاد المغرب.

المبحث الثاني // عوامل نمو النشاط التجاري في المغرب الاقصى.

المطلب الاول : العوامل الاقتصادية.

أ-التنوع الجغرافي.

ب-الموارد المائية.

ج- الزراعة الواسعة والمتنوعة.

المطلب الثاني : العوامل السياسية.

أ- الوضع السياسي في المغرب الاقصى واثره في النشاط التجاري.

١/الكيانات السياسية في ق ٣ هـ/٩م.

أ-بنو مدرار في سجلماسة (١٤٠-٣٤٧هـ/٧٥٧-٩٥٨م).

ب-بنو صالح.

ت-الادارسة.

٢/الوضع السياسي في ق ٤ هـ/١٠م.

٣/دولة المرابطين في ق ٥هـ/ ١١م.

ب- موقف الكيانات السياسية في المغرب الاقصى من النشاط التجاري.

المبحث الاول // مقدمات اساسية عن المغرب الاقصى.

المطلب الاول : المغرب في اللغة والاصطلاح.

ذكر ابن خلدون "ان لفظة المغرب في اصل وضعه اسم اضافي يدل على مكان من الامكنة باضافته الى جهة المشرق كذلك باضافته الى جهة المغرب"[١].

وفي الاصطلاح اطلقت كلمة المغرب على ارض تقع بعد ارض مصر وتمتد الى سواحل المحيط الاطلسي [٢]، وفي القرن ٤هـ/١٠م نجد ان ارض المغرب تتسع لتشمل ارض الاندلس ايضا فقد قال الاصطخري: "واما المغرب فهو نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شرقيه ونصف من غربيه، فاما الشرقي فهو برقة وتاهرت والسوس وزويلة، وما في اضعاف هذا الاقليم، واما الغربي فهو الاندلس"[٣]. اما المقدسي في ق ٤هـ/١٠م، فقد اهتم بوصف بلاد المغرب من الناحية الادارية من دون جعل الاندلس جزءاً منه حيث قال: "اول كور المغرب من قبل مصر برقة ثم افريقية ثم تاهرت ثم سجلماسة ثم فاس ثم السوس الاقصى"[٤].

وكذلك لم يدخل بلدانينا من اهل القرن ٥هـ/١١م وما بعده الاندلس ضمن ارض المغرب عند تحريرهم لارضها[٥].

((1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٥٩)، مج ٦، ص ١٩٣.

(2) ينظر اليعقوبي،احمد بن واضح(ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)،كتاب البلدان،(النجف،١٩١٨)،ص١٠٠،ابن خرداذبة،ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت٣٠٠هـ/٩١٢م)،المسالك والممالك،(طبعة ليدن،١٨٨٩)،ص٩١.

(3) الاصطخري، ابي اسحاق ابراهيم بن محمود(ت في النصف الاول من ق ٤هـ)، مسالك الممالك، (طبعة ليدن،١٩٢٧)، ص ٣٦، ينظر ايضا ابن حوقل، ابي القاسم محمد البغدادي النصيبي (ت٣٦٨هـ/٩٧٨م)، صورة الارض، ط٢(طبع في مدينة ليدن ابريل ١٩٦٧)، ص ٦٠.

(4) المقدسي،ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر المعروف بالبشاري (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، (طبع في مدينة ليدن،ابريل،١٩٠٩)، ص ٢١٦؛ ينظر البكري، ابي عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، (الجزائر مطبعة الحكومة ١٨٥٧)، ص٢١؛ الادريسي، ابو عبد الله محمد (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، صححه هنري بيريس، (الجزائر ١٩٥٧)، ص١٥.

(5) ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت٦٧٣ او ٦٨٥هـ/١٢٧٤-١٢٨٦م)، كتاب الجغرافيا، اسماعيل العربي، ط١(بيروت،١٩٧٠)، ص١٣٧.

المطلب الثاني : موقع بلاد المغرب وحدودها.

حاول بلدانيونا تحديد موقع بلاد المغرب وحدودها، فهذا ابن خرداذبة (في القرن ٣هـ/٩م) يجعلها في القسم الثاني من ارض المعمورة التي هي عنده اربعة اقسام(١).

اما الادريسي وابن سعيد فقد جعلا بلاد المغرب هي القسم الاول من الاقليم الرابع ضمن تقسيمها لارض المعمورة الى سبعة اقاليم ولكل اقليم عدد من الاقسام(٢).

وحدود بلاد المغرب تبدأ عند بلدانيينا من حدود مصر الغربية حيث مقاطعة برقة شرقاً وتنتهي عند سواحل المحيط الاطلسي غرباً. اما من الشمال فهي تمتد من مياه البحر المتوسط الى رمال الصحراء الافريقية(٣)، وايدهم في ذلك مؤرخونا(٤).

المطلب الثالث : اقسام بلاد المغرب.

لم يكتف كتابنا من بلدانيين ومؤرخين بتحديد موقع وحدود بلاد المغرب بل نجدهم قد قسموا هذه البلاد الى عدة اقسام هي:-

برقة وافريقية ثم المغرب الاوسط والمغرب الاقصى. وهناك بعض الاختلاف بينهم حيث نجد منهم من اخرج مقاطعة برقة من ارض المغرب(٥).

وسوف نبدأ بالكلام عن افريقية، حيث استخدم العرب المسلمون هذه التسمية منذ القرن الاول الهجري/السابع الميلادي، فعندما بدأ والي مصر عمرو بن العاص اولى الحملات العسكرية الاستطلاعية على ارض المغرب كتب الى الخليفة عمر (رضي الله عنه) قائلاً:(ان

---

(1) المسالك والممالك، ص ١٥٥.

(2) وصف افريقيا، ص١٠٥، الجغرافيا، ص ١٣٧.

(3) ينظر اليعقوبي، البلدان، ص ١٠٠، الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٢٦، ابن حوقل، صورة الارض، ص٦٠؛ المقدسي، احسن التقاسيم،ص٢١٦، البكري، المغرب في ذكر،٢١؛ ابو الفدا،عماد الدين(ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيه، رينوه(طبع في باريس ١٨٤٠)، ص ١٢٢.

(4) ينظر ابن عذارى، ابو العباس محمد (كان حيا ٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، (بيروت مكتبة صادر،١٩٥٠)، ج١ ص ٥، ابن خلدون، العبر، ج٦، ص ١٩٣-١٩٥؛ السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد الناصري(ت١٣١٥هـ)، الاستقصا لاخبار المغرب الاقصى، تح.تع. جعفر ومحمد الناصري (الدار البيضاء دار الكتاب ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، ج١، ص٧١.

(5) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،معجم البلدان (بيروت دار صادر للطباعة والنشر ١٩٥٥م)، ج١، ص٢٢٨، ج٥، ص ١٦١، ابن غالب، محمد بن ايوب (ت٥٧١هـ)، قطعة من كتاب فرحة الانفس،تح. لطفي عبد البديع، (القاهرة مطبعة مصر،١٩٥٦)، ص٣٨.

الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام)[١]، فكتب اليه عمر (رضي الله عنه) "انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة غادرة مغررة بها لا يغزوها احد مابقيت"[٢]. ولكن بعد ان تولى امرالمسلمين الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بدأت الحملات العسكرية الى اطراف افريقية بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي سرح واستمر بعد ذلك حتى تم تحرير افريقية على يد قادة العرب الاوائل في القرن ١هـ/٧م[٣].

وهكذا كانت معرفة العرب "بافريقية" التي اصبحت بعد بناء مدينة القيروان(اول مصرِ بناه العرب المسلمون في بلاد المغرب) تابعة ادارياً الى الخلافة العربية الاسلامية.

اما حدود افريقية فهي تبدأ من بعد ارض برقة وتمتد الى مدينة بجاية او مدينة مليانة[٤].اما المغرب الاوسط فيبدأ من مدينة بجاية ومليانة الى ارض المغرب الاقصى[٥]. الذي يهمنا في بحثنا هو المغرب الاقصى، فما هي حدوده؟

استخدم البلدانيون العرب كلمة اقصى بلاد المغرب واقاصي بلاد المغرب اشارة الى القسم الاخير من ارض المغرب الذي يقع على ساحل البحر المحيط (المحيط الاطلسي) [٦].

وحدود هذا الاقليم الذي "يبدأ من بلاد المغرب الاوسط الى بلاد تازا الى اخر بلاد المغرب على ساحل البحر الكبير الداخل في البحر المحيط عند مرسى ازمور طولا. اما عرضا من بلاد طنجة وسبتة الى بلاد ملوية واحوازها وحتى بلاد سجلماسة الى الصحراء اخر بلاد

---

(1) ابن عبد الحكيم، عبد الرحمن بن محمد، (ت٢٥٧هـ)، فتوح افريقيا والاندلس،تح، عبد الله انيس الطباع،(بيروت لبنان ١٩٨٧)، ص٣٣.

(2) ابن عبد الحكيم، م،ن، ص ٣٣.

(3) ينظر ابن عبد الحيكم،م،ن،ص٣٤.

(4) ينظر ابن غالب، فرحة الانفس،٣٨؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٤٦؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٢٢؛ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ)، مراصد الاطع على اسماء الامكنة والبقاع، تح. علي محمد البجاوي، ط ١(بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر ١٩٥٤)، ص١٠٠-١٠١.

(5) ينظر البكري، المغرب في ذكر، ص٧٦؛ ابن سعيد ، الجغرافيا، ص١٢٦-١٤٢؛ مؤلف مجهول، عاش سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، الاستبصار في عجائب الامصار، نشره سعد زغلول عبد الحميد(الاسكندرية مطبعة الجامعة ١٩٥٨)، ص١٧٩.

(6) ينظر اليعقوبي، البلدان، ص ١٠٠؛ الادريسي، وصف، ص ٣٥؛ الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر(ت اواسط القرن السادس الهجري)، الجعرافية، تح. محمد حاج صادق، (دمشق، ١٩٦٨)، ص ١١٣؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٢٢.

المغرب"[1]. وقد قال ابو الفدا ان "المغرب الاقصى هو من ساحل البحر المحيط الى تلمسان غربا وشرقا من سبتة الى مراكش ثم الى سجلماسة وما فيها شمالا وجنوبا"[2].

اما ابن خلدون فقد ذهب الى ان حد المغرب الاقصى من الغرب البحر المحيط (بحر الظلمات) وسمى المدن والحواضر الواقعة فيه. اما الحد الشرقي فهو ملوية الذي وصفه "بانه نهر عظيم منبعه من فوهة جبال قبلة تازى ونصب في البحر الرومي"[3]. اما حدوده الشمالية فهي البحر الرومي (البحر المتوسط) ومن الجنوب فحده "الرمال المتهيلة الماثلة حجزاً بين بلاد السودان وبلاد البربر"[4].

وبهذا رسم ابن خلدون حدود المغرب الاقصى الاربعة بدقة وتفصيل.

وظهرت في كتبنا التراثية تسميات اخرى للمغرب الاقصى وهي السوس الادنى والسوس الاقصى، وهي تسميات ادارية.

فقد ذكر ابن الفقيه (ت٣هـ/ ٩م) ان المغرب الاقصى هو "خلف طنجة السوس الادنى والسوس الاقصى.

وقد جاء هذا التقسيم في روايات الفتوح التي دونت في القرن ٣ و ٤ هـ/ ٩ و ١٠م حيث قيل ان عقبة بن نافع الفهري (اول قائد عربي مسلم حمل جيشه الى ارض المغرب الاقصى سنة ٦١-٦٢هـ/ ٦٨٠-٦٨١م) ووصل السوس الادنى والسوس الاقصى[5].

ولعل خير من تكلم على السوس الادنى والسوس الاقصى هو المقدسي في القرن ٤هـ/ ١٠م حين قسم المغرب الاقصى الى وحدتين اداريتين كل وحدة عنده (كورة)[ó] فالسوس الادنى

---

(1) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٧٩.

(2) تقويم البلدان، ص ١٢٢.

(3) العبر، ح ٦، ص ٢٠٢.

(4) ابن الفقية ، ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني (ت٢٩٠هـ)، مختصر كتاب البلدان (طبع في مدينة ليدن ابريل ١٣٠٢هـ)، ص٨١؛ وينظر المسعودي، علي بن الحسن(ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه وضبطه محمد محي الدين ،(القاهرة/ دار الرجاء للطبع والنشر،١٩٣٨)، ح١، ص ١٣٩.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص٥٩-٦٠، البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) فتوح البلدان ، عبد الله انيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧)، ص ٣٢٢؛ الرقيق القيرواني(ت في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي)، تاريخ افريقيا والمغرب)تح. المنجي الكعبي،(تونس ١٩٦٨) ، ص ٤٤-٤٨.

(ó) الكورة اسم فارسي بحت، يقع على قسم من اقسام الاستان، وقد استعارتها العرب وجعلتها اسما للاستان، كما استعارت الاقليم من اليونانيين فجعلته اسما للاستان، فالكورة والاستان واحد، قلت انا: الكورة كل صقيع

كورة ومدينة فاس هي قصبته ويضم عدداً من المدن كالبصرة وزلول وغيرها. والسوس الاقصى والقصبة مدينة طرقلة ومن مدنه اغمات وبلاد وريكة[١]، وحدد ابن ابي زرع حدود الوحدتين الاداريتين هذه فقال "السوس الادنى وحدة من وادي ملوية الى ام الربيع وهي اخصب بلاد المغرب واعظمها "اما" السوس الاقصى فمن جبل درن الى بلاد نول"[٢].

يشتمل على عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قصبة او مدينة، ونهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة، كقولهم: دار ابجرد مدينة بفارس لها عمل واسع يسمى ذلك العمل بجملته كورة دارا بجرد، وغولهر الملك فانه نهر عظيم مخرجه من الفرات ويصب في دجلة، عليه نحو ثلاثمائة قرية ويقال لذلك جميعه نهر الملك وكذلك ما اشبه ذلك الحموي، معجم البلدان، ح١، ص ٣٦-٣٧.

(1) احسن التقاسيم، ص ٢١٩-٢٢٠.

(2) ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط دار المنصور للطباعة ١٩٧٢)، ص ١٩.

المبحث الثاني // عوامل نمو النشاط التجاري في المغرب الاقصى.

المطلب الاول : العوامل الاقتصادية.

أ- التنوع الجغرافي.

تتكون ارض بلاد المغرب عموماً من سلاسل جبلية وهضاب تتخللها وديان وتمتد هذه السلاسل من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي متوازية بوجه عام. وفي المغرب الاقصى ، موضوع اهتمامنا، نجد اكبر واعلى هذه السلاسل الجبلية وهو جبل درن(اطلس الكبرى)(١)، وفي شماله جبال صنهاجة(اطلس الوسطى) الذي تحف به هضاب مراكش والى الشمال من جبال صنهاجة نجد غمارة (اطلس الريف)(٢)، والى الجنوب من جبال درن توجد سلسلة جبلية صحراوية (اطلس الصغرى)(٣). والميزة التي يتميز بها المغرب الاقصى عن الاوسط والادنى ان هضابه التي تتخللها الجبال العالية تمتعت بكمية امطار كبيرة وان الصحراء بعدت عن اراضيه(٤)، وهذا بالطبع يجعل اراضي المغرب الاقصى اكثر وفرة للمياه وبالتالي اكثر قابلية للزراعة التي يعتمد عليها النشاط التجاري كما سنرى.

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص١٠٢؛ ينظر ابن قنفذ، ابو العباس احمد حسين القسطيني(ت٨١١هـ/١٤٠٧)، انس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره محمد الفاسي وأدولف فور، (الرباط ١٩٦٥)، ص٦٤.

(2) ينظر الدناصوري وصادق وغلاب، جمال الدين، دولت احمد، ومحمد السيد، جغرافية العالم دراسة اقليمية،(القاهرة وطبع ونشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٩)، ص١٢٥.

(3) ينظر مجهول المؤلف، الاستبصار، ص١٩٠-١٩١؛ وعن السلاسل الجبلية ينظر الجوهري ، يسرى عبد الرزاق، شمال افريقية(دراسة في الجغرافية الاقليمية)،(الاسكندرية، بلات)، ص٢٦٠، بن عبد الله ، بن عبد العزيز، الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية،(الرباط ١٣٦٩هـ/١٩٧٦م)، ص٣٨.

(4) الدناصوري واخرون، م، ن، ح٢، ص ١٧١-١٧٢.

كما لا ننسى ان نشير الى ان المغرب الاقصى يمتلك واجهتين بحريتين الشمالية مطلة على البحر المتوسط والغربية مطلة على المحيط الاطلسي، ومن المؤكد ان امتلاكه لسواحل طويلة في الشمال والغرب ساعد على تلطيف المناخ اولا، كما ساعدت هذه السواحل على تنشيط التجارة البحرية كما سنرى.

ب-الموارد المائية.

تنوعت موارد الثروة المائية في المغرب الاقصى فمنها- الامطار التي تميزت بكثرتها وعدم انتظامها[١]. ثم الانهار التي كونتها سلاسل الجبال في المغرب الاقصى. فالواجهة الغربية المطلة على المحيط الاطلسي تتميز بوفرة الانهار التي تصب في المحيط الاطلسي، التي تسقي السهول الساحلية الواسعة في هذا الاقليم بحيث اصبحت هذه السهول من اهم المناطق الزراعية في المغرب الاقصى.

فضلاً عن استخدام الانهار وسائط لنقل البضائع والسلع التجارية بين مناطق المغرب الاقصى والى موانئه التجارية[٢].واهم هذه الانهار هي:-

وادي سبو[٣]، وادي تنفست[٤]، وادي ام الربيع[٥]، وادي بورفرق[٦]، وادي درعه[٧].

اما الواجهة الشمالية المطلة على البحر المتوسط فاهم الانهار فيها هو وداي ملوية[٨]، الذي يعد الحد الفاصل بين المغرب الاقصى والمغرب الاوسط.

---

(1)دولت احمد واخرون، جغرافية العالم، ح٢، ص ١١٦-١١٨.

(2) ينظر حول ذلك الطرق النهرية.

(3) ينظر الزهري، الجعرافية،ص١٤٠؛ ابن سعيد، الجغرافيا،ص١٣٨؛ الحميري محمد بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ)،الروض المعطار في خبر الاقطار،تح. احسان عباس(بيروت طبع في دار القلم لبنان١٩٧٥)،ص٦٠٦.

(4) ابن سعيد، م، ن، ص ١٢٣-١٢٥؛ الوزان ، الحسن بن محمد(ت٩٦٠هـ)،وصف افريقيا، تر.محمد حجي ومحمد الاخضر، ط٢(بيروت دار الغرب الاسلامي ١٩٨٣)، ح٢، ص ٢٤٥؛ الصحاف،مهدي محمد، الموارد المائية السطحية في القطر المغربي، (بغداد ١٩٨٥)، ص ٤٤.

(5)الزهري،الجعرافية،ص١٤٠؛ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٣٧؛الحميري،الروض،ص٦٠٥؛الوزان،م، ن،ح٢، ص٢٤٧.

(6)الوزان،م،ن،ح٢،ص٢٤٧؛الفاسي،محمد،التعريف بالمغرب،(مصر ،١٩٦١)،ص١٤؛الصحاف،م، ن، ص٤١.

(7)الزهري، م، ن، ص ١٤٠؛ الحميري،م،ن،ص٦٠٦؛ الصحاف،م،ن،ص٤٦.

(8)الزهري، م، ن، ص ١٤٠؛ ابن سعيد، م، ن، ص١٤٠؛ الوزان، م، ن، ح٢، ص٢٥٠؛ الفاسي، م،ن،ص٥؛ علي، اسماعيل، النخبة الازهرية،(مكان وسنة الطبع بلا)، ح٣، ص٢٩٧.

ومن الموارد المائية العيون التي نفذها الانهار والامطار منها العيون في فاس[١]، ومدينة سجلماسة[٢] واسفي[٣]، وهكذا فان امتلاك المغرب الاقصى لهذه الثروات المائية مكنه من قيام نشاط زراعي واسع يدعم النشاط التجاري بالسلع والمنتجات كما سنرى.

ج- الزراعة الواسعة والمتنوعة.

ذهب الحبيب الجنحاني الى ان هناك سمة مميزة لنشاط الاقتصاد في بلاد المغرب ابتداء من القرن ٣هـ/٩م. تمثل في ثنائية: الفلاحة – والتجارة[٤]، ونحن بدورنا نؤيد هذا الرأي ذلك لان الكثير من المنتجات الزراعية، لا سيما الفائضة عن حاجة منتجيها اصبحت بضائع اساسية في قائمة التبادل التجاري الداخلي والخارجي[٥].

واذا ما علمنا ان الانتاج الزراعي في المغرب الاقصى كان واسعاً ومتنوعاً، سوف يتضح لنا حجم التبادل التجاري المعتمد على الانتاج الزراعي.

ففي مصادرنا التراثية ما يؤكد على ان الانتاج الزراعي كان واسعا في المغرب الاقصى، فالقمح والشعير كان يزرع في الغالبية العظمى في مدن المغرب الاقصى، كطنجة[٦]، وفاس[٧]، وسجلماسة، التي كانت تزرع عاماً وتحصد ثلاثة اعوام"[٨]، وذلك لان البذور المتساقطة من

---

(1) الادريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تح،محمد حاج صادق،(باريس ١٩٨٣)، ص٩٤؛ الحموي، معجم البلدان، ح٤، ص ٢٣٠؛ ابن سعيد،م،ن، ص ١٤٠؛ القزويني،زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ)، اثار البلاد واخبار العباد، (بيروت دار صادر بلا ت)،ص١٠٢؛ الحميري، م،ن، ص٤٣٤؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٢٤؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ح٣، ص١٠١٤؛ ينظر مجهول المؤلف، قطعة من كتاب الجغرافية ، محفوظ في دار المخطوطات تحت رقم ٢١٨١، رقم الورقة ٧.

(2) البكري، المغرب في ذكر، ص ١٤٨.

(3) القلقشندي، احمد بن علي (ت٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الاشا، شرح وتعليق نبيل الخطيب، ط١(بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨٣)، ح٥، ص ١٦٨-١٦٩.

(4) الجنحاني، الحبيب، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاسلامي(٣-٤هـ/٩-١٠م)، (تونس الدار التونسية للتوزيع ١٩٧٧)، ص١٣؛ ينظر الجنحاني،"نظام ملكيةالارض في المغرب الاسلامي"، مجلة المؤرخ العربي، ع٢٣،(بغداد، ١٩٨٣،) ص٣٠.

(5) ينظر فصل الصادرات والواردات.

(6) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٩.

(7) الادريسي،وصف، ص ٥٠؛الحميري، الروض،ص ٣٣٤؛ الوزان، وصف،ح١، ص ٢٠٧؛ السنوسي محمد علي(ت١٢٧٢هـ)، الدرر السنية في اخبار السلالة الادريسية،(مطبعة الشباب مصر ١٣٤٩هـ)، ص٧١.

(8) ابن حوقل، م،ن، ص٩١؛ ينظر الحميري، م،ن، ص ٣٠٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى،ح٥، ١٥٩.

عملية الحصاد تدخل في تشققات الارض فتنتج حباً ويقول عن هذا الناتج انه حباً لا يشبه الحنطة والشعير ويسمى سلتاً وهو الشعير الابيض لا قشر له وقيل هو نوع من الحنطة والاول اصح"[١]، ومن مدن المغرب الاقصى التي تنتج القمح والشعير ايضا اغمات[٢] ومراكش[٣]، ومنطقة السوس الاقصى[٤].

وهناك انواع اخرى من الحبوب كالدخن والذرة تزرع في مدن المغرب الاقصى[٥].

كما امتاز المغرب الاقصى ببساتين الفواكه وهذا يرجع لوفرة المياه فيها سواء الانهار والعيون والامطار، ولدينا في مصادرنا ما يدلل على ذلك، فمدينة نكور في الشمال كثيرة البساتين وبها الكمثرى والتفاح[٦]،وطنجة بها انواع من الفواكه مثل العنب والكمثرى[٧]، وفاس في وسط المغرب الاقصى تميزت بكثرة البساتين والجنات لوفرة مياه العيون فيها ولوجود نهر

---

(1) الزبيدي، محمد مرتضى (ت١٢٥٠هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس،تح. ح١٦ محمود علي الطناجي مراجعة مصطفى الحجازي وعبد الستار احمد(الكويت، ١٩٧٦)، ح١٦،ص٥٦٤-٥٦٥.

(2) الوزان ،وصف، ح١، ص ١٢٦.

(3) الوزان،م،ن،ح١،ص١٢٢؛وينظر رابح،عجنق،السياسية الداخلية لدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين ٤٥٤-٥٠٠ هـ/١٠٦٢-١١٠٦م،رسالة ماجستير جامعة قسطنطينية، الجزائر،١٩٨٠-١٩٨١،ص٩٩.

(4) الادريسي، م،ن، ص٣٩؛ الوزان، م،ن،ح١، ص ١١٥.

(5) اليعقوبي،البلدان،ص١١٦؛ المقدسي،احسن التقاسيم،ص٢٣١؛ ابن رستة،ابو علي احمد بن عمر(ت٢٩٠هـ)،الاعلاق النفيسة،(ليدن،١٨٩١)،ص٣٩٥.

(6)البكري،المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٠٩؛الحميري،الروض،ص٥٧٧.

(7)البكري،م،ن،ص١٠٩؛مجهول،الاستبصار،ص١٣٩؛ابو الفدا،تقويم البلدان،ص١٥٩؛العمري،احمد بن علي بن فضل الله(ت٧٤٩هـ)،مسالك الابصار في ممالك الامصار،يصدره فؤاد سزكين(المانيا معهد تاريخ العلوم العربية جامعة فرانكفورت١٩٨٨)،ج٤،ص٩٢؛القرماني،ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي(ت١٠١٩هـ)،اخبار الدول واثار الاول في التاريخ،(بيروت،ب.ت)،ص٤٦٢.

فاس يسقيها[١]، وفيها انواع مختلفة من الفواكه كالعنب، والتين، والخوخ، والسفرجل، والاترج والتفاح[٢]، ومدينة بصرة المغرب تميزت بالبساتين[٣].

اما سجلماسة ففيها الاعناب والفواكه المتنوعة[٤]، ومدينة مراكش تميزت بكثرة البساتين[٥]، ووصفها ابن سعيد "واكثر الناس فيها وقد كثر وخمها"[٦]،اما السوس الاقصى فان الفواكه فيه قليلة وتوجد به انواع من الرمان والاترج والمشمش[٧].

اما الاشجار المثمرة التي تنتج الجوز واللوز فنجدها في اغمات[٨]، وفي السوس الاقصى[٩].

ويزرع الزيتون في مناطق السوس الادنى كمدينة مكناسة الزيتون وسميت به لكثرته فيها[١٠].

كما نجد التمور في سجلماسة وقد تميزت بوفرة انتاجها له وبانواع مختلفة[١١]، ونجد التمور في السوس الاقصى حتى كانت احمال التمور كما ذكر البكري تباع "بدون كراء الدابة من

---

(1) ابن حوقل، صورة الارض، ص٨١؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ص٩٥؛ ابن القاضي،احمد بن محمد (ت١٠٢٥هـ)، جذوة الاقتباس في ذكر من من الاعلام بمدينة فاس، (الرباط،دار المنصور للطباعة والوراقة،١٩٧٣)،ج١،ص٤٤.

(2)البكري، المغرب،ص١١٦؛ مجهول، الاستبصار،ص١٨١؛ الزهري، الجعرافية، ص١١٥؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب،ص٤٣-٤٤؛ الحميري، الروض،ص٤٣٤؛ الجزنائي، ابو الحسن علي(ت٧٥٠هـ)، جني زهرة الاس في بناء فاس، (الرباط،دار الملكية،١٩٦٧)،ص٣٦.

(3)ابن حوقل،م،ن،ص٨٠؛الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٤٤٠.

(4)ابن حوقل،م،ن،ص٩١؛ المقدسي، احسن التقاسيم،ص٢٣١؛ مجهول،م،ن،ص٢٠١؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٣٧.

(5)الادريسي،م،ن،ص٤٤؛ القزويني،اثار البلاد،ص١١١؛ ابو الفدا،م،ن،ص١٣٥.

(6)الجغرافيا،ص١٢٥.

(7)الادريسي،وصف افريقيا،ص٣٩؛ الزهري،الجعرافية،ص١١٨،مجهول،م،ن،ص٢١١.

(8)ابن حوقل،م،ن،ص٩١؛الحموي،م،ن،ج١،ص٢٢٥.

(9)الادريسي،وصف،ص٣٩؛الزهري،م،ن،ص١١٨؛مجهول،م،ن،ص٢١١.

(10)الزهري،م،ن،ص١١٥؛ابن سعيد،م،ن،ص١٤١؛الحميري،الروض،ص٥٤٤؛القرماني،اخبار الدول،ص٤٨٩.

(11) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٩١؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٢٣١؛ الادريسي، وصف، ص ٣٨؛ مجهول، الاستبصار، ص ٢٠١.

البستان الى السوق"[1]، لكثرة وجود النخيل في المنطقة. وفي مدينة سجلماسة يوجد بها انواع متعددة من التمور واشار الادريسي الى ذلك"التمر لا يشبه بعضها بعضاً وفيها الرطب المسمى بالبرني وهو اخضر جدا وحلاوته تفوق كل حلاوة ونواه صغار في غاية الصغر"[2].

اما محصول قصب السكر فان زراعته كانت في سبتة[3]، واغمات[4]، كما تميزت منطقة السوس الاقصى بوفوة انتاجها[5].

وكان محصول القطن من محاصيل مدن البصرة[6]، وتادلة[7]، وسلا[8].

وهكذا لا بد من القول ان الانتاج الزراعي الواسع والمتنوع للمغرب الاقصى كان وراء النشاط التجاري فيه، لذا فان مقولة الحبيب الجنحاني التي سبق ان اشرنا اليها وهي: ثنائية الفلاحة-والتجارة هي سمة للنشاط الاقتصادي في بلاد المغرب ابتداءً من القرن ٣هـ/ ٩م وما بعده ليس رأياً مبالغاً فيه.

المطلب الثاني : العوامل السياسية.

أ- الوضع السياسي في المغرب الاقصى واثره في النشاط التجاري.

مما لاشك فيه ان النشاط التجاري لاية منطقة وفي اي مكان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع السياسي لتلك المنطقة، لذا سوف نحاول ان نتعرف على وضع المغرب الاقصى سياسياً خلال فترة بحثنا الممتدة من القرن ٣هـ/٩م- ٦هـ/١٢م.

١-الكيانات السياسية في القرن ٣هـ/٩م.

أ-بنو مدرار في سجلماسة (١٤٠-٣٤٧هـ/ ٧٥٧-٩٥٨م).

---

(1) البكري، المغرب في ذكر، ص١٦٢.

(2) وصف افريقيا، ص ٣٨.

(3) العمري، مسالك الابصار، ح٤، ص ٩١؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ح٥، ص ١٥٢.

(4) ابن حوقل، م،ن، ص٩١.

(5) البكري، المغرب، ص ١٦١؛ الادريسي،م،ن، ص ٣٩؛ مجهول ،الاستبصار، ص ٢١١-٢١٢؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٢٣.

(6) ابن حوقل،م،ن، ص٨٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق،ص ١٨٦.

(7) الادريسي، وصف، ص ٥٠.

(8) الوزان، وصف، ح١، ص ٢٠٨.

لقد اسست مدينة سجلماسة(ó)، بحدود عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م، على يد عيسى بن مزيد الاسود، يقول عنه البكري "كان صاحب ماشية وكثيراً ما ينتجع موضع سجلماسة فاجتمع اليه قوم من الصفرية(ó ó) فلما بلغوا اربعين رجلاً قدموا على انفسهم عيسى بن مزيد وولوه امرهم فشرعوا في بنيان سجلماسة"(٤)، ووصف عيسى بن مزيد: "وكان رجلاً عاقلاً يحسن التدبير فقام بامرهم وعمر البلاد وانتفعت به العباد"(٥). ومن ذلك يتضح لنا انه ذو عقل راجح وشخصية قوية آهلته ليكون حاكماً لمدينة سجلماسة. انتهت حياة مؤسس المدينة بالقتل، وسبب ذلك كما ذكر البكري انه"انكر اصحاب الصفرية عليه اشياء فقال ابو الخطاب يوماً لاصحابه في مجلس عيسى السودان كلهم سراق حتى هذا واشار الى عيسى فاخذوه وشدوا وثاقه الى شجرة في رأس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض... ووليهم خمسة عشر عاماً"(٦). وتولى بعد عيسى الحكم ابو القاسم سمغو بن مزلان، وبقي في الحكم الى ان توفي في سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م، وبعد ذلك تولاه ابنه المنتصر اليسع وخلع في سنة ١٧٤هـ/٧٩١م(٧)، وتولاه اليسع بن ابي القاسم الحكم في سجلماسة بعد ان خلع اخاه في سنة ١٧٤هـ/٧٩١م، وحكم الى سنة ٢٨٢هـ/٨٢٣م(٨)، وبعد وفاته تولى ابنه مدرار الحكم من سنة ٢٠٨-٢٥٣هـ/٨٦٧م(١)، وفي

(ó) سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان في مقطع جبل درن في وسط رمل، القزويني، اثار البلاد، ص ٤٢.

(ó ó) الصفرية: وهم اتباع عبد الله بن الصفار واليه النسبة، قيل سموا بذلك لصفرة وجوههم من كثرة العبادة وهذا ضعيف، ابن الصغير؛المالكي،(ت٢٨١هـ)، اخبار الائمة الرستميين وسيرهم،تح.تع.محمد ناصر وابراهيم بحاز(دار الغرب الاسلامي،١٩٨٦)، هامش ٢، ص ١٠٨. واختلفوا في تسميتهم فقال قوم: سموا بابن الصفار، وقال اخرون، واكثر المتكلمين عليه هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم، المبرد، محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)، الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف (اخبار الخوارج)،(دار الفكر الحديث-لبنان ، د،ت)، ص٧٨؛ وعن عقائد الخوارج: ينظر ابن حزم، ابي محمد علي بن احمد (ت٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط١ (مطبعة التمدن، ١٣٢١هـ)، ح٤، ص ١٨٨-١٩١.

(4) المغرب في ذكر، ص ١٤٩.

(5) ابو محلي، ابو العباس احمد بن عبد الله السجلماسي، (ت١٠٢٢هـ/١٦١٤م)، التعريف بمدينة سجلماسة، مخطوط في الخزانة الملكية في الرباط تحت رقم٢٦٣٤.نسخة مصورة للدكتورة صباح الشيخلين رقم الورقة١.

(6) البكري، المغرب في ذكر، ص ١٤٩.

(7) ينظر البكري، م،ن، ص ١٤٩-١٥٠؛ وينظر ابو محلي، التعريف (مخ)، ورقة ٢.

(8) ينظر البكري، م،ن، ص ١٥٠؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ح٥، ص ١٦٠.

اثناء حكم مدرار تنازع ولداه على الحكم وتقاتلا ثلاثة اعوام ومال مدرار مع ابنه ميمون بن الرستمية فاخرج ميمون بن ثقية ولده الثاني من سجلماسة وولى ابن الرستمية وخلع اباه ثم قام عليه اهل سجلماسة فخلعوه واردوا تقديم ميمون بن ثقية فابى ان يتأمر على ابيه فاعادوا اباه مدراراً .... فخلعوه وقدموا ابنه ابن ثقية وهو المعروف بالامير فلم يزل والياً الى ان مات سنة ثلاث وستين ومائتين"(٢).

وبعد ذلك استمر حكم بنو مدرار لمدينة سجلماسة الى سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، وانتهت هذه الامارة على يد قائد بني عبيد جوهر الصقلي، وكان اخر امرائها هو الشاكر لله الذي توفي في سجنه برقادة في القيروان(٣).

ب-بنو صالح(*).

بنو صالح في مدينة نكور على البحر المالح(**)، التي اسسها وبناها هو سعيد بن ادريس ابن صالح بن منصور الحميري(٤)، وقد اشار اليعقوبي اليها قائلاً: "ومملكة صالح بن سعيد الحميري مسيرة عشرة ايام في عمارات وحصون وقرى"(٥)، وهي بين نهرين احدهما نكور وبه سميت المدينة(٦).

---

(1) ينظر البكري، م،ن، ص ١٥٠؛ القلقشندي،م،ن، ح،ص١٦٠.

(2) البكري، م، ن، ص١٥٠.

(3) عن دولة بني مدرار ينظر، ابن عذراي، البيان،ح١،ص٢١٥-٢١٦؛ ابن خلدون، العبر، مج٦،ص٢٦٧-٢٧٣؛ السلاوي، الاستقصار، ح١،ص ١٢٣-١٢٧؛ السيد عبد العزيز،سالم،السيد عبد العزيز، المغرب الكبير(الدار القومية للطباعة والنشر الاسكندرية،١٩٦٦)،المغرب الكبير، ص٥٨٣-٥٨٩؛ بن عبود، تاريخ المغرب، ح١، ص٩٥؛ حمود، وفاء، مدينة سجلماسة دراسة في تاريخها السياسي من القرن ٢هـ/٨م، وحتى القرن ٥هـ/١١م، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب جامعة الكوفة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٠-٩٢؛ مؤنس، حسين، فجر الاندلس،ط١(القاهرة،١٩٥٩)، ص ١٨٦-١٨٧.

(*) وصالح كما يقول البكري هو المعروف بالعبد الصالح وهو الذي افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك ودخل ارض المغرب في الافتتاح الاول، المسالك والممالك، ص ٩١؛ وينظر ابن عذاري البيان، ح١، ص٢٤٦.

(**) مدينة بالمغرب بقرب مليلة وهي مدينة كبيرة بينها وبين البحر نحو عشرة اميال، الحميري، الروض، ص٥٧٥.

(٣) البكري، م، ن، ص ٩١.

(٤) البلدان، ص ١١٤؛ وينظر ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص ٣٥٧.

(٥) ابن عذاري، م، ن، ح١، ص ٢٤٧.

وسقطت هذه الامارة على يد الفاطميين عام ٣٠٥هـ/٩١٧م، ودخل مصالة بن حبوس قائد الفاطميين المدينة فاستباحها وقتل سعيد بن صالح واخرين وبعث برؤوس القتلى الى عبيد الله الفاطمي في القيروان وكل من تمكن من النجاة عبر الى الاندلس ونزل مالقة وبجاية[١].

ان وجود امارة (بنو صالح) في منطقة الريف(بلاد غمارة) وكون عاصمتهم واقعة على البحر المتوسط لا بد انه اتاح لسكان هذه الامارة من ممارسة التجارة البحرية اولا. كما ان نكور كانت مركزاً تجارياً يقع في الطريق الساحلي، كما سنوضح في كلامنا عن الطرق، وهذا يعني اهتمام حكامها وسكانها بالتجارة والعمل على تنشيطها.

ت -الادارسة: -

بعد واقعة فخ[ő] قرب مكة في عام ١٦٩هـ/٧٨٦م، هرب ادريس بن عبد الله [őő] من الحجاز متخفياً نحو مصر وبصحبته مولاه راشد، واشار البكري الى وصول ادريس مع راشد الى مصر "فخرج به (اي ادريس بن عبد الله براشد) وكان عاقلاً شجاعاً .. ذا حزم ولطف في جملة الحاج منحاشا عن الناس بعد ان غير لبسه والبسه مدرعة وعمامة غليظة وصيره كالغلام يخدمه.. حتى دخلا مصر"[٢]، ومن مصر خرجا مع

---

(٦) البكري، م، ن، ص٩٥-٩٦؛ ابن عذاري، م، ن، ح١، ص٢٤٧-٢٥٢.

(ő)اشار الطبري،محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)،تاريخ الرسل والملوك،ط١(بيروت،دار الكتب العلمية،١٤٠٧هـ)، الى انه في احداث عام ١٦٩هـ/٧٨٦م،خرج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب المقتول في بفخ"،ح٤،ص٥٩٦؛ وعرف الحموي واقعة فخ،بفتح اوله وتشديد ثانيه.ويوم فخ كان ابو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن بن ابي طالب خرج يدعو الى نفسه في ذي القعدة سنة ١٦٩هـ/٧٨٦م،وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة وخرج الى مكة فلما كان بفخ لقيته جيوش بني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وغيره فالتقوا يوم التروية سنة ١٦٩هـ/٧٨٦م،معجم البلدان،ح٤،
ص٢٣٧.

(ő ő)افلت ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب عليه السلام،من وقعة فخ في خلافة الهادي فوقع الى مصر،الطبري،م،ن،ص١١٨؛ ينظر: الذهبي،شمس الدين محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر،تح.ابو هاجر محمد السعيد (دار الكتب العلمية،بيروت،بلا ت)،ح١، ص١٩٧.

(١) المغرب في ذكر، ص ١١٨؛ ينظر ايضا، ابن ابي زرع، الانيس المطرب،ص ١٩.

القوافل المتجهة الى بلاد المغرب" فركب ادريس مع راشد حتى اذا قربا من افريقية تركا دخولها وسارا في بلاد البربر حتى انتهيا الى بلاد فاس وطنجة"[١].

ولو لم يكن راشد بهذه المواصفات التي اشار اليها المؤرخون لما استطاع ان ينجو بادريس ويوصله الى ابعد نقطة عن عين الخلافة العباسية ويستمر ابن ابي زرع واصفا مسير ادريس "فلم يزالا على ذلك حتى وصلا الى مدينة تلمسان، فاستراحا بها اياماً ثم ارتحلا عنها نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادي ملوية ودخلا السوس الادنى"[٢]، ولم يقيما في طنجة الا اياماً، فرحل ادريس مع مولاه راشد الى مدينة وليلى وكانت مدينة وليلى قاعدة جبل زرهون، وهي ارض "خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لها سور عظيم من بنيان الاوائل .... فنزل بها ادريس (رضي الله عنه) على صاحبها اسحاق بن محمد الاوربي فاقبل عليه اسحاق واكرمه وبالغ في بره، فاظهر له ادريس امره وعرفه نفسه فواقعه في حال وانزله معه في داره"[٣]، وكان ذلك في عام ١٧٢هــ/ ٧٨٨م، فبايعه اهل مدينة وليلى[٤].

وقد وصلت اخبار ادريس الى العباسيين، وقيل انهم دبروا امر قتله فمات ادريس مسموماً في عام ١٧٧هــ/٧٩٣م[٥].

تاركاً زوجته كنزة بنت عبد الحميد الاوربي حاملاً فولدت ولداً كان شديد الشبه بابيه فسمي ادريس.

وعني راشد بتربيته وتعليمه وما ان شب حتى بايعته القبائل في وليلى اميراً عليهم[٦].

قام ادريس الثاني[ó] بتثبيت اركان الامارة الادريسية فبنى عاصمة لها هي مدينة فاس، وبسبب ما تمتع به من مكانة بين قبائل المغرب الاقصى لنسبه الشريف والتفاف اهل المغرب الاقصى حوله، وتمكن من توجيه جهوده الى نشر الاسلام والحضارة العربية الاسلامية في تلك

---

(٢) البكري ، م، ن، ص ١٩.

(2) الانيس المطرب، ص ١٩.

(3) م، ن،ص ١٩.

(4) م، ن، ص ٢٠.

(5) ينظر البكري، المغرب في ذكر،ص١١٩؛ابن ابي زرع،م،ن،ص٢٣؛ الجزنائي،جني زهرة الآس،ص١٥.

(6) ابن ابي زرع، م، ن، ص ٢٤-٢٥.

(ó) هو ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابو القاسم ثاني ملوك الادارسة في المغرب الاقصى ولد في وليلى ١٧٧هــ/٧٩٣م..وتوفي في ربيع سنة ٢١٣هــ/ م، بالغا من العمر ٣٦ عاما،ابن قنفذ، ابو العباس احمد(ت٨١٠هــ/ م)،الوفيات، تح.عادل نور ط١(١٩٧١)،ص١٦٣-١٦٤.

المنطقة بل مد سلطته الى الصحراء الغربية حيث اصبحت وحدة ادارية تابعة للادارسة وكذلك وصلت حدود مملكة الادارسة الى بلاد السودان الغربي الى مملكة زاغي بن زاغي كما يقول ابن خرداذبة(١). وكان للاستقرار الذي تمتعت به الامارة الادريسية وسعة حدودها، قد مكنها من الاهتمام ببناء اقتصاد قوي مهتمة بمظاهر الحياة الاقتصادية المختلفة ومنها التجارة كما سنرى(٢).

استمرت الامارة الادريسية وعاصمتها فاس حتى نهاية القرن ٣هـ/ ٩م، حين سقطت بايدي الجيش العبيدي(الفاطمي) (٣).

٢-الوضع السياسي في ق ٤هـ/١٠م.

شهدت بلاد المغرب الاقصى في هذا القرن فترة من الاضطرابات السياسية، من سقوط عواصم الكيانات السياسية بايدي سلطة بني عبيد (الفاطميين) لمدة نصف قرن من الزمان(٤)،

---

(1) ينظر المسالك والممالك، ص ٨٩.

(2) عن حكم الادارسة ينظر ابن الخطيب،لسان الدين(ت٧٧٦هـ/ م)،تاريخ المغرب في العصر الوسيط،القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام،تح.احمد العبادي ومحمد الكتاني(الدار البيضاء،١٩٦٤)، ص١٨٨-٢١٢؛ ابن خلدون، العبر، مج ٤،ص٢٣-٣٦؛ ابن ابي دينار،ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم(ت١١١٠هـ،١٦٩٨م)،المؤنس في اخبار افريقيا وتونس، تح.محمد شمام،ط٣،(تونس،١٩٦٧)، ص١٠٢-١٠٣؛ السلاوي، الاستقصار، ص١٦١-١٦٤؛ البزيوي، لابي عبد الله محمد بن محمد، دول الاسلام بالمغرب الاقصى، مخطوط بالمجمع العلمي العراقي، تحت رقم ١٣١٣، الاوراق، ص١٣-١٥-١٧-٢٠؛ العربي،الصديق بن،كتاب المغرب،مطبعة الامينة،ط٢،(الرباط،١٩٥٦)،ص٩؛ حقي، احسان،المغرب العربي،دار اليقظة العربية،(بلا ت)،ص٣٩-٤٧.

(3) اشار ابن ابي زرع الى سقوط فاس في عام ٣٠٥هـ/٩١٧م، الانيس المطرب، ص ٨٠؛ وخالفه ابن خلدون في ذلك واشار الى انه نهايتهم كانت في عام ٢٩٢هـ/٩٠٤م، تاريخ ابن خلدون، ح٤، ص٢١؛ زغلول،سعد ، تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصور الاستقلال،(الناشر المعارف بالاسكندرية،١٩٧٨)، ح٤، ص ٤٢١-٤٦٤، ينظر العبادي،احمد مختار،((السياسية المالية للفاطميين))، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مدريد، (ع١-٢، المجلد الخامس، ١٩٥٧)، ص١٩٧-٢٢٠.

(4) عن الفاطميين ينظر ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص ١٨٨-٢١٢؛ ابن خلدون، العبر، مج٤، ص ٢٣-٣٦؛ المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ)،اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين،تح.جمال الشيال،(القاهرة،١٩٤٨)،الفاظ الحنف باخبار الائمة الفاطميين، ص ٧٤-١٦٤؛ القرماني، اخبار الدول، ص ١٨٩-١٩٤؛ السلاوي، الاستقصا، ح١، ص ٦١-١٦٤، ص ١٩٨-١٩٩؛ بروفنسال،مؤلف مجهول، نخب

وما تبع ذلك من ظهور امارات مستقلة كامارة برغواطة في سهل تامسنا[1]، والامارة الزناتية في سجلماسة[2]، والامارة المغراوية في فاس[3].

وبالرغم من التجزئة السياسية التي عاشتها بلاد المغرب الاقصى الا انه لم يفقد النشاط التجاري حيويته ودليلنا على ذلك ان مراكز التجارة وطرقها ظلت عاملة ونشطة[4].

٣-دولة المرابطين في ق ٥هـ/١١م.

يعود تأسيس دولة المرابطين الى قبائل صنهاجة الصحراويين البدو الملثمين[5]. وقد اسلمت قبائل صنهاجة في القرن ٢هـ/٨ م، على ايدي الادارسة[6].

وعاشت قبائل صنهاجة في الصحراء عيشة قاسية ضنكى، ولذا فقد اتجهوا في القرن ٣هـ/٩م، الى التفكير في تحسين حالهم، فاجتمعت خمس قبائل صنهاجية هي: لمتونة وجدالة ومسوفة وهسكورة وجزولة، وكونت اتحاد صنهاجي صحراوي هدفه تحسين احوالهم الاقتصادية واعطيت رئاسة هذا الاتحاد الى شيخ قبيلة لمتونة. وكان اول عمل قام به هذا

تاريخية جامعة لاخبار المغرب الاقصى،تح.ليفي بروفنسال،(باريس،١٩٤٨)، ص٢٦-٢٨، مؤنس،حسين، معالم تاريخ المغرب والاندلس،(القاهرة،مطابع المستقبل،١٩٨٠)، ص ١٣١-١٣٤؛ برونار،رابح،المغرب العربي،ط٢،(الجزائر،١٩٨١)، ص ١٥٧-١٨٤.

(1) ينظر ابن حوقل، صورة الارض،ص٦٥؛ البكري،المغرب في ذكر، ص١٣٤-١٤١؛ ابن ابي زرع، روض القرطاس،ص١٣٣؛ مؤلف مجهول،الفه سنة ٧١٢هـ/١٣٢١م،نبذة تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى"منتخبة من كتاب مسمى مفاخر البربر"،اعتنى بنشره ليفي بروفنسال،(الرباط،١٩٣٤)، ص ٤٧١.

(2) ابن عذاري، البيان، ح١، ص٣٦٢-٣٦٦؛ ابن ابي زرع، م،ن، ص١٠٢-١١٤؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب، ص١٥٣-١٦٦؛ ابن خلدون، العبر، مج٦، ص٣١٧-٣٣٤؛ القلقشندي،صبح الاعشى، ح٥،ص٨٠-١٨٣.

(3) ابن ابي زرع،م،ن،ص٨٣-٨٧؛ ابن خلدون،م،ن،ح٦،ص٢٧٣-٢٨٧؛ القلقشندي،م،ن،ح٥،ص١٧٧-١٧٩؛ وعن الوضع السياسي ينظر زينب،نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس، ط١(بيروت دار الامير ١٩٩٥)،ص١٩٨-١٩٩.

(4) ينظر فصل الطرق والمراكز التجارية.

(5) البكري، م،ن،ص١٦٤؛ مؤلف مجهول(من ق٨هـ/١٤م)،تح.سهيل زكار،(الدار البيضاء،١٩٧٩)، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، ص ١٧-١٨؛ ابن الاحمر،ابو الوليد اسماعيل بن يوسف(ت٨١٠هـ) بيوتات فاس الكبرا، (الرباط،١٩٧٢)، ص٢٧.

(6) البكري، المغرب في ذكر، ص ١٦٨.

الاتحاد هو تكوين جيش توجه لمدينة اودغشت والسيطرة عليها وطرد عاملها السوداني الذي كان تابعاً الى مملكة غانة السودانية وتكمن اهمية اودغشت من كونها المحطة التجارية السودانية المهمة الواقعة على الطريق التجاري للقوافل الصحراوية الذي يربط المغرب الاقصى بالسودان الغربي عبر الصحراء، وبذلك تمكنوا من تحسين حالهم نوعاً ما، واستمر هذا الاتحاد حتى بداية القرن ٥هـ/١١م، حيث انتقلت رئاسته من قبيلة لمتونة الى جدالة، فاصبح الشيخ يحيى بن ابراهيم الجدالي رئيساً للاتحاد وتصفه المصادر بانه انسان تقي فرغب في الحج[١]، وفي طريق عودته من مكة التقى بمدينة القيروان بالفقيه ابي عمران الفاسي، فسأله الفقيه عن الاسلام وتعاليمه عند قبائل صنهاجة الصحراوية، فشعر يحيى بمدى جهلهم بقواعد الدين الاسلامي ونظمه وهذا ما جعله ان يطلب من الفقيه ان يرسل معه احد طلبته لتعليم صنهاجة الصحراء مبادئ الاسلام الصحيحة ولما لم يستطع ابو عمران تلبية طلب الشيخ الجدالي، لامتناع الطلبه عن الذهاب ارسله الى شخص اسمه وجّاج بن زلو اللمطي في منطقة السوس في المغرب الاقصى لمساعدته. كان وجاج صاحب مدرسة للفقه المالكي تسمى "دار المرابطين" وفي دار المرابطين وجد الشيخ يحيى الجدالي من اجاب طلبه فقد وافقه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي الذهاب للصحراء وتعليم الصنهاجيين الاسلام الصحيح وهكذا بدأت رحلة ابن ياسين في الصحراء.

لقد تمكن ابن ياسين باستخدام القوة من تعليم قبائل صنهاجة الصحراء ما اراده لهم من مبادئ الشريعة ثم دربهم تدريباً عسكرياً واليه يعود الفضل في ان جعل منهم قوة قادرة على الانبثاق السياسي والاقتصادي والعقائدي. ولابد من الاشارة الى ان عبد الله بن ياسين لم يتول اي منصب قيادي بل ظل معلمهم وفقيههم ومقاتلاً معهم[٢].

ففي منتصف القرن ٥ هـ/ ١١م، اندفع الصنهاجيون الصحراويون بقيادة يحيى بن عمر اللتوني اميرهم وعبد الله بن ياسين فقيههم الى مدينة سجلماسة، واشار البكري الى ذلك قائلاً: "وغزا المرابطون[٥] مدينة سجلماسة بعد ان خاطبوا اهلها ورئيسهم مسعود بن وانودين

---

(1) البكري، م.ن، ص ١٦٥؛ وينظر ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٢٣-١٢٤. ابن الاحمر، بيوتات فاس، ص٢٧-٢٨.

(2) ينظر البكري، المغرب في ذكر بلاد، ص ١٦٥-١٦٩.

(٥) المرابطين: وسماهم (ابي عبد الله بن ياسين بالمرابطين من صبرهم ورباطهم عليه، ينظر ابن الاحمر، بيوتات فاس، ص ٢٩.

المغراوي فلم يجيبوهم الى ما ارادوا فغزوهم في جيش عدته ثلاثون الف جمل سرج فقتلوا مسعودا واستولوا على مدينة سجلماسة"[١]، وساروا بعد ذلك الى اغمات وتامسنا وتادلة وقاتلوهم وتمكنوا منهم[٢].

وفي الشمال (المغرب الاقصى) استمر الصنهاجيون في جهادهم العسكري، وفي معركة مع قبائل برغواطة التي تسيطر على سهل تامسنا (السهل المطل على المحيط الاطلسي في المغرب الاقصى) استشهد الفقيه عبد الله بن ياسين "ولم يقتل عبد الله بن ياسين حتى استولى على سجلماسة واعمالها والسوس كله واغمات ونول والصحراء"[٣].

وبعد موت عبد الله بن ياسين[٤] قام ابو بكر بن عمر اللمتوني اخو الامير يحيى بن عمر يقود الصنهاجيين، ونجح فعلا في ذلك، ثم بدأ الصنهاجيون بضم مختلف مدن وقرى المغرب الاقصى لسلطتهم، حتى وصلوا الى فاس واتخذوها مقراً لهم للانطلاق الى اكمال عملياتهم العسكرية وبينما انشغل ابو بكر والصنهاجيون في فتح المدن وصلت الاخبار من الصحراء ان نزاعاً نشب بين قبائل جدالة ولمتونة فقرر ابو بكر العودة الى الصحراء، واختار ابن عمه يوسف بن تاشفين ليكمل العمليات العسكرية في المغرب الاقصى تاركاً معه نصف الجيش الصنهاجي واخذ هو معه النصف الثاني لحل المشاكل في الصحراء[٥].

وفي الشمال قاد ابن تاشفين الصنهاجيين المرابطين من نصر الى نصر حتى سيطر على المغرب الاقصى كله، ثم سار الى المغرب الاوسط حتى وصل الى مناطق مدينة الجزائر الحالية، ومن هناك عاد فابتنى عاصمة لصنهاجة المرابطين وهي مدينة مراكش[٦] ثم بدأ بتنظيم امور الدولة من مختلف الجوانب. وفي ايامه كانت دولة المرابطين الصنهاجيين امتدت سلطتها فشملت بالاضافة الى المغرب الاقصى جزءاً من المغرب الاوسط والصحراء الغربية والسودان

(1) المغرب في ذكر، ص١٦٧.

(2) ابن الاحمر، م،ن، ص٢٩.

(3) البكري، م،ن، ص١٦٨.

(4) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ١٣٢.

(5) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ١٣٣-١٣٤.

(6) ينظر ابن الاحمر، بيوتات فاس، ص ٢٩.

الغربي (الذي كان لجهاد ابي بكر اللمتوني العسكري فيه فضل في ضمه الى سلطة المرابطين) ومن ثم الاندلس[١].

وهكذا كون المرابطون الصنهاجيون الصحراويون دولة واسعة الارجاء قوية الاركان. وكان لا بد لمثل هذه الدولة ان تعتمد على اقتصاد قوي ونشط وكان من ضمن ما اعتمدوا عليه في اقتصادهم التجارة النشطة المزدهرة داخلياً وخارجياً كما سنرى[٢].

ب-موقف الكيانات السياسية في المغرب الاقصى من النشاط التجاري.

مادامت الانشطة التجارية تمثل عصباً اقتصادياً فعالاً في حياة الكيانات السياسية، كان لا بد لهذه الكيانات من ان تقوم بدعم وتشجيع الانشطة التجارية وهذا ما فعلته الكيانات في المغرب الاقصى.

فمن اجل اقامة روابط وعلاقات تجارية متينة في داخل المغرب الاقصى وخارجه اهتمت الكيانات السياسية بالطرق والمراكز والاسواق التجارية. فقد ربطت مراكز واسواق المغرب الاقصى بشبكة من الطرق والمسالك الرئيسية والفرعية وارتبطت هذه الطرق مع المسالك والطرق الخارجية وباتجاهات مختلفة[٣]. وقد مكنت هذه الشبكة من المسالك والطرق التجار من ممارسة انشطتهم التجارية في داخل المغرب الاقصى وخارجه بل شجعتهم على ذلك. ويبدو ان استخدام الطرق التجارية في المغرب الاقصى لم ينقطع ابداً حتى في حالات الحروب والفوضى السياسية[٤].

اما عن الطرق الخارجية التجارية فكان اهتمام الحكام في المغرب الاقصى بها مبكراً. فكان ولاة بني امية وفي بدايات القرن ٢هـ/٨م، يهتمون بالطريق التجاري الصحراوي للقوافل الذي

---

(1) ينظر ابن الاحمر، م،ن، ص٣٠؛ وينظر:عمر،عز الدين ، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي،ط١،(دار الشروق،١٩٨٣)، ص٥١-٥٢؛ شباخ،يوسف، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين،تر.محمد عنان،(القاهرة،١٩٤١)، ص٦٧-٧٣.

(2) عن دولة المرابطين ينظر ابن الاثير، ج٩،ص٦١٨-٦٢١؛ ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر،(دار الكتاب اللبناني،بيروت،بلا ت)،مج١، ص٧٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٧٣-٣٨٩؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥،ص ١٨٣-١٨٥؛ بروكلمان، كارل،تاريخ الشعوب الاسلامية،نقله للعربية نبيه امين ومنير البعلبكي،ط٣(دار العلم للملايين،بيروت،١٩٦٣)، ص١٨٢-١٨٥؛ اسماعيل عثمان، (المرابطون وفضلهم السياسي)، ع٢٣٢، مجلة دعوة الحق،(المغرب، ١٩٨٣)،ص١٠٠.

(3) كما سنفصل لاحقاً في الفصل الثامي من الرسالة، ص .

(4) ينظر ابن حوقل، صورة الارض، ص ٨٣.

يربط المغرب الاقصى بالسودان الغربي من اجل تشجيع ودفع التجار لممارسة انشطتهم التجارية عبره، فقد حفر هؤلاء الولاة ثلاث آبار على طول الطريق التجاري الصحراوي هذا لتوفير الماء للقوافل التجارية، وفي هذا يذكر البكري[١] "حتى نصل الى رأس المجابة الى البير المسماة تزامت بير معينة غير عذبة وهي الى الملوحة اقرب قد انيطت في حجر صلد من عمل الاول ويزعم قوم ان بني امية صنعتها وفي الشرق منها بير تسمى بير الجمالين وعلى مقربة منها ايضا بير تسمى ناللي كلها غير عذب".

اما بنو مدرار الصفرية في سجلماسة ومن اجل دعم النشاط التجاري مع السودان الغربي وعلى الطريق الصحراوية التجارية المؤدية الى غانة، نجدهم يجعلون من عاصمتهم سجلماسة محطة لانطلاق القوافل التجارية التي تستخدم هذه الطريق وعبر الصحراء في السودان[٢]، وبهذا ضمنوا وصول سلع السودان اليهم وفي مقدمتها ذهب السودان الذي دعم اقتصادهم بقوة.

اما الادارسة فانهم شيدوا في الصحراء مركزاً ادارياً لهم وهي مدينة تامدلت حكمها امير ادريسي[٣]. ولا تكمن اهمية هذا الانجاز سياسياً واقتصادياً فقط، بل تمثل دعماً وتشجيعاً للنشاط التجاري بين بلاد المغرب الاقصى وبلاد السودان عبر الصحراء، لا سيما اذا ما عرفنا ان جزءاً من السودان الغربي كان تابعاً ادارياً الى سلطة الادارسة.

اما المرابطون فان سلطتهم السياسية الواسعة على الصحراء والسودان جعلت الطريق الصحرواي الغربي من انشط الطرق التجارية في القرن ٥هـ/١١م. ان مثل هذا الاهتمام لا بد انه قوى العلاقات للمغرب الاقصى التجارية باتجاه الجنوب.

لم يقتصر اهتمام الكيانات السياسية في المغرب الاقصى باتجاه الجنوب بل نجدهم قد اقاموا علاقات تجارية باتجاه الشمال والشرق ايضا، فيما يخص الاولى نجد ان حكام نكور من بني صالح الحميرين استغلوا موقع عاصمتهم على طريق التجارة البرية فشجعوا التجارة مع بلاد الاندلس، ثم استغلوا علاقاتهم التجارية القوية هذه لتمتين علاقاتهم السياسية مع الحكام الامويين في الاندلس[٤].

---

(1) المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص ١٣٦.

(2) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٩٥؛ البكري، المغرب، ص١٥١.

(3) ينظر اليعقوبي، البلدان ،صم،ن،ص١٦٣.

(4) ينظر البكري، م،ن،ص١١٢.

لقد ارتبط المغرب الاقصى بالاندلس بعلاقات تجارية مستمرة بفعل العلاقة المكانية بينهما، فالقرب المكاني بين ارض المغرب الاقصى وارض الاندلس[١]، شجعت ووثقت هذه العلاقة، ناهيك عن الارتباط السياسي بينهما، فالادارسة كانت لهم علاقات سياسية وثيقة مع الاندلس الاموية في القرن ٤هـ/١٠م[٢]، وقد جعل المرابطون الاندلس جزءاً من منطقة سيادتهم في القرن ٥هـ/١١م[٣]. وهذا شجع التجار على ممارسة انشطتهم التجارية بين المغرب الاقصى والاندلس.

اما باتجاه الشرق حيث المغرب الاوسط والادنى ومصر والمشرق الاسلامي، فان الكيانات السياسية في المغرب الاقصى عملت على تعزيز علاقاتها التجارية بهذا الاتجاه. فحكام بني مدرار الصفرية، قد عملوا على اقامة علاقات تجارية مع الامارة الرستمية الاباضية في تاهرت (في المغرب الاوسط) حيث ارتبط الاثنان بعلاقات عقائدية وسياسية باعدِّهما من الخوارج بل نجد ان كتب الخوارج تؤكد على ان الائمة الاباضية والصفرية مارسوا التجارة بانفسهم[٤] تشجيعاً لحركة التجارة.

ومن الجدير بالذكر ان العلاقة التجارية بين مصر والمغرب الاقصى قد توثقت بعد اندثار الطريق التجاري الذي يربط مصر بمناطق غانة في السودان الغربي في القرن ٤هـ/١٠م،وانتقال النشاط التجاري للتجار المصريين المشتغلين بالتجارة مع بلاد السودان وغيرهم الى سجلماسة في المغرب الاقصى من اجل استخدام الطريق التجاري الصحراوي الغربي. وبهذا اصبحت سجلماسة مركزاً تجارياً كبيراً، فقدم اليه التجار من العراق ومن اليمن ومن سائر البلدان[٥].

كما لا ننسى ان نشير الى ان العلاقات السياسية المتينة بين المرابطين حكام المغرب الاقصى في القرن ٥هـ/١١م والخلافة العباسية في بغداد[٦]، كان لا بد ان يدعم النشاط

---

(1) ينظر ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٣٩؛ والفدا، تقويم البلدان، ص١٣٢-١٣٣.

(2) ينظر البكري، المغرب، ص ١١٢.

(3)

(4) ينظر ابن الصغير، الائمة، ص٣٦-٣٧.

(5) ابن حوقل، صورة الارض، ص٦١.

(6) ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرا، ص٣٠.

التجاري في اقصى الخلافة في المشرق عبر شبكة تجارية واسعة ربطت المغرب الاقصى بالمشرق.

ان دعم الكيانات السياسية في المغرب الاقصى للنشاط التجاري الداخلي والخارجي لم يقتصر على ما ذكرناه اعلاه، بل نجد ان اهتمامهم بتوفير الامن والاستقرار في بلادهم لا بد ان يشجع التجار والتجارة[١]، وحتى في حالات الفوضى السياسية (الحروب بين بعض الكيانات) في المغرب الاقصى نجد ان التجارة بين مراكزه في الاسواق لم تنقطع ابداً[٢].

ولم تكتف الكيانات السياسية بتوفير الامن والاستقرار بل تعداه الى الاهتمام بالعملة المسكوكة وعيارها ومنع الغش والتلاعب فيها[٣]. وعدم فرض ضرائب باهضة على الانشطة التجارية[٤]، كما سنفصل لاحقاً.

وهكذا فالحديث عن موقف الكيانات السياسية في المغرب الاقصى من النشاط التجاري طويل وله أوجه كثيرة فقد شجع هذا النشاط الاقتصادي لادراكهم اثر ذلك في توجيه سياساتهم وحاجتهم لتحقيق الاستقرار ودعم قوتهم السياسية وفي ضوء ذلك نستطيع ان ندرك مدى كثافة النشاط التجاري في المغرب الاقصى الذي سنطلع عليه في الفصول القادمة.

---

(1) الشيخلي، صباح "تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر" ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، (بغداد، ١٩٨٤)، ص٣٠-٣٨.

(2) ابن حوقل، م،ن، ص٨٣.

(3) يراجع الفصل الرابع، حول العملة المغربية.

(4) يراجع الفصل الرابع، مادة الضرائب.

الـفـصل الـثـانـي

اولاً: الطرق الداخلية.

لقد ضم اقليم المغرب الاقصى شبكة واسعة من الطرق والمسالك الداخلية بين مختلف مدنه الصغيرة والكبيرة وكذلك القرى، وساعدت هذه الطرق على ازدهار النشاط التجاري الداخلي.

وهي تنقسم الى طرق برية ونهرية وكما يلي:

أ-الطرق البرية: توجد شبكة من الطرق بين مدن اقليم المغرب الاقصى وهي كالآتي:

اولا/ الطرق بين فاس ومدن المغرب الاقصى.

١.طريق فاس-سبتة.

وصف البكري[١]، مراحل هذا الطريق قائلا: "من سبتة الى دمنة عشيرة مرحلة[٤]، ثم يستمر الطريق ويصل الى موضع يعرف بالكنيسة. وهي "قرية مفيدة على ظاهر لكتامة"[٣]، ويسير الطريق في اراضي قبيلة كتامة ووصف البكري بلدهم "بلد للزرع والضرع"، ثم الى الحجر المعروف بحجر النسر وتفترق الطريق من الحجر طريق يسير باتجاه الغرب نحو مدينة انتس، ويصفها البكري بانها "مدينة صالحة كثيرة الخير"، ويسير طريق اخر الى مدينة تشونس "وهي مدينة اولية عليها سور صخر كبير اهله كثيرة المياه والثمار"، ويكون السير مجاورا لنهر واولكس[٤]، الى مفنس ومنها الى زهجوكة ثم الى مدينة بجاجين "وهي جيدة مفيدة على نهر عذب بها جامع واسواق وحمام"[٥]،وهذه المدينة تقع على نهر سوسق وهو نهر كبير كنهر قرطبة[٦]، وبعد ذلك يسير الطريق الى مدينة اصاوه "فيها اثار للاول ذات اعناب واشجار كثيرة وهي بقبلي يجاجين بينهما ستة اميال"[٧]، ثم تاتي مجاز الخشبة على وادي ورغة وهنا نجد قرى كثيرة "شبهة بالمدن ثم قرى متصلة اكبرها فرزاوة بني حصين"[٨]، ويستمر البكري بوصف الطريق الذي يسير الى "قلعة ورطيطة ثم فحص على ثم قرية خندق سد رواغ يفترق من هناك الطريق الى كلتي عدوتي فاس"[٩].

---

(1) المسالك والممالك، ص١١٣.

(٤) المرحلة: المقصود بها المسافة التي كان يقطعها المسافر في نحو (٢٥)ميلا ويبدو ان المرحلة هي غير اليوم اذ وردتا كثيرا ولو كانت التسمية تعطي معنى واحد لكان المؤرخون والجغرافيون قد اكتفوا بواحدة، اما مرحلة او يوم، ينظر ابن الشباط، صلة السمط، ١٣٠،الحاشية٩.

(3) م،ن،ص١١٤.

(٤) نهر واولكس: يجري من الشرق الى الغرب في اراضي كتامة ينظر البكري، المسالك والممالك،ص١١٤.

(5) م،ن،ص١١٤.

(6) البكري،م،ن،ص١١٤؛ ويذهب البكري الى ان مدينة يجاجين من بلد جنيازة.

(7) البكري، م،ن،ص١١٤.

(8) البكري،م،ن،ص١١٤.

(9) البكري،م،ن،ص١١٤.

وقدر البكري مسافة هذا الطريق الذي يربط سبتة بفاس ب"ستة ايام"[١]، اما الادريسي فقد قدره ب"سبع مراحل"[٢]. وعند الحموي فان الطريق من فاس الى سبتة يستغرق عشرة ايام[٣].

وهناك طريق ثاني يربط فاس بسبتة والذي رسمه البكري ويبدأ من سبتة الى بتطاوان ثم افتس وبعدها يرتبط بالطريق الاول بنفس المراحل وصولا الى فاس[٤].

٢-طريق فاس –طنجة.

يصف البكري[٥]، هذا الطريق مبتدءا من مدينة طنجة فيقول "من مدينة طنجة الى قلعة ابن خروب مرحلة"، ووصف البكري بـــ"مدينة كبيرة على ظاهر لها ثمر وشجر وهي كثيرة الزرع والضرع وهي لكتامة من بطون مصموردة"، ويمر الطريق على دمنة عشيرة وبعدها يمر على عدة قرى ويصل الى قصر ونهاجة وهذا القصر "هو على تل وتحته نهر عظيم وفيه اثار للاول"[٦]، ثم يستمر الطريق الى مدينة البصرة وهي "مدينة كبيرة واسعة وهي اوسع تلك النواحي مرعا واكثرها ضرعا ولكثرة البانها تعرف ببصرة الذبان"، ومن مدينة بصرة المغربية الى نهر ردات مرحلة "وهو في اصل جبل وفي اعلى الجبل مدينة كرت"[٧]، ومن مدينة كرت يسير الطريق الى "موضع حناوة.. وهي قرى كثيرة عامرة ومنه الى قرية صغيرة على نهر عظيم يسمى سبوا مرحلة ومنه الى مدينة فاس مرحلة".

٣-طريق فاس-البصرة المغربية.

ترتبط مدينة فاس بالبصرة المغربية بطريق قدره الاصطخرب بثمان مراحل[٨]، بينما يذكر المقدسي ان طوله ستة مراحل[٩]. وتكلم البكري عن مراحل هذا الطريق بين فاس والبصرة، وقدر طوله باربعة مراحل قائلا: "من مدينة البصرة الى نهر ردان مرحلة ثم الى مدينة كرت ثم موضع حناوة ثم الى قرية صغيرة على نهر سبو ثم الى فاس مرحلة"[١٠].

---

(1) البكري،م،ن،ص١١٥؛ وينظر يوسف كمال،المجموعة الكمالية،القسم الثالث،٣٨٤.

(2) وصف افريقيا، ص٥٣.

(3) معجم البلدان،ح٤،ص٢٣١. ووافقه ابو الفدا في ذلك،تقويم البلدان،ص١٢٣.

(4) م،ن،ص١١٥.

(5) المسالك والممالك، ص١٠٩.

(6) م،ن،ص١١٠.

(7) م،ن،ص١١١.

(8) مسالك الممالك، ص٤٦.

(9) احسن التقاسيم، ص٢٤٧. وينظر يوسف كمال،المجموعة، القسم الثالث، ص٢٨٤.

(10) م،ن،ص ١١١.

وقدر ياقوت الطريق بين فاس والبصرة المغربية "مسيرة اربعة ايام"[١]، بينما ذهب الحميري الى ان الطريق ب"مرحلتين"[٢]. ان هذا الاختلاف في التقديرات ربما يعزى الى ان هناك عدد من الطرق منها قصير ومنها طويل كانت تربط فاس بالبصرة وهذا ما يشير الى اهمية كلا المدينتين في النشاط التجاري الداخلي في المغرب الاقصى.

٤-طريق فاس-مكناسة وسلا.

اما الطريق بين فاس ومكناسة الزيتون فقد وصفه الادريسي قائلا: "بين مدينة فاس ومكناسة ٤٠مثلا في جهة الغرب ومكناسة مدائن عدة وهي في طريق سلا والطريق اليها من فاس الى مدينة مغيلة، ومغيلة كانت قبل هذا الوقت متحضرة كثيرة التجارات متصلة العمارات وهي في فحص افيح كثير الاعشاب والخضر والاشجار والثمار وهي الان منها بقايا عمارات وخراباتها متصلة والمياه تخترق في كل جانب منها ومكانها حسن وهواؤها معتدل"[٣].

ويقدر المراكشي الطريق الذي يربط فاس ومكناسة "بمسيرة يوم تام"[٤]، يستمر الطريق بعد مكناسة الى ان يصل الى سلا على ساحل المحيط الاطلسي وطول هذا الطريق "اربعة مراحل"[٥].

٥-طريق فاس-مراكش.

ترتبط مدينة فاس بمدينة مراكش بطريق يستغرق عشرة ايام[٦]، ولم اجد في مصادرنا التراثية اية اشارة او تفصيلات عن هذا الطريق.

٦-طريق فاس-اغمات.

يقدر كل من الاصطخري[٧]وابن حوقل[٨](في ق٤هـ/١٠م)، طول الطريق بين مدينتي فاس واغمات بثمان مراحل من دون اعطاء وصف تفصيلي لهذه المراحل. اما البكري في ق٥هـ/١١م يسجل وصفا لطريق اطول بين فاس واغمات ذاكرا ان طوله ثمان عشرة مرحلة وبدأ بوصفه من اغمات قائلا: "من اغمات الى موضع يعرف بابواب عبد الخالق .. وهي احقان رمل مرحلة ومنها الى فحص افيح فسيح يعرف بفحص

---

(1) معجم البلدان،م١،ص٤٤٠؛ بينما في كتابه المشترك وصفا والمفترق صقعا يذكر الحموي الى ان المسافة بينهما هي ثلاثة ايام،(ليدن بريل ١٨٤٦)،ص٥٧.

(2) الروض المعطار، ص١٠٩.

(3) وصف افريقيا، ص٥١.

(4) المعجب، ص٣٥٩.

(5) نزهة المشتاق،ص٩٤.

(6) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٢٣.

(7) مسالك الممالك، ص٤٦.

(8) صور الارض،ص٩٢.

نزار.. وهو موضع مجوف مرحلة ومنه الى وادي وانيفن واد كبير ابعاثه من موضع يقال له حدود بين بلد زواغه ومدغرة ويقع في البحر المحيط"[١]، ثم يسير الطريق الى ما يسميه البكري "بالزقاق المنفوخة مرحلة ومنها الى فحص عللوا مديد واسع مرحلة ومنه الى موضع يعرف بني وارث وهو كثير شجر .. مرحلة ومنه الى بلد زواغة مرحلة"[٢]، ويصل الطريق الى حصن داي "في وسط غيضة كبيرة من احباس الشجر وله سوق حافلة يجتمع فيها رفاق فاس والبصرة وسجلماسة بضروب الامتعة والمتاجر مرحلة"[٣]، وبذلك يكون هذا الحصن مركز التقاء طرق تجارية متعددة في المغرب الاقصى، ثم يستمر الطريق الى وادي درنة وهو "نهر كبير يقع في نهر وانسيفن"[٤]، ثم الى "مغيلة مرحلة ومنها الى موضع يعرف باوز فوز مرحلة"[٥]. وقد وصف البكري سكان باوز فوز "وكان بسكتة قوم يعرفون بني موسى من بضية الاندلس"[٦]، ومن ثم الى سوق فنكور مرحلة وهو "سوق عامرة حافلة يعمل بها برانس سود لا ينفذ الماء"[٧]، ومن فنكور يستمر الطريق الى "ولها مرحلة الى كراية مرحلة الى مدينة ورزيغة مرحلة وهي اهلة .. كثيرة المياه والثمار والخير يباع فيها الف حبة اجاص بربع درهم"[٨]، ومن ورزيغة الى مدينة المبغي[ó]، مرحلة ومنها الى ماستية "بلد كبير ويحسن فيه القطن ويجود.. ومنها الى فاس مرحلة"[٩]. وهكذا قدم البكري وصفا تفصيلا للطريق الطويل الذي يربط فاس باغمات بمراحله الثماني عشر.

<u>٧-طريق فاس-سجلماسة.</u>

قدر ابن حوقل طول هذا الطريق بثلاث عشرة مرحلة[١٠]، ولكنه لم يعط اي تفاصيل او معلومات. ومرة اخرى نجد تفاصيل الطرق التي تربط فاس-سجلماسة عند البكري. وهذا يدلل على ان نشاط التجارة الداخلية في المغرب الاقصى وازدهارها كان في ق٥هــ/١١م ايام البكري.

---

(1) المسالك والممالك، ص١٥٤.

(2) المسالك والممالك،ص١٥٤.

(3) م،ن،ص١٥٤.

(4)م،ن،ص١٥٤.

(5)م،ن،ص١٥٥.

(6)م،ن،ص١٥٥.

(7) م،ن،ص١٥٥.

(8) البكري،المسالك والممالك،ص١٥٥.

(ó)المبغي: معناها حجارة يابسة لانها مبنية بالحجر بغير طين،البكري،م،ن،ص١٥٥.

(9) البكري،م،ن،ص١٥٥؛ وينظر يوسف كمال،المجموعة،القسم الثالث،ص٣٨٧.

(10) صورة الارض،ص٩١؛ وينظر يوسف كمال،م،ن،القسم الثالث،ص٢٥٣.

فمن "مدينة فاس الى مدينة صفروي[ó ó] مرحلة .. ومنها الى الاصنام مرحلة ومنها الى موضع يقال له المزي مرحلة وهو بلد مكلاتة ومنها الى تاسغمرت مرحلة وهي قرية على نهر، ثم الى موضع يقال له انغاك مرحلة نحو الستين ومنها تدخل في عمل سجلماسة بين انهار وثمار ثلاث مراحل الى مدينة سجلماسة"[١]. وذهب البكري الى وجود طريق اخر يربط مدينة فاس بسجلماسة قائلا: "من مدينة سجلماسة الى موضع يقال له ارفوه جبل موت لاعمارة حوله منه حمة مرحلة ومنه الى موضع يقال له الاحساء .. مرحلة ومنه الى حصن برارة"[٢]، هذا الحصن "عامر اهل به سوق وجامع وله جدول ماء وهو بلد يحسن فيه الغنم"[٣]، ثم يستمر الطريق ويصل الى "جبل درن المعروف بسنجنقوا .... مرجلة زمنه الى مطماطة امسكور بلد كبير على نهر ملوية وهو منه في قبيلة وهو بلد كثير الزرع سقى كله من نهر ملوية كثير البقر والغنم وبها جامع وسوق مرحلة ومنه الى موضع يقال له سوق عيسى فيه سوق ومسجد .. مرحلة ومنه الى مغيلة الى تجامان .. مرحلة وتسير منها في جبال شامخة الى مغيلة القاط"[٤]، ووصف البكري[٥] هذا الحصن ب"حصن كبير له جامع وسوق كثير الانهار والثمار معظم شجره التين"، ومن الظاهر ان هذا الحصن كان مركز لالتقاء القوافل التجارية في سوقه من اجل عرض بضائعهم هناك. ويقطع الطريق حسب وصف البكري مرحلتان الى ان يصل الى حصن مغيلة، وبعدها يستمر الطريق الى "لوانة مدين وقصبة لواتة منيعة لاترام على نهر سبوا مرحلة والى فاس". وبذلك يكون طول الطريق بين فاس وسجلماسة عشرة مراحل عند البكري. اما الادريسي [٦] فانه وصف الطريق قائلا: "الطريق على صفروي الى قلعة مهدي الى تادلة الى داي الى شعب الصفا ويشق الجبل الكبير الى جنوبه ومن هناك الى سجلماسة"، وقد قدر مراحله بثلاث عشرة مرحلة[٧]، فهذا اطول مما قدره البكري.

طريق فاس-السوس.

(ó ó)صفروي: مدينة صغيرة متحضرة فيها اسواق واكثر اهلها فلاحون وزروعهم كثية ولهم جمل ومواشي وانعام ومياههم عذبة غدقة؛ الادريسي،وصف ، ص٥٠.

(1) المغرب في ذكر بلاد،ص١٤٦-١٤٧.

(2) م،ن،ص١٤٧.

(3) م،ن،ص .

(4) المغرب في ذكر بلاد،ص١٤٧.

(5) م،ن،ص١٤٧.

(6) وصف افريقيا، ص٥١.

(7) الادريسي،وصف افريقيا،ص٥١؛ وينظر الحميري،الروض،ص٤٣٤؛ واشار ابو الفدا، ان الطريق بين فاس وسجلماسة يستغرق عشرة ايام،تقويم البلدان،ص١٢٣\؛ ينظر يوسف كمال،المجموعة الكمالية،القسم الثالث،ص٣٨٦.

اما الطريق الذي يربط بين مدينتي فاس والسوس الاقصى كما جاء عند الاصطخري فيتكون من ثلاثين مرحلة[١]، ولم نعثر في مصادرنا الاخرى عن معلومات تفصيلية تخص هذا الطريق.

ثانياً: الطريق بين سجلماسة ومدن المغرب الاقصى.

١-طريق سجلماسة-مليلة.

يقدر البكري طول هذا الطريق بخمس عشرة مرحلة ويقول عن مراحله "من سجلماسة الى الصدور.. ثم الى اجر سيف قرية عامرة على نهر ملوية الى جرواو موضع كثير ما ينزله بالاخصاص .. الى فلوع جاره وهي مدينة عامرة في جبل على ماء ملح.. الى مدينة مليلة فذلك خمس عشرة مرحلة"[٢]. وقد وصف البكري[٣] مرسى مليلة "وهو صيفي ويوازيه من بر الاندلس مرسى مدينة شلوبينة"، "مرسى مليلة ونهرها بريق في البحر"[٤].

ووصف الادريسي[٥] مليلة بانها مدينة "حسنة متوسطة ذات سور منيع وحال حسنة على البحر وكان لها قبل هذا عمارات متصلة وزراعات كثيرة ولها بئر فيها عين ازلية كثيرة الماء ومنها شربهم"، اما الوزان[٦] فوصفها قائلا: "مدينة كبيرة قديمة اسسها الافارقة على راس الخليج بالبحر المتوسط.. وقد كانت مزدهرة لانها كانت عاصمة المنطقة".

٢-طريق سجلماسة-فاس[٧].

٣-طريق سجلماسة-درعة.

وصف البكري[٨] مراحل هذا الطريق مبتدءاً "مدينة درعة..بتوقين وهي قاعدة درعة[ó]..الى مجاثت ..ثم الى تبسن مرحلة وتفسيره الماء الملح ومنه الى تنودان مرحلة وهذا كله بلد سرطة قبيل من صنهاجة ومنه الى

(1) مسالك الممالك،ص١٤٦؛ ينظر البلخي،ابو زيد احمد بن سهل(ت٣٢٢هــ)،صور الاقاليم مخطوط محفوظ في دار صدام تحت رقم ٤٠١٢٩،الذي ايضا اشار الى طريق يربط بين السوس الاقصى وفاس وبنفس المراحل التي اشار اليها الاصطخري، رقم الورقة ٣٨.

(2) المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٥٢.

(3) م،ن،ص٨٩.

(4) البكري،م،ن،ص٩٩.

(5) نزهة المشتاق،ص١٨٩.

(6) وصف افريقيا،ج١،ص٣٤١؛ ينظر يوسف كمال،المجموعة الكمالية،القسم الثالث،ص٣٨٧.

(7) ينظر التفصيل السابق عن هذا الطريق،ص١٠-١٢.

(8) المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٥٥-١٥٦.

(ó) درعة:مدينة اهله عامرة بها جامع واسواق جامعة ومتاجر رابحة وهي في شرق من الارض،البكري،المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٥٥.

تونين ان وجليد تفسيره ابار الامير مرحلة ومنه الى امان يسيدان تفسيره ماء النعام ومنه الى اجران ووشان .. ثم الى امرغاد مرحلة وامرغاد اخر بساتين سجلماسة ومنها الى سجلماسة ستة اميال"(٭).

واهتم الادريسي[1] بتقدير المسافة بين درعة وسجلماسة. حيث قال: "من مدينة سجلماسة الى مدينة درعة ثلاث مراحل". بينما اشار صاحب كتاب الاستبصار الى انه بين درعة وسجلماسة خمسة ايام[2]، لكن ابو الفدا[3] قدر المسافة بين المدينتين بمسيرة اربعة ايام. وربما يعزى هذا الاختلاف في التقديرات الى وجود عدد من الطرق بين المدينتين فاختلفت تقدير المسافات عند كتابنا التراثيين.

٤-طريق سجلماسة-اغمات.

تكلم ابن حوقل[4] في ق٤هـ/١٠م عن هذا الطريق وقدر مسافته قائلا: "ومن سجلماسة الى اغمات نحو ثماني مراحل".

لكن البكري[5] في ق ٥هـ/١١م وصف الطريق وصفا دقيقا حيث جاء عنده "من سجلماسة الى تيجمامين يومان.. ومن تيجمامين الى وادي درعة يومان..ومن واجي درعة الى موضع يقال له اذا مست ومنه الى ورزازات يومان وهو بلد هسكورة وتمشي في بلد هسكورة اربعة ايام الى منازل قبيل يقال له هزرجة .. وهناك جبل يقال له هزرجة.. ومن هناك مسافة يوم الى اغمات".

٥-طريق سجلماسة-السوس.

يبلغ طول الطريق الذي يربط مدينتي سجلماسة والسوس اثنا عشر مرحلة[6]، وهذا يدل على طول المسافة بين مدينتي ولا بد ان هذا الطريق الطويل يمر على عدد من المدن الكبيرة او الصغيرة وكذلك القرى المنتشرة على طول هذا الطريق، ولكن مع الاسف لم نجد في نصوصنا التراثية تفصيلا لذلك.

ثالثاً: الطرق بين مراكش والمغرب الاقصى.

١-طريق مراكش-فاس.

والذي تم وصفه سابقاً[7].

٢-طريق مراكش-سلا.

(٭)الميل:قال بطليموس في المجسطي الميل ثلاثة الاف ذراع بذراع الملك،والذراع ثلاثة اشبار،والشبر ست وثلاث اصبعا، والاصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها الى بعض.قال:والميل جزء من ثلاثة اجزاء من الفرسخ.وقيل:الميل الفاخطوة وثلاثمائة وثلاث وثلاثون خطوة،الحموي،معجم البلدان،ح١،ص٣٦.

(1) وصف افريقيا،ص٣٨؛ وينظر الحموي،معجم البلدان،ح١،ص٢٢٥؛ الحميري،الروض،ص٢٣٦.

(2) مجهول مؤلف،ص٢٠١.

(3)تقويم البلدان،ص١٢٩؛ وينظر يوسف كمال،المجموعة الكمالية،القسم الثالث،ص٣٨٧.

(4)صورة الارض،ص٩١؛ وينظر يوسف كمال،م،ن،القسم الثالث،ص٢٥٣.

(5)المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٥٢-١٥٣.

(6) ابن حوقل،صورة الارض،ص٩٢؛ وينظر يوسف كمال،المجموعة ،القسم الثالث،ص٢٥٣.

(7) ينظر طريق فاس-مراكش،ص٧.

وترتبط مدينة مراكش بسلا بطريق وصفه الادريسي[١] بصورة تفصلية قائلا: "ومن مدينة مراكش الى مدينة سلا على ساحل البحر تسع مراحل اولها تونين" التي وصفها بانها "قرية على اول فحص افيح لا عوج به ولا امت وطول هذا الفحص مرحلتان ويسكنه نم قبائل البربر قزولة ولمطة وصدراته"[٢].

ويسير الطريق بعد ذلك من "تونين الى قرية تيقطين مرحلة الى قرية غفسيق مرحلة، وهي قرية على اخر الفحص المذكور"[٣]، ومن قرية غفسيق يستمر الطريق الى قرية ام ربيع مرحلة وهي كما يقول الادريسي "قرية كبيرة جامعة وبها اخلاط.. واخر سكناهم مرسى فضالة على البحر المحيط الغربي وبينه وبين ام ربيع ثلاث مراحل"[٤]، ومن ام ربيع يمر الطريق على عدد من القرى منها "قرية ايحيسل مرحلة، وهي قرية حسنة .. ومن هذه القرية الى قرية انقال مرحلة.. ومن انقال الى قرية مكول مرحلة وقرية مكول على بسط ويتصل بها فحص يقال له فحص خراز"[٥]، ويقدر الادريسي[٦] طول فحص خراز "باثنا عشر ميلا"، ثم يستمر في وصف الطريق قائلا: "قرية مكول كالحص الكبير عامرة بالبربر ..ومن مكول الى قرية ايكسيس مرحلة صغيرة والطريق على فحص خراز وفي اخر الفحص واد..ومن قرية ايكسيس الى مدينة سلا مرحلة"[٧]، وهكذا يصل الطريق بين مراكش وسلا الى نهايته حيث ساحل المحيط الاطلسي.

وقدر ابو الفدا[٨] الطريق بين مراكش وسلا بعشرة ايام، وليس بتسع مراحل كما قال الادريسي.

٣-طريق مراكش-اغمات.

ترتبط هاتين المدينتين بطريق طوله حوالي ثلاثة فراسخ[٩](ó). لم نعثر على تفصيلات هذا الطريق ومراحله في مصادرنا مع الاسف.

---

(1) نزهة المشتاق،ص٨٧.

(2) الادريسي،م،ن،ص٨٧.

(3) الادريسي،م،ن،ص٨٧.

(4)نزهة المشتاق،ص٨٧-٨٨.

(5) الادريسي،م،ن،ص٨٨.

(6) الادريسي،م،ن،٨٨-٨٩.

(7) م،ن،ص٨٩-٩٠.

(8) م،ن،ص٩٠-٩١.

(9) تقويم البلدان،ص١٢٩.

(ó) الفرسخ:وقد اختلف فيه ايضا فقال قوم: هو فارسي معرب واصله فرسنك. وقال اللغويون: الفرسخ عربي محض يقال:انتظرتك فرسخا من النهار اي طويلا ..قالت الحكماء: استدارة الارض عن موضع خط الاستواء ثلاثمائة وستون درجة،والدرجة خمسة وعشرون فرسخا، والفرسخ ثلاثة اميال والميل اربعة الاف ذراع فالفرسخ اثنا عشر الف ذراع والذراع اربع وعشرون اصبعا، والاصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض. وقيل الفرسخ اثنا عشر الف ذراع بالذراع المرسلة، تكون بذراع المساحة، وهي

٤-طريق مراكش-نول لمطة[óó].

ارتبط مراكش بنول لمطة بطريق يجاز الصحراء المغربية وقدرت مسافة هذا الطريق بستة ايام[١]، هي مائة وستون فرسخا حسب قول الزهري[٢]. ولم يوضح لنا الزهري ولا غيره مراحل هذا الطريق ومحطاته.

رابعاً: الطريق بين اغمات ومدن المغرب الاقصى.

١-طريق اغمات-فاس[٣].

٢-طريق اغمات مراكش.

بين مدينتي اغمات ومراكش ثلاثة فراسخ[٤]، وهذا يدل على قرب المسافة بين المدينتين. ولم نجد اية تفصيلات اخرى عن الطريق في المصادر.

٣-طريق اغمات-درعة.

ان المسافة بين مدينة اغمات ودرعة "ست مراحل"[٥]، والطريق كما وصفه الحميري يسير في اراضي "قبيلة البربر المصامدة"[٦].

٤-طريق اغمات-سجلماسة.

يبدأ الطريق من مدينة اغمات ويستمر مسافة يوم كامل الى ان يصل الى جبل هزرجة ثم الى بلد هسكورة اربعة ايام ثم الى بلد ورزازات يومان، ومن هناك الى اذامست ثم وداي درعة وطول عمارة ويستغرق سبعة ايام وهي عمائر متصلة ويوجد فيها اسواق ويقام في الواحد سوقان ثم الى تيجمامين يومان ومن تيجامين يومان الى سجلماسة[٧].

٥-طريق اغمات-السوس.

وصف البكري[٨] هذا الطريق "من اغمات وريكة الى مدينة نفيس"، ونفيس "تعرف بالبلد النفيس كثير الانهار والثمار ليس في ذلك القطر موضع اطيب منه ولا اجمل نظرا وهي قديمة اولية غزاها عقبة بن نافع"،

الذراع الهاشميةنوهي ذراع وربع بالمرسل تسعة الاف ذراع وستمائة ذراع. وقال قوم:الفرسخ سبعة الاف خطوة،ولم ار لهم خلاف في ان الفرسخ ثلاثة اميال؛ الحموي،معجم البلدان،ح١،ص٣٥-٣٦.

(óó) نول: خره لام، واوله مضموم وثانيه ساكن مدينة جنوبي بلاد المغرب هي حاضرة لمطة، الحموي،م،ن،ص٣١٢.

(1) الزهري، الجغرافية،ص١٣٧.

(2)الجغرافية، ص١٣٧.

(3) ينظر التفصيل السابق عن هذا الطريق،ص٨-٩-١٠.

(4) الحموي،معجم البلدان،ح١،ص٢٢٥؛ ابو الفدا،تقويم البلدان،ص١٢٩.

(5) الحميري،الروض،ص٤٦.

(6) م،ن،ص٤٦.

(7) البكري،المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٥٢-١٥٣.

(8) المغرب في ذكر بلاد،ص١٦٠.

وتقطع هذه المسافة بمرحلة ويسير الطريق ويصل الى "مدينة افيفن مرحلة"، وهي "في بطحاء كثيرة المياه والفواكه"، وبعد ذلك يصل الطريق الى "تامرورت مرحلة"، ومن هذه المدينة " في جبل درن وهو جبل معترض في الصحراء"، من هذا الجبل ينزل الى بلاد السوس"(١).

ولا بد من الاشارة هنا الى وجود طرق فرعية صغيرة في المغرب الاقصى تربط بين مدينة وافري مثل مدينة بصرة المغرب ومدينة اقلام فالمسافة بينهما اقل من مرحلة، وبين مدينة تشمس وبصرة المغرب دون مرحلة(٢).

وهناك طريق يربط مدينة سبتة بمدينة طنجة قال عنه البكري(٣): "والمسلك من سبتة الى طنجة على طرق وهي مساكن قبائل مصمودة كلها"، وهو طريق ساحلي يربط بين المدينتين. وقدر ياقوت المسافة بين المدينتين بمسير واحد(٤)، وقدره الحميري(٥) ب"ثلاثون ميلاً".

وهكذا يتبين لنا ان المسافة بين المدينتين قريبة والطريق مأمونه لانه يسير في منطقة مسكونة.

ومن وصفنا لشبكة الطرق الداخلية يتضح لنا انه كان لا بد لسكان المغرب الاقصى من عمل شبكة من الطرق الداخلية رئيسة وفرعية للتبادل التجاري بين مدنه وقراه وتصريف الزائد عن الحاجة من المنتجات والسلع الى حيث الحاجة لها في هذا الاقليم.

كما يتضح مما دوناه اعلاه عن الطرق الداخلية في المغرب الاقصى ان النشاط التجاري الداخلي كان اكثر ازدهاراً في ق٥هـ/١١م.

ب-الطرق النهرية:-

يجري في اقليم المغرب الاقصى عدد من الانهار لكن هذه الانهار تعد على العموم غير صالحة للملاحة لانها تستمد مياهها من الامطار الغير ثابتة لا بموعد سقوطها ولا بنسبها ومع ذلك سخرت بعض الانهار كطرق لنقل البضائع والمنتجات من بعض المدن الداخلية الى الموانئ في الغرب الاقصى.

فقد ذكر الادريسي(٦) الى ان اهل مدينة بصرة المغرب كانوا يستخدمون "نهر سفود وهو نهر كبير عذب تدخله المراكب .. وفي هذا النهر يركب اهل البصرة في مراكبهم بامتعتهم حتى يصلوا الى البحر فيسيروا فيه حيث شاؤوا".

واستخدم اهل مدينة فاس الانهار كطرق تجارية بسبب وقوعها على نهر فاس الذي هو احد فروع نهر سبود في النهر كانت تسير "القوارب والسفن الصغار الى البحر الاعظم"(١).

---

(1) م،ن،ص١٦٠؛ وينظر الادريسي، الذي قدر الطريق بست مراحل،وصف افريقيا،ص٤٠؛ واتفق معه الحميري،الروض،ص٣٣٠؛ ويوسف كمال،المجموعة الكمالية،القسم الثالث،ص٣٨٨.

(2) ابن حوقل،صور الارض،ص٨٠.

(3) المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٠٤.

(4) الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٤٣.

(5) الروض،ص٣٩٦.

(6) وصف افريقيا،ص١٠٩؛ ينظر الشيخلي،"ابن حوقل ونشاطه التجاري"،مجلة التاريخ العربي،ص٤٨.

وهكذا استخدم اهل مدينتي البصة وفاس الطرق المائية في نقل منتجاتهم وايصالها الى موانئ في المغرب الاقصى سواء الواقعة على البحر المتوسط او المحيط الاطلسي ومن ثم نقلها الى الاسواق الخارجية حيث الطالب عليها كما سنفصل لاحقاً.

الطرق الخارجية:-

تسير من اقليم المغرب الاقصى جملة من الطرق التجارية التي ترتبط مع اقاليم ومدن بلاد المغرب الاخرى. ومصر والمشرق الاسلامي وبلاد السودان وهي طرق برية. اما الطرق البحرية فترتبطه مع الاندلس وجنوب اوربا وبلاد الشام وغيرها، وسنصف هذه الطرق مبتدأين من المغرب الاقصى وذلك لضرورة البحث.

اولاً/ الطرق البرية:

١-الطرق بين المغرب الاقصى واقليمي المغرب الاوسط والادنى.

أ-الطريق الساحلي(الجادة).

اختلف عدد من البلدانيين في بداية هذا الطريق، فابن خرداذبة[٢] اشار انه يبدأ من مدينة سبتة، ووافقه ابن حوقل[٣] في ذلك، لكن اليعقوبي[٤] ذهب الى انه يبدأ من مدينة فاس في داخل المغرب الاقصى، ثم يصعد بعد ذلك الى مدينة نكور ولهذه المدينة مراسي عديدة اشار اليها البكري[٥] "مرسى ملوية وهرك وكراط ومرسى الدار"، وهي "على البحر المالح"[٦]، (وهو ساحل البحر المتوسط). ويبدو ان مدينة نكور في المغرب الاقصى من المراكز الهامة في طريق الجادة، فمن نكور يسير الطريق الساحلي الى مدينة مليلة[ó]، ثم ارجكوك التي يصفها ابن حوقل في[٧] ق٤هــ/١٠م "على واد يعرف بتافنا وبينها وبين البحر نحو ميلين"، من الجدير بالاشارة الى ان ابن خرداذبة في ق٣هــ/م، لم يتطرق الى مدينة ارجكوك وهو يصف الطريق الساحلي المنطلق من المغرب الاقصى.

اما اليعقوبي في ق٣هــ/٩م، فقد ذهب الى ان الطريق يمر على فالوسن[ó ó]، ونمالته ويصل الى يلل التي "تقرب من البحر المالح(البحر المتوسط) مسيرة نصف يوم"[١]،واوضح اليعقوبي الى انه من مدينة يلل

---

(1) الجزنائي،جني زهرة الآس،ص٣٧؛ ينظر ابن القاضي،جذوة الاقتباس،ح١،ص٤٥.

(2) المسالك والممالك،ص٨٨.

(3) صورة الارض،ص٧٨-٧٩.

(4) البلدان،ص١١٤.

(5) المغرب في ذكر بلاد، ص٩٠.

(6) البلدان،ص١١٤؛ وينظر ابن حوقل الذي اوضح ان الطريق بعد طنجة وسبتة يمر على نكور،م،ن،ص٧٨.

(ó) مليلة: بالفتح ثم الكسر وباء تحتها نقطتان ولام اخرى: مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر، الحموي، معجم البلدان،ح٥،ص١٩٧.

(7) م،ن،ص٧٨.

(ó ó)فالوسن:وهي مدينة عظيمة اهلها بطون من البربر من مطماطة وترجة وجزولة وصنهاجة، البلدان، ص١١٤.

هناك فرع من لطريق يربط الساحل بالداخل حيث يسير الى مدينة تاهرت عاصمة الامارة الرستمية في المغرب الاوسط. والطريق الساحلي عند اليعقوبي يمر على عدد من لمراسي منها نقاوس وبلزمة وسطيف وغيرها[٢]، وهذه المراسي لم يرد ذكرها في ق ٤هـ/١٠م، عند ابن حوقل الذي اكد بالقول ان الطريق الساحلي بعد ان يخرج من ارجكوك يسير الى واسلن ثم وهران[٣]. اما عند البكري في ق٥هـ/١١م، فان الطريق الساحلي يبدأ عنده من المراسي التي على ساحل المحيط الاطلسي واولها هي "مدينة نول اخر بلد الاسلام واول العمران من الصحراء"[٤].

ويستمر البكري[٥] في وصف الساحل ويصل الى "وادي السوس الى مرسى الى مرسى امقدول وهو مرسى مشتى مأمون وهو ساحل بلاد السوس"، وبعد ذلك يمر على عدة مراسي منها مرسى فوز واسفي والبيضاء ويصل بعد ذلك الى جزيرة فضالة[٦]، ويستمر الطريق الساحلي الى ان يصل الى تابحريت وهو ساحل مدينة وجدة ووصف البكري[٧] تابحريت "وهي مدينة مسورة على ساحل البحر لها مسجد جامع متقن البناء مشرف على البحر.. وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها"، ويسير الطريق الساحلي من وجدة الى تلمسان ويقطع بنحو "ثلاث مراحل"[٨]، ومن مدينة تلمسان الى وهران "مرحلتان"[٩]. واوضح ابن حوقل انه بعد وهران يسير الطريق الى مدينة تنس "وهي من البحر على نحو ميلين على واد كثير الماء.. وهي اكبر المدن التي يتعدى اليها الاندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم.. ولسلطانها وجوه من الاموال كثيرة كالخراج والجوالي والصدقات والاعشار ومراصد على المتاجر الداخلة اليها والخارجة والصادرة والواردة"[١٠]، ومن الملاحظ ان ابن حوقل[١١] اشار الى مرور الطريق على جزائر بني مرغناي وهي "مدينة عليها سور على سيف البحر وفيها اسواق كثيرة ولها عيون على البحر طيبة". وبعدها يصل الطريق الى مدينة بونة "وهي على نحر البحر ولها اسواق حسنة وتجارة مقصودة وارباح متوسطة"[١٢]، واشار الى هذه المدينة البكري ايضا[١٣]،

---

(1) البلدان،ص١١٣.

(2) م،ن،ص١٠٨.

(3) صورة الارض،ص٧٧.

(4) المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص٨٦.

(5) م،ن،ص٨٦.

(6) م،ن،ص٨٦-٨٧.

(7) م،ن،ص٨٧.

(8) م،ن،ص٨٧.

(9) م،ن،ص٧٦.

(10) صورة الارض،ص٧٧؛ وينظر البكري الذي اشار الى المدينة، المسالك والممالك،ص٦١.

(11) م،ن،ص٧٦.

(12) م،ن،ص٥٧؛ وينظر الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٥١٢؛ ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٤٢.

(13) المسالك والممالك،ص٥٨؛ ولم يشر ابن خرداذبة واليعقوبي الى هذه المدينة.

ثم بعد ذلك يستمر الطريق الى مرسى الخرز وهذا المرسى مشهور بمعدن المرجان ذو الجودة العالية، لذا اصبح محطة تجارية[١]، وبعد ذلك يمر الطريق على طبرقة وسطفورة وهي "اقليم على البحر جليل"[٢]، ومن الجدير بالذكر ان هناك فرع من الطريق الساحلي يسير الى الداخل الى طنبة وهي كما وصفها اليعقوبي[٣] "مدينة الزاب العظمى وهي التي ينزلها الولاة.. والزاب بلد واسع"، ولم يشر ابن خرداذبة وابن حوقل والبكري الى هذا الطريق، وبين الزاب والقيروان طريق داخلي[٤]، ووصفه اليعقوبي[٥] ويستمرطريق الجادة بالاتجاه نحو تونس وهس "على بحيرة مالحة تدخلها المراكب الصغار"، واوضح البكري[٦] الى ان تونس ترتبط بالقيروان بطريق داخلي مسافته "ماية ميل او يقطع بثلاث مراحل"، واوضح ابن حرداذبة انه بعد مدنة تونس يصل الطريق الى مدينة اليسر[ó]، ومن مدينة تونس الساحلية الى سوسة "وهي مدينة على ساحل البحر المالح.. وبها دار صناعة تعمل بها المراكب"[٧]، وترتبط هذه المدينة بطريق داخلي بالقيروان[٨]، ويستمر طريق الجادة مع الساحل باتجاه كتانة[ó]، وبعدها بئر الزيتونة ويصل الى قابس[٩]، التي قال عنها اليعقوبي[١٠] بانها "على البحر المالح عامرة كثيرة الاشجار"، ويذكر ابن حوقل[١١] في ق ٥هـ/١١م ان الطريق الساحلي قبل وصوله الى قابس يمر على الجزيرة ووصفه "اقليم له مدينة تعرف بمنزل باشوا"، ثم يمر على المهدية التي انشأت في ق ٤هـ/١٠م، وهي مدينة "طيبة رفهة خصبة على نحر البحر"[١٢]، ويستمر الطريق الى مدينة

---

(1) صورة الارض،ص٧٥؛ وينظر الحموي،م،ن،ج٥،ص١٠٦.

(2) م،ن،ص٧٤.

البلدان،ص١٠٨.

(3) م،ن،ص١٠٨.

(4) الجغرافيا،ص١٤٣؛ واشار اليعقوبي الى ان الطريق الساحلي عنده يمر على سفاقس ثم تونس، وهذا خطأ، البلدان،ص١٠٧؛ وينظر ابن حوقل الذي اشار الى مرو الطريق بعد تونس وعدد من المدن الساحلية يمر على مدينة سفاقس، صورة الارض،ص٧٣-٧٠.

(5) المسالك والممالك،ص٣٧.

(6) م،ن،ص .

(ó)

(7) البلدان،ص١٠٦.

(8) البلدان،ص١٠٦.

(ó) لم اعثر في المصادر على تعريف لها.

(9) المسالك والممالك،ص٨٦.

(10) البلدان،ص١٠٤.

(11) صورة الارض،ص٧٣.

(12) م،ن،ص٧٢؛ وينظر الحموي،معجم البلدان،ج٥،ص٢٢٩-٢٣١؛ ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٤٤.

سفاقس وهي "مدينة جل غلاتها الزيتون والزيت .. وهي على نحر البحر"[١]، واتفق البكري مع ابن حوقل بمرور الطريق الساحلي على مدينة المهدية قبل وصوله الى سفاقس التي وصفها[٢] بقول "وهي محط للسفن فاذا جزر الماء بقيت السفن في الحماه واذا مدّ رجعت السفن يقصدها التجار من الافاق بالاموال الجزيلة".

يسير الطريق الساحلي بعد ذلك الى قابس[٣]، "على البحر المالح عامرة كثيرة الاشجار"[٤]، والتي ترتبط بطريق بري بالقيروان ومسافته ستة مراحل[٥]، ووصف البكري[٦] ساحل قابس بانه "مرفأ للسفن من كل مكان وحوالي قابس قبايل من البربر .. وبين مدينة قابس والبحر ثلاثة اميال".

ولا بد لنا ان نذكر هنا الى انه في ق ٣هـ/٩م اشار ابن خرداذبة واليعقوبي الى مرور طريق الجادة بعد خروجه من قابس على عدد من المدن والقرى لم يشر اليها من اتى بعدها، من هذه المدن ان يمر عليها طريق الجادة واباردخت وقصر الدرق وبئر الجمالين وسبرة[٧].

اما في ق٤هـ/١٠م فان ابن حوقل اكد الى ان طريق الجادة الخارج من قابس الى طرابلس يمر على مدينة صبرة[٨]، بينما نجد في ق ٥هـ/١١م ان طريق الجادة بين قابس وطرابلس يمر على الراشدة وقصور حسان ومغمداس[ó] كما سجل البكري[٩] ثم طرابلس[ó ó](اطرابلس) وهي "مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر اهله واهلها اخلاط"[١٠]، وان "مرساهل مأمون من اكثر الرياح"[١١]، ومن طرابلس يسير الطريق مع الساحل عند ابن خرداذبة ويمر على وادي الرمل والمحنى وبعدها ورداسا ورغوغا وتورغا وقصور حسان بن النعمان الغساني والقريتين وسرت[١٢]، والمسافة بين طرابلس وسرت عشر مراحل[١٣]، واشار ابن خراداذبة الى انه

---

(1) م،ن،ص٧٠؛ وينظر ابن سعيد،م،ن،ص١٤٤.

(2) المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص٢٠.

(3) ابن خرداذبة،المسالك والممالك،ص٨٦.

(4) اليعقوبي،البلدان،ص١٠٥.

(5) صورة الارض،ص٧٠؛وينظر ابن سعيد،م،ن،ص١٤٤.

(6) المسالك والممالك،ص١٧-١٨.

(7) المسالك والممالك،ص٨٦.

(8) صورة الارض،ص٦٨-٦٩؛ وينظر ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٤٥؛ يوسف كمال،المجموعة،القسم الثالث،ص٢٠٧.

(ó) هو يضم اقاليم على شاطئ البحر حوله اصنام،البكري،م،ن،ص٧.

(9) المسالك والممالك،ص٧.

(ó ó) يوجد بها مركز لجباية الضرائب على القوافل،ابن حوقل،م،ن،ص٦٨.

(10) البلدان،ص١٠٤.

(11) المسالك والممالك،ص٧.

(12) ابن خرداذبة، المسالك والممالك،ص٨٦.

(13) م،ن،ص٦.

بعد مدينة سرت يمر الطريق على قبر العبادي واليهوديتين وقصر العطش وسبخة منهوشا ومرقوة[١]، ثم يصل الطريق الى اجدابية[ó]، "قريبة من البحر المغربي فترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة"[٢]، وذكر البكري[٣] ان لاجدابية "مرسى على البحر يعرف بالماحور"، وان بينها وبين سرت ست مراحل[٤]، ومن اجدابية يسير طريق الجادة الى بلبد[ó ó]، ثم برسمت وسلوق وادبران وقصر العسل وملبيتة[ó ó ó]، واخيرا يصا الى برقة[٥]، "وهي على ساحل البحر المالح ولها ميناء عجيب في الاتقان والجودة تجوز فيه المراكب"[٦]، وهي مدينة "برية بحرية جبلية. وبها من التجارة وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلابا لما فيها من التجارة وعابرين"[٧].

وحدد ابن خرداذبة[٨]، بين تونس وبرقة بسبعمائة وست واربعون ميلا، بينما لم نجده يقدر مسافة الطريق بين تونس وسبتة في المغرب الاقصى. وهكذا نجد ان الطريق الساحلي الذي يربط بين المغرب الاقصى والمغربين الاوسط والادنى والذي عرف باسم طريق الجادة طويل ومسلوك فهو يمر على عدد من المراكز التجارية الساحلية المهمة كما ان له فروع تربطه بالمراكز التجارية الداخلية المغربية، ومن الطرق الساحلية الاخرى القصيرة والتي تربط المغرب الاقصى بالمغرب الاوسط طريق يربط مدينة فاس بالمغرب الاقصى وهي مدينة داخلية مع مدينة تلمسان الساحلية في المغرب الاوسط بطريق ساحلي، ويستغرق الطريق ثمانية ايام ومسافته مائة وستون فرسخا، وقد اشار اليه عدد من البلدانيين[٩].

---

(1) المسالك والممالك،ص٦؛ ولم اعثر في المصادر على تعريف لهذه المدن ولم يشر اي من البلدانيين الذين وصلوا الطريق الساحلي الى هذه المدن واحتمال تكون قد قلت اهميتها او لم يعد الطريق يمر عليها.

(ó) اجدابية: يقصد بها مركز للجباية على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان،ابن حوقل،م،ن،ص٦٧.

(2) صورة الارض،ص٦٧؛ وينظر يوسف كمال،الذي اشار الى فرع من الطريق يذهب من اجدابية باتجاه القيروان،المجموعة،القسم الثالث،ص١٣٠.

(3) المسالك والممالك،ص٥.

(4) م،ن،ص٦.

(ó ó) بلبد: بالدال المهملة في اخره: مدينة بين برقة وطرابلس، الحموي، معجم البلدان،ح١،ص٤٧٨.

(ó ó ó) لم اعثر لهذه المدن على تعريف.

(5) المسالك والممالك،ص٨٥؛ وينظر البلخي،مخ صور الاقاليم،الذي اشار الى انه من طرابلس الى برقة يستغرق الطريق عشرين مرحلة، رقم الورقة،ص٣٨؛ وينظر كتاب الاستبصار الذي اشار الى نفس الطريق الساحلي،ص١٠٩-١٣٧.

(6) البلدان،ص١٠٢. وبين برقة وبين ساحل البحر المالح (البحر المتوسط) "ستة اميال"،م،ن،ص١٠١.

(7) ابن حوقل،م،ن،ص٦٦؛ وينظر ايضا البكري،م،ن،ص٥؛ يوسف كمال،م،ن،القسم الثالث،ص٢٥٠-٢٥١.

(8) الزهري،الجغرافية،ص١٣٧؛ ابو الفدا،تقويم البلدان،ص١٢٣.

(9) وصف افريقيا،ص٥٣.

اما الادريسي فقد قدر الطريق من فاس الى تلمسان بتسع مراحل مفصلا في مراحله قائلا: "تخرج من فاس الى نهر سبوا"، ووصف الادريسي نهر سبوا ب"نهر عظيم ياتي من نواحي جبل القلعة ومن توالة ويمر حتى يحاذي فاس من جهة شرقاً[١]، ويستمر سير الطريق ويصل الى "غالتة مرحلة وهي قرية وعمارات على نهر..ومنها الى كرانطة مرحلة.. ومنها الى باب زناتة"[٢]، ويستمر سير الطريق بقرى المغرب الاقصى ويصل الى ترنانة ويصفها الادريسي ب"قلعة عليها حصن منيع ولها سوق عامرة وبها مياه كثيرة ولها جنات وكروم"[٣]، لكن الحميري يوضح لنا اكثر عن هذه المدينة بقوله انها: "مسورة على ساحل البحر كانت محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها وكان سكانها من قبائل البربر"[٤]، من هذا يتبين لنا ان ترنانة اخر المحطات التجارية المهمة في المغرب الاقصى، ثم يستمر الطريق الى تلمسان[٥].

ب - الطريق الداخلي: -

ارتبطت المدن الداخلية في المغب الاقصى بطريق داخلي يسير نحو المغرب الاوسط ومن ثم الادنى.

١ -طريق فاس - المسيلة.

وصف ابن حوقل[٦] الطريق مبتدءاً من فاس ومنهياً بالمسيلة، والسبب في ذلك على حد قوله "وقد اتيت بهذا الطريق مقلوباً لاني سلكته من المغرب الى افريقية"، ومن الواضح ان ابن حوقل التاجر عندما انطلق من بغداد الى بلاد المغرب سلط الطريق الساحلي (طريق الجادة) اما عند عودته من بلاد لمغرب فقد سلك الطريق الداخلي، والطريق هو كالاتي:

ان الطريق بعد ان يخرج من مدينة فاس بالمغرب الاقصى يسير في سهول تتخللها الوديان وهي كثيرة الزرع والبساتين ومن هذه الاودية نمالتة وترينان وملوية ومناع وتصب في البحر المتوسط[٧]، ثم يمر الطريق على جراوة ابي العيش ومليلة، وفي هذا الجزء من المغرب يسير الطريق مع لساحل حيث اشار ابن حوقل[٨] الى ان مدينة "جراوة اب يالعيش بينها وبين البحر ستة اميال"، ثم يستمر الطريق الى مدينة افكان ويصفها ب"مدينة لها ارحية وحمامات وقصور وفواكه"[٩]، ويتفرع الطريق بعد ذلك الى فرعين احدهما يسير باتجاه مدينة تاهرت على بعد "ثلاث مراحل"[١٠]، اما الفرع الاخر من الطريق فيمر على عدة قرى ومدن الى ان

---

(1) وصف افريقيا،ص٥٣.

(2) م،ن،ص٥٤.

(3) م،ن،ص٥٤.

(4) الروض المعطار،ص١٢٧.

(5) وصف افريقيا،ص٥٤.

(6) صورة الارض،ص٩٠؛ وينظر يوسف كمال،المجموعة،القسم الثالث،٢٥٣.

(7) م،ن،ص٨٨-٨٩.

(8)صورة الارض،ص٨٩.

(9) م،ن،ص٨٩.

(10) م،ن،ص٨٩؛ وينظر الشيخلي،ابن حوقل ونشاط التجارة،ص٤٥.

يصل الى مدينة اشيرو وصفها "مدينة بحصن يسكنها آل زيري بن مناد ولها سور حصين واسواق وعيون تطرد واجنة ومزارع واقليم حسن القدر"[١]، ثم يصل بعد ذلك الى مدينة المسيلة تلتقي فيها ثلاثة طرق برية تخرج من القيروان، فالاول يخرج من القيروان ويتجه الى مدينة تاهرت غرباً[٢]، اما الثاني فيبدأ من القيروان عبر بلاد كتامة الى المسيلة[٣]، والفرع الثالث يربط القيروان بالمسيلة عبر المناطق الواقعة جنوب جبل اوراس وهي مناطق الواحات والجريد[٤].

٢-طريق فاس-القيروان.

الطريق من فاس الى تاهرت "ثلاثة ايام"[٥]، ومن تاهرت الى قسطيلية "خمسة عشر يوما في رمال وقرى"[٦]، ثم من قسطيلية الى قفصة "ثلاث مراحل"[٧]، ومن قفصة الى القيروان "سبع مراحل"[٨]. هذه هي مراحل ومحطات الطريق البري الداخلي بين فاس والقيروان.

٣-طريق سجلماسة-القيروان.

اشار الاصطخري الى وجود طريق يربط مدينة سجلماسة بالمغرب الاقصى بمدينة القيروان بالمغرب الادنى (افريقية) ووصفه بانه يقطع في "البرية نحو من ٨٠ مرحلة"[٩]، لكن لامقدسي الذي ذكر نفس الطريق قدر مراحله بثلاثين مرحلة[١٠]، وهناك طريق اخر يربط بين المدينتين ووصفه الاصطخري ان يمر في مناطق

(1) م،ن،ص٩٠.

(2) م،ن،ص٩٠.

(3) م،ن،ص٨٤-٨٦.

(4) م،ن،ص٨٦-٨٨.

(5) م،ن،ص٨٨-٩٠؛ وينظر الشيخلي،النشاط الاقتصادي،ص٤٦.

(6) المقدسي،احسن التقاسيم،٢٤٦.

(7) المقدسي،م،ن،ص٢٤٦.

(8) المقدسي،م،ن،ص٢٤٦؛ وينظر يوسف كمال، حيث اشار الى مراحل الطريق وقدرها باربعين مرحلة من فاس الى القيروان،المجموعة،القسم الثالث،ص٣٨٥-٣٨٦.

(9) المسالك والممالك،ص٤٦.

(10) احسن التقاسيم،ص٢٤٦.

عمارة ويجتاز عدة مدن ولكن لم يذكر اسماءها مع الاسف قدر طوله ب "١٢٠ مرحلة". اما المقدسي فقدره بنحو خمسين مرحلة[١].

وهناك طريق اخر يربط سجلماسة في المغرب الاقصى بافريقية ويسير هذا الطريق في مناطق الواحات وبلاد الجريد. ووصف ابن حوقل الطريق مبتدءاً من مدينة سجلماسة، واشار الى اهم المراكز التجارية التي يمر بها الطريق وهي "سماطة وهي من نفزاوة مدينة صالحة وتداينها مدينة بشربى .. ومدينة نفطة.. وقسطيلية مدينة كبيرة عليها سور حصين ولها نخيل كثيرة والتمر والقصب بها كثير وهي مغوثة افريقية بتمورها"[٢]، ويصف ابن حوقل[٣] مدينة قسطيلية وتجارتها قائلا: "هي من السعة والبيوع والاشربة في الاسواق وكثرة الوارد والصادر عليها ملتمسين للمسير والتجارة بما لا يدانيها فيه مدينة"[٤].

٤-طريق البصرة المغربية-القيروان.

ترتبط هاتان المدينتان بطريق داخلي يمر على فاس ومن ثم الى تاهرت في المغرب الاوسط ويكمل نحو قسطيلية وقفصة وتقدر مسافة هذا لطريق ب"ست وعشرين مرحلة وثمانية عشر يوماً"[٥].

٥-طريق السوس الاقصى-القيروان.

حدد الاصطخري[٦] في ق٤هـ/١٠م المسافة بين المغرب الاقصى والمغرب الادنى مروراً بالمغرب الاوسط فقال: "من السوس الاقصى الى القيروان ١١٦ مرحلة"، ومن دون ذكر التفاصيل عن هذا الطريق.

٦-السوس الاقصى-برقة.

وصف البلخي هذا الطريق بمرحلتين فالاولى تقطع المغرب الاوسط بمائة مرحلةن ويسير الطريق في المناطق الداخلية[٧]. والمرحلة الثانية من الطريق تقطع بنحو ست وخمسين مرحلة حيث يصل الى برقة[٨] من دون ذكر تفصيل عن هذه المراحل.

---

(1)م،ن،ص٢٤٦.

(2)م،ن،ص٢٤٦؛ وينظر مجهول مؤلف،الذي اشار الى ان الطريق يبدأ من برقة وينتهي في سجلماسة،الاستبصار،ص١٤٣-١٧٢.

(3)صورة الارض،ص٩٣-٩٤.

(4)م،ن،ص٩٤؛اشار يوسف كمال الى ان الطريق يستغرق حوالي الشهرين،المجموعة،القسم الثالث،ص٢٥٣.

(5) يوسف كمال،المجموعة،القسم الثالث،ص٢٨٤.

(6) المسالك والممالك،ص٤٦؛وخالف يوسف كمال في عدد المراحل حيث بين ان هذا الطريق يقطع بحوالي مائة وعشرة مراحل،م،ن،القسم الثالث،ص٨٤.

(7) ينظر صور الاقاليم،مج١،رقم الورقة ٣٨. ينظر الاصطخري،الذي يكمل من مدينة سطيف نحو القيروان ب١٦مرحلة،مسالم الممالك،ص٤٦؛ المقدسي،اشار الى وجود طريق من السوس الاقصى بالمغرب الاقصى الى القيروان ويقطع في مفوز (صحارى) وطول الطريق عنده الفين ومائة وخمسين ميلا،احسن التقاسيم،ص٢٤٦.

(8) البلخي، مخ، رقم الورقة٣٨.

-الطريق مع مصر.

يرتبط المغرب الاقصىمع مصر بطريق وقد وصفنا في الصفحات السابقة مراحل هذا الطريق من المغرب الاقصى الى حد برقة في المغرب الادنى[١]. وسنكمل وصف الطريق من برقة الى مصر.

اخبرنا ابن خرداذبة[٢] عن مراحل هذا الطريق ومدنه قائلا: "من مدينة برقة باتجاه مدينة الندامة "ستة اميال" ثم الى "تاكنيست خمسة وعشرون ميلاً"، والى المغر وجب حليمان سبعون ميلا، ويمر على عدد من المدن منها وادي مخيل وحي عبد الله ومرج الشيخ والعقبة ويكون الطريق قد قطع مسافة بحدود مائة وخمسون ميلاً[٣]، ويصل الى "خرائب ابي حليمة خمسة وثلاثون ميلا"، ثم الى "خرمة القوم خمسة عشر ميلا"، وبعدها يمر على عدد من المدن قصر الشماس وسكة الحمام وجب العوسج وكنائس الحديد ويقطع الطريق بحدود مائة وتسع ميل"، ثم الى "الطاحونة ثلاثون ميلا"، والى "حنية الروم اربعة وثلاثون ميلا"، ثم "ذات الحمام ثمانية عشر ميلا"، والى "بومينة عشرون ميلا"، وبعدها يصل الطريق الى مدينة "الاسكندرية اربعة وعشرون ميلا"[٤]، وهذا الطريق ساحلي مع البحر المتوسط ثم يمر الطريق بعدها على عدد من المدن منها كريون وقرطسا والرافقة وكوم شريك ويسير الطريق مع نهر النيل وبهذا يكون الطريق قطع مسافة بحدود مائة ميل[٥]، ثم الى قرية "قرنوط ثلاثون ميلا"[٦]، واخيرا يصل الطريق الى مدينة الفسطاط[٧].

اما البلخي[٨] في ق٤هـ/١٠م فكلامه مختصر عن الطريق الذي يربط المغرب الاقصى بمصر، فبعد ان يصل الطريق برقة يسير الى اقليم مصر بمسافة عشرين مرحلة، ولكنه لم يبين لنا المحطات والمدن التي يمر عليها هذا الطريق مع الاسف.

اما ابن حوقل[٩] الذي وصف مراحل الطريق من سبتة في المغرب الاقصى مارا بالمدن الساحلية ووصولا الى مدينة برقة بصورة تفصيلية، نجده لا يذكر اي تفاصيل عن الطريق بين برقة والاسكندرية، وكذلك المقدسي[١٠] لم نجد لديه اي تفاصيل عن الطريق بين برقة ومصر.

---

(1) ينظر الصفحات السابقة(حول الطريق الذي يربط المغرب الاقصى مع المغربين).

(2) المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص٥٨.

(3) م،ن،ص٨٤-٨٥.

(4) م،ن،ص٨٤.

(5) المسالك والممالك،ص٨٤.

(6) م،ن،ص٨٤.

(7) م،ن،ص٨٤؛ وينظر اليعقوبي،البلدان،ص١٠٠-١٠١؛ ابن قدامة،الذي وصف نفس الطريق،كتاب الخراج وصنعه الكتابة،ص٢٢٠-٢٢١؛ حول طريق مصر ينظر ايضا مجهول مؤلف،الاستبصار،ص١٠٩-١٧٥.

(8) صور الاقاليم،مخ،رقم الورقة،٣٨.

(9) صورة الارض،ص٦١.

(10) احسن التقاسيم،ص٢١٦.

ولكن في ق ٥هـ/١١م اتحفنا البكري بمعلومات تفصيلية عن هذا الطريق فبعد ان وصف الطريق ما بين المغرب الاقصى والمغربين الاوسط والادنى بمراحله المختلفة وواصلا في وصفه الى برقة كما اسلفنا ذكره، بدأ يتكلم عن مدينة برقة فذكر ان "برقة في صحراء حمراء التربة والمباني فتحمر لذلك ثياب ساكنيها .. وهي دلمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السايمة وتنمى على مراعيها واكثر ذبايح اهل مصر منها ويحمل منها الى مصر الصوف والقطران .. وهي كثيرة الثمار من الجوز والاترج والسفرجل"[١]، ويسير الطريق بعدها ويصل الى منطقة تعرف بخرايب ابي حلجة "وهو قصر معمور وبه سوق وابار خمس"[٢]، ثم يصل بعدها الى مدينة الرمادة "وهي مدينة لطيفة بقرب البحر لها سور ومسجد جامع وحولها بساتين بانواع الثمار"، ويسير الطريق مارا على جب العوسج والكنايس وهي "ثلاثة قصور مهدمة"، وبعدها يصل الى ذات الحمام ووصفها البكري قائلا: "هي سوق جامعة بها جامع بناه زيادة الله بن الاغلب .. وبازايه بير غزيرة طيبة حولها جنات وبساتين .. وسميت ذات الحمام لان كل من شرب من مايها حم الا من عافاه الله"[٣]، ثم يسير الطريق ليصل الى ابي مبني "وهي كنيسة عظيمة فيها عجايب من الصور والنقوش توقد قناديلها ليلا ونهارا"[٤]، ثم الى المنى "وهي ثلاثة مدن قايمة البنية خالية فيها قصور شريفة في صحراء رمل.. محكمة البناء"[٥]، وبعدها يصل الطريق لقرية قرنوط "وهي قرية جامعة على النيل بها اسواق ومسجد جامع وكنيسة"[٦]، واخيرا يصل الى الفسطاط.

الطرق مع المشرق:-

نشطت الطرق التجارية نشاطا عظيما بين المشرق الاسلامي ومغربه[٧]. فقد ارتبط المغرب الاقصى مع المشرق الاسلامي بعدة طرق تجارية وفي ق ٣هـ/٩م اشار ابن خرداذبة الى وجود طريقين: احدهما يخرج من مدينة سر من رأى(سامراء) والاخر من مدينة السلام(بغداد)، ويصل هذان الطريقان الى مدينة الفسطاط، وبما ان الفسطاط ترتبط بطرق القوافل التجارية الذاهبة الى المغرب الاقصى فاننا يمكن ان نقول ان القادم من المغرب الاقصى قاصدا المشرق لا بد ان يصل الى الفسطاط ومنها يستطيع ان يستخدم احد الطريقين، طريق سامراء او طريق بغداد.

---

(1) المسالك والممالك،ص٥.

(2) م،ن ،ص٤ .

(3) م،ن ،ص٣ .

(4) م،ن ،ص٢ .

(5) م،ن ،ص٢ .

(6) م،ن ،ص٢؛ وينظر عن المسافة بين المغرب الاقصى ومصر فقد قدرها مجهول مؤلف صاحب مخطوط عجائب البلدان والجبال نحوماية مرحلة،مخ،محفوظ في دار صدام للمخطوطات تحت رقم ٣٩٨٣٧،رقم الورقة ١٢،وينظر طريق الفسطاط والمغرب،يوسف كمال،المجموعة،القسم الثالث،ص٩٥.

(7)محمود،حسن احمد،العالم الاسلامي في العصر العباسي،مكان وسنة الطبع ممزق،ص٢٠٣-٢٠٤.

وسنصف الطريق بشكل معكوس عما وصفه ابن خرداذبة كعادتنا. فمن مدينة الفسطاط يسير الطريق الى الباروربة تسع عشرة سكة(٥)، وبعدها الجفار ومنها الى الرملة، وتقطع بحوالي ستة عشرة سكة، ثم الى اللجون اربع سكك، وبعدها الى طبرية وهي قصبة الاردن ست سكك، وبعده ديرة ابواب ثم دمشق وبعلبك ثم الى جوسية وتقطع بحوالي اثنان وعشرون سكة، وبعدها الى حمص وحماه وصرى وابي قنسرين وحلب ومنبج والنقيرة والرقة وتقطع بحوالي ثلاث واربعون سكة ثم الى راس عين وكفرتوثا ونصيبين واذرمة وبلد والموصل والحديثة والسّن وجبلتا وتقطع بحوالي احدى وستون سكة[١]، واخيرا من جبلتا الى سر من رأى وتقطع بسبع سكك[٢].

اما الخط الثاني من الطريق فهو يبدأ من الفسطاط في مصر الى بلبيس ومسجد وقضاعة والفاخرة وجرير والفرما والعذيب الى الواردة الى العريش ورفح وغزة وازدود[٣]، الى "البحيرة المنتنة.. ويخرج من البحيرة المنتنة ملح يصلح للصاغة وفير يسمى الحمر"[٤]، ويسير الطريق الى يافا والرملة وقلنسوة واللجون وطبرية ونبق وجاسم والكسوة ويصل بعدها الى دمشق[٥]، ومن دمشق الى القطيفة والنبك وفارا وجوسية وحمص ومن حمص الى حماه وشيرز وقنسرين وحلب والناعورة ثم الى بالس[٦]، ويبين ابن خرداذبة لنه "قد عبر الفرات"[٧]، ويستمر الطريق الى دوسر ورقة وحران ثم يصل الى الرقة "وهي بالرومية فالانيقوس والرقة هي واسطة ديار مضر وهي الرافقة"[٨]، وبعدها يستمر سير الطريق ويمر على عدة مدن منها المبارك والجردان ووادي السباع والفرضية والداز والفحيمة والدسة والناورسة وهيت والانبار والسيلحين واخيرا بغداد[٩]، واوضح لنا ابن خرداذبة ان الطريق يستغرق من "بغداد الى مصر خمس مائة وسبعون فرسخا يكون الفا وسبع مائة ميل وعشرة اميال"[١٠]، وتحدث ابن خرداذبة عن طريق ثالث يربط البصرة بعمان عن طريق قطر

---

(٥) السكة:فهي الطريق المسكوكة التي تمر فيها القوافل من بلد الى اخر فاذا قيل في الكتب كذا الى بلد كذا كذا سكة. فانما يعنون الطريق مثال ذلك ان يقال:من بغداد الى الموصل خمس سكك يعنون القاصد من بغداد الى الموصل يمكنه ان ياتيها من خمس طريق وحكى عن بعضهم ان قولهم سكك البريد يريدون منازل البريد في كل يوم والاول اظهر واصح والله اعلم ،الحموي،معجم البلدان،ح١،ص٣٨.

(1)المسالك والممالك،ص١١٦-١١٧.

(2)المسالك والممالك،ص١١٦.

(3) المسالك والممالك،ص٨٠-٨٣.

(4) م،ن،ص٧٩.

(5) م،ن،ص٧٧-٧٨.

(6) م،ن،ص٧٤-٧٦.

(7) م،ن،ص٧٤.

(8) م،ن،ص٧٣.

(9) م،ن،ص٧٢-٧٣.

(10) م،ن،ص٨٣.

وساحل هجر[١]، ومن هناك يتجه عن طريق ساحلي الى عدن ثم الى مكة[٢]، ومن مكة الى مصر وبعدها بلاد المغرب[٣]، وهكذا مثلت مصر حلقة بين الطرق الاتية من المشق والمتجه نحو المغرب وبالعكس سواء كانت طرق برية او بحرية، وهذا يدل على اتصال وثيق بين المشرق الاسلامي ومغربه عبر مصر.

* -طريق الجادة (الساحلي).

اشار ابن خراداذبة الى طريق يربط طنجة في المغرب الاقصى وعبر بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام ثم العراق ويصل الى البصرة في العراق ويمر الطريق بعد ذلك على بلاد فارس وكرمان والسند والهند[٤].

وهناك طريق اخر اشار اليه ابن حوقل وهو يبدأ من طنجة ويستمر ليمر على مدن المغرب الاوسط ثم مدن المغرب الادنى وبعدها يصل الى مدينة الفسطاط ويجتازها ليصل الى مدينة صالحة ثم فاقوس وجرجير ثم الفرما ووصف المدينة قائلا: "مدينة صالحة على نحر بحر الروم كثيرة النخيل والرطب والسمك .. يردها التجار في البر والبحر نهارا من الفسطاط والشام"[٥]، ثم من مدينة الفرما الى البقارة وهي قرية ثم الى الورادة ثم الى العريش وبعدها رفح ثم الى غزة ثم الى مدينة يردود ثم مدينة انبى واخيرا يصل الطريق الى مدينة الرملة ويستغرق ذلك كله من مدينة الفسطاط الى الرملة احدى عشرة مرحلة، وهذا الطريق عند ابن حوقل يستمر مارا ب"جند[ó] فلسطين وهو اول اجناد الشام مما يلي المغرب"[٦]، وبعد ذلك جند دمشق وقصبتها دمشق ثم جند حمص ومدينتها حمص ثم جند قنسرين فمدينتها حلب ، ويستمر الطريق الى ان يصل مدينة

---

(1) م،ن،ص٥٩-٦٠؛ ينظر محمد،سوادي عبو،"صلات تجارية بين البصرة والمغرب الاسلامي من القرنين الثاني الهجري حتى اواخر القرن الرابع الهجري"،مجلة المؤرخ العربي،ع٤٣ بغداد ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٥٥-١٦٥.

(2) م،ن،ص١٤٧-١٤٨.

(3) م،ن،ص١٤٩-١٥٠؛ ينظر يوسف كمال،المجموعة الكمالية،القسم الثالث،١٢٦؛ وينظر بوتشيش،ابراهيم،"الصلات التجارية بين عمان وبلاد المغرب في العصر الاسلامي"،مجلة دراسات تاريخية،(جامعة دمشق،ع٦٩-٧٠، ١٩٩٩)،ص١٣٦-١٣٩.

(4)المسالك والممالك،ص١٥٥.

(5)ابن حوقل،صورة الارض،ص١٤٤.

(ó)الجند:يجئ في قولهم: جند قنسرين،فلسطين،حمص،دمشق،وجند الاردن، فهي خمسة اجناد ، وكلها بالشام، ولم يبلغني انهم استعملوا ذلك في غير ارض الشام..واختلفوا في الاجناد فقيل سمي المسلمون كل واحد من اجناد الشام جندا لانه جمع كورا،والتجنيد على هذا التجمع ،وجندت كذا،اي جمعت جمعا وقيل :سمي المسلمون لكل صقع جندا يجند له يقبضون اعطياتهم فيه منه فكانوا يقولون :هؤلاء جند كذا حتى غلبت عليهم وعلىالناحية ،الحموي،معجم البلدان،ح١،ص٣٨.

(6) صورة الارض،ص١٧٠.

بالس "مدينة بالس على شط الفرات من غربية صغيرة وهي اول مدن الشام في العراق"[١]، ومن ثم يستمر الطريق الى مدن العراق كالبصرة والكوفة وبغداد.

فعبر هذا الطريق كانت القوافل المشرقية تسير الى المغرب الاقصى، حيث قال ابن حوقل عن ذلك "ولقد وصلت قوافل تجار اهل العراق والبصرة والكوفة والبغداديون"[٢]، الى المغرب الاقصى باستخدامها طريق الجادة عبر المغرب الادنى والاوسط الى المغرب الاقصى.

ويقدر صاحب عجائب البلدان المسافة بين المغرب الاقصى نحو اربعمائة مرحلة[٣]، من دون ان يحدد اي طريق من الطرق قدر مسافته هذه.

الطريق مع بلاد السودان.

ارتبطت بلاد المغرب بعدة طرق تجارية استخدمت لنقل البضائع والسلع من والى بلاد السودان[٤]. ومن خلال قراءة كتب لدانيينا نجد ان هناك ثلاث طرق رئيسية للقوافل ترتبط معها بلاد المغرب ببلاد السودان عبر الصحراء الافريقية وقبل الحديث عنها لا بد من القول في البدء انه حتى ق٤هـ/١٠م كان التجار العرب المسلمين من اهل مصر والمشرق يستخدمون طريق قوافل صحراوي يبدأ من مصر وينتهي في غانة عبر الصحراء الافريقية[٥]. ولكن هذا الطريق بطل استخدامه ، ويوضح ابن حوقل اسباب ذلك بقوله: "وبلاد الزنج براري عظيمة ورمال كانت في سالف الزمان مسلوكة وفيها الطريق من مصر الى غانة فتواترت الرياح على قوافلهم ومفردتهم فاهلكت غير قافلة واتت على غير مفردة وقصدهم ايضا العدة فاهلكهم غير دفعة فانتقلوا عن ذلك الطريق وتركوه الى سجلماسة"[٦].

من نص ابن حوقل يتضح لنا ان وراء ترك طريق مصر-غانة، الظروف الجوية الطبيعية والمتمثلة في العواصف الرملية الشديدة والمستمرة. كما ذكر ابن حوقل سببا اخر لبطلان استخدام طريق مصر-غانة وهو: قطاع الطرق الذين كانوا يسرقون القوافل وما تحمله من بضائع غالية الثمن تمثل رؤوس اموال التجار[٧]، الواضح ان تكرار مثل هذه الحوادث اجبرت القوافل التجارية الى ترك استخدام هذا الطريق نهائيا.

نعود الى الطرق التي تربط بلاد المغرب ببلاد السودان منذ ق٤هـ/١٠م وما بعده وهي :

١-الطريق الشرقي.

---

(1) م،ن،ص ١٧٠-١٨٠.

(2) صورة الارض،ص٦١.

(3) مجهول مؤلف،رقم الورقة،١٢.

(4) بلاد السودان،لقد اطلق العرب المسلمين كلمة السودان على الشعوب السوداء وتنقسم بلاد السودان الى ثلاثة اقسام، وللمزيد ينظر كريم عاتي،الحياة الاقتصادية،ص٢٠٢.

(5) غانة:وغانة سمة علوكهم واسم البلد اوكار .. ومدينة غانة مدينتان سهليتان احدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ...،البكري،المغرب في ذكر بلاد،ص١٧٤-١٧٥.

(6) م،ن،ص٦١.

(7) صورة الارض،ص٦١.

هو الطريق الذي يربط مناطق برقة وافريقية (المغرب الادنى) ببلاد السودان عبر الصحراء ويتفرع الى فرعين:

أ.الفرع الاول// يربط مناطق برقة وطرابلس بالسودان الاوسط وعبر صحراء فزان ويبدأ من طرابلس متجها جنوبا الى صحراء فزان ويمر بزويلة(ó)(عاصمة صحراء فزان) المركز التجاري الصحراي ثم يسير الى مناطق السودان الاوسط وهي الكانم[١].

ب.الفرع الثاني// يربط مناطق طرابلس بالسودان ويمر بجبل نفوسة ثم بعد ذلك يتجه الى غدامس(ó) وبعدها الى تادمكة(ó ó)، ثم غانة في السودان الغربي[٢].

٢-الطريق الاوسط.

ويربط المغرب الاوسط ببلاد السودان الغربي ويبدأ الطريق عادة، اما من تلمسان او تاهرت ويسير باتجاه الصحراء جنوبا داخلا الى ورقلان(ó ó ó)، المركز التجاري الواقعة على الحافات الشمالية للصحراء ثم يصل الى تادمكة وبعدها يسير الطريق الى مدينة كوكو(ó ó ó ó)(المركز التجاري السوداني)، واخيرا يصل الى غانة في السوادن الغربي[٣].

(ó) زويلة: بفتح اوله وكسر ثانيه وبعد الياء المثناة من تحت الساكنة لام: بلدان احدهما زويلة السودان مقابل اجدابية في البربين بلاد السودان وافريقية وزويلة مدينة غير مسورة في وسط الصحراء وهي اول حدود السودان وفيها جامع وحمام واسواق تجتمع فيها الرفاق من كل جهة ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم،الحموي،معجم البلدان،ح٣،ص١٦٠.

(1) البكري،المغرب في ذكر بلاد،ص١٠؛ وقدر البكري المسافة بين زويلة والكانم باربعون مرحلة،م،نص١١؛ عن السودان الاوسط،ينظر ابراهيم علي طرخان،امبروطورية البرنو الاسلامية،ص١٧؛ وعن تجارة العرب وتوجدهم في كانم ينظر الشيخلي، صباح،"الوجود العربي في كانم في السودان الاوسط حتى القرن السابع الهجري ١٣م"،مجلة المؤرخ العربي ع٣٥،(بغداد ١٤٠٩هــ/١٩٨٨م)،ص١٢٢-١٢٣-١٢٤.

(ó) غدامس: مدينة لطيفة تقع على حافات الصحراء الشمالية مركز تجاري صحراوي كثيرة النخيل والمياه واهلها بربر مسلمون، البكري،المغرب في ذكر،ص١٨٢.

(ó ó)تادمكة: اشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى تادمكة هي مكة تقع على حافات الصحراء الجنوبية مركز تجاري سوداني، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب واهلها بربر مسلمون،البكري،م،ن،ص١٨١.

(2) البكري،م،ن،ص١٨٢-١٨٣.

(ó ó ó)ورقلان: في الصحراء مما يلي افريقية: وهو بلد خصيب كثير النخيل والبساتين، وفيه سبع مدن مسورة حصينة تقرب بعضها من بعض، وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع والبساتين ،مجهول مؤلف،الاستبصار،ص٢٢٤.

(ó ó ó ó)كوكو: مدينة عظيمة فيها خلق كثير من السودان لا يحصى لهم عدد وهي على النيل ويقال انما سموا كوكو، لان الذي يفهم من نغمة طبولهم كوكوا،مجهول،م،ن،ص٢٢٥.

(3) البكري،م،ن،ص١٨٢-١٨٣.

٣-الطريق الغربي.

يبدأ هذا الطريق من المغرب الاقصى وينقسم الى فرعين هما:

أ-الفرع الاول//يربط مدينة سجلماسة في المغرب الاقصى باودغشت(óóóóó) وغانة في السوادن الغربي يبدأ الطريق من سجلماسة الواقعة على الحافات الشمالية للصحراء وبعد ان تغادر القوافل التجارية المدينة "تسير في مفاوز وصحراء مقدار خمسين يوما ثم يلقاه قوم يقال لهم ابنية من صنهاجة الصحراء ليس لهم قرار شأنهم كلهم ان يتلثموا بعمائمهم سنة فيهم.. ومعاشهم على الابل ليس لهم زرع ولا طعام ثم يصير الى بلد غسط (اودغشت) وهو اسد واد فيه المنازل"[١]، هذا ما كان عليه الطريق في ق ٣هـ/٩م.

اما في ق ٤هـ/١٠م فقد شبه ابن حوقل فرعي الطريق الذاهبان الى السودان الغربي بشكل مثلث رأس مدينة اودغشت واقصر اضلاعه بين السوس واودغشت (الفرع الثاني من الطريق) والضلع الاخر الممتد بين سجلماسة واودغشت[٢](الفرع الاول من الطريق).

اما البكري[٣] في ق٥هـ/١١م فقد قال: "ومن مدينة سجلماسة ندخل الى بلاد السودان الى غانة وبينها وبين غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة الا بقوم ضاعنين ولا تطمئن بهم منزل وهم مسونة من صنهاجة". وان مدينة غانة تبعد عن اودغشت حوالي عشرين يوما، واشار صاحب كتاب الاستبصار الى ان بين اودغشت وسجلماسة خمسين مرحلة ومن اودغشت الى غانة عشرين مرحلة[٤]، لكن الحميري اشار ان الطريق بين اودغشت وغانة هو اثنا عشر مرحلة[٥]، ومن المحتمل ان استخدام طريق اخر اقصر من الطريق المتعارف عليه.

ب.الفرع الثاني//

وهذا الطريق يربط مناطق السوس في المغرب الاقصى بمدينة غانة وباقي المدن السودانية واشار ابن الفقيه الى هذا الطريق ويبدأ من "مدينة طرقلة(ó) الى مدينة غانة مسيرة ثلاثة اشهر مفاوز وقفار"[٦]. ووصف

(óóóóó)اودغشت: بلد قايم العمارة مدينة كبيرة فيها اسواق ونخل كثير واشجار الحناء وهي في العظم كشجر الزيتون وكانه سكن هذه المدينة زناتة مع العرب.. ولهم اموال عظيمة ورقيق كثير للرجل منهم الف خادم،البكري،م،ن،ص١٦٨.

(1) اليعقوبي،البلدان،ص١١٧؛ وينظر ابن رستة،الاعلاق النفيسة،ص٣٦٠.

(2) صورة الارض،ص٩٢؛ وينظر يوسف كمال،المجموعة،القسم الثالث،ص٣٨٨؛ الشيخلي،"ابن حوقل ونشاطه"،مجلة التاريخ،ص٤٩.

(3) المغرب في ذكر بلاد،ص١٤٩؛ وينظر مجهول مؤلف،الاستبصار،ص٢٠١؛ الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٢٧٧.

(4) مجهول مؤلف،ص٢١٦.

(5) الروض المعطار،ص٦٣.

(ó)مدينة في السوس الاقصى ،ابن الفقيه،كتاب البلدان،ص٨١.

(6) المسالك والممالك،ص١٦٣.

البكري[1] في ق ٥هـ/١١م، قائلا: "من وادي درعة خمس مراحل الى وادي تارجا وهو اول الصحراء وبعدها يستمر سير الطريق ويصل الى جبل ادراران، ويكمل البكري[2]، الى ان هذا الجبل "مجابة ماؤها على ثمانية ايام وهي المجابة الكبرى وذلك الماء في بني ينتسر من صنهاجة ومن بني ينتسر الى قرية تسمى مدوكن لصنهاجة ومنها الى غانة اربعة ايام". وقد سبب هذا المسلك صراع بين اموي الاندلس والفاطميين في المغرب الاقصى للسيطرة عليه[3].

ومن هذا يمكن ان يتبين لنا ان الصحراء ليست دائما كما يظن البعض مظهرا للعزلة وانما هي في حالات كثيرة اداة للربط والاتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان عبر الواحات والابار المتناثرة فيها. وقد شقت الصحراء طرق كثيرة ادت دورا هاما في تاريخ بلاد السودان الاسلامي عامة والنشاط التجاري لها خاصة.

*-مشاق السفر الى بلاد السودان.

ورغم مصاعب التجارة بين المغرب وبلاد السودان لكن هذه الصعوبات والعوائق لم يقف حجر عثرة في ممارسة النشاط التجاري في الاقليمين وقد بينت لنا مصادرنا مصاعب السفر الى المراكز السودانية فهذا ابن حوقل يقول: "بين المغرب وبلاد السودان مفاوز وبراري متقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي لا تسلك الا في الشتاء وسالكها في حينه متصل السفر دائم الورود والصدر"[4].

وهكذا نجد ان قلة المياه وشحة الكلأ في طريق القوافل الصحراوي بين المغرب والسودان قد اجبرت مستخدميه الى السفر اثناء فصل الشتاء للتقليل من الصعوبات التي يجابهونها في رحلاتهم. ولقبائل صنهاجة الصحراء معرفة بطبيعتها الجغرافية والمناخية ومواقع الماء فيها لا سيما قبيلة مسوفة (احدى قبائل صنهاجة الصحراء) والتي سجل ابن حوقل قوله: "انهم يملكون تلك الطريق وفيهم البسالة والجرأة والفروسية على الابل والخفة في الجري والشدة والمعرفة باوضاع البر واشكاله والهداية فيه والدلالة على مياهه بالصفة والمذاكرة ولهم الحسّ"[5]، وبهذا كانوا يستأجرون اشخاص من السودانيين كادلاء في الصحراء للقوافل المسافرة بين المغرب والسودان ويسميهم ابن بطوطة[6] "بالتكشيف".

---

(1) المغرب في ذكر بلاد،ص١٦٣.

(2) م،ن،ص١٦٤.

(3) الجنحاني،الحبيب،دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي،(بيروت دار الطليعة ط١ ١٩٨٠)،ص٨١-٨٨.

(4) صورة الارض،ص ١٠٣.

(5) صورة الارض،ص١٠١.

(6) ينظر ابن بطوطة،محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي(ت٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار،د.علي الكتاني،مؤسسة الرسالة (بيروت ط٤،١٤٠٥هـ)،ج٢،ص٨٣٢.

واورد لنا الادريسي طريقة مهمة كانت مستخدمة من قبل القوافل المتجهة الى بلاد السودان من طريق سجلماسة-غانة من اجل تجنب شحة المياه وهي: "ان القوافل تتزود بالماء لسلوك هذه المحابات في الاوعية على ظهور الجمال"[١]، ومن الصعوبات التي تواجه القوافل المسافرة الى بلاد السودان هي:

الرياح التي تأتي على القوافل وتشتتهم فيضيعون في الصحراء وهذه الرياح اتت على اكثر من قافلة[٢]. والرياح تسبب مشكلة وهي نسفها للرمال ونقلها من مكان الى اخر وهذا يسبب ضياع القافلة وهلاكها بسبب الرمال المتحركة[٣]، لذلك كانت تلجأ القوافل الى القبائل التي تسكن هذه الصحارى بسبب معرفتها التامة بالمنطقة لحمايتها من ذلك.

وقد أورد لنا الادريسي نصوصا توضح الوقت الذي يسافر فيه التجار والمراحل التي يتبعونها في ذلك الطريق والصعوبات التي تواجههم في ذلك قائلا: "وهذه الصحراء يسلكها المسافرون في زمان الخريف وصفة السير بها انهم يرقون اجمالهم في السحر الاخير ويمشون الى ان تطلع الشمس"[٤]. ويكمل الادريسي وصفه "ويكثر نورها في الجو ويشتد الحر على الارض فيحطون احمالهم ويفيدون اجمالهم ويعرضون امتعتهم ويخيمون على انفسهم ظلالا تكنهم من حر الهجير وسموم القائلة"[٥]. من النص يتضح ان القافلة تتوقف عن المسير بعد شروق الشمس وبعد ان تشتد الحرارة فيخيمون ليقوا انفسهم من السموم الحارة، "ويقيمون كذلك الى اول وقت العصر وحين تأخذ الشمس في الميل والانحطاط الى وقت العتمة ويعرسون اينما وصلوا ويبيتون بقية لعلهم الى وقت الفجر الاخير ثم يرحلون وهكذا سفر التجار الداخلين الى بلاد السودان على هذا الترتيب لا يفارقونه لان الشمس تقتل بحرها من تعرض للشمس في القائلة عند شدة القيظ وحرارة الارض"[٦].

اما ابن سعيد فقد سجل لنا عن الصعوبات والمشاق التي تتعرض لها قوافل الصحراء التجارية والتي تقطع الصحراء العريضة بين سجلماسة وغانة قائلا: "يكابدون فيها شدة العطش ووهج الحر. وربما هبت ريح جنوبية ونشفت المياه التي في القرب منهم يعيدون اليها المياه التي في بطون الابل ويجعلون على افواهها الكمائم لئلا تأكل شيئا فاذا نشفت الريح مياههم نحورها جملا جملا وشربوا ما في بطنها"[٧].

---

(1) وصف افريقيا،ص٤.

(2) ابن حوقل،صورة الارض،ص٦١.

(3) الادريسي،وصف افريقيا،ص٤.

(4) ن،م،ص١٨.

(5) وصف افريقيا،ص١٨.

(6) وصف افريقيا،ص١٨-١٩.

(7) الجغرافيا،ص١١٣؛ وينظر الحموي،معجم البلدان،ج١،ص١٢؛ ابو الفدا،تقويم البلدان،ص١٣٧؛ وينظر الوزان الذي اشار الى ان "الطريق من فاس-تنبكو توجد بعض الابار المكسوة في داخلها بجلد الابل ومن الخطر على التجار ان يقوموا بهذا السفر في غير فصل الشتاء"،وصف افريقيا،ج١،ص٧٦.

وهكذا وضح لنا ابن سعيد ايضا كيفية التغلب على الصعوبات والمشاق ورغم هذه الصعوبات الجمة والمخاطر التي تتعرض لها القوافل فان النشاط التجاري بين المغرب والسودان عبر طرق القوافل الصحراوية كان نشطا ومستمرا.

* -*الطرق البحرية.*

ان ارتباط المغرب الاقصى بالبحر المتوسط من الشمال والمحيط الاطلسي من المغرب وامتداد سواحله على مسافات طويلة منها، حتم وجود عدد من الطرق البحرية التجارية يتم عبرها انتقال السلع والبضائع من والى المغرب الاقصى.

أ-الطرق مع اقليمي المغربين الاوسط والادنى:-

لقد ارتبطت مدينة طنجة في المغرب الاقصى مع المغربين الاوسط والادنى بطريق بحري[١]، ضمن مرسى اصيلا بالمغرب الاقصى كما سجل البكري كانت المراكب تخرج باتجاه مصر والشام، ومن المؤكد ان هذه المراكب كانت تمر في طريقها على موانئ المغربين الاوسط والادنى"[٢].

ب-الطرق مع بلاد الاندلس:-

ان قصر المسافة بين المغرب الاقصى والاندلس في منطقة جبل طارق حيث لا يفصلها الا مضيق يعرف بالزقاق[٥] جعل النشاط البحري بين الاندلس والمغرب الاقصى نشطا ومستمرا، ويعد مينائي سبتة وطنجة المطلان على بحر الزقاق من الموانئ المهمة في هذا النشاط حتى وصف المينائين بـــ"الحط والاقلاع"[٣]، وهذا يدل على كثرة السفن التي ترسو بهذين المينائين وكثرة تعاملاتها التجارية. ومن الطريف الاشارة هنا الى ان المسافة بين مينائي طنجة وبلاد الاندلس تقدر بثمانية عشر ميلا[٤] وان يقابل مرسى جزيرة طريف في بلاد الاندلس[٥]، واشار ابن خرداذبة الى طريق يربط الاندلس مع طنجة[٦]. ولكل هذا نجد ان طنجة من ق٣هــ/٩م ترتبط بطريق تجاري مع الاندلس.

---

(1)الزهري،الجغرافية،ص١٢٨.

(2)البكري،المغرب في ذكر،ص٨٦.

(٥)الزقاق: بضم اوله واخره مثل قانية والزقاق مجاز البحر بين طنجة وهي مدينة بالمغرب على البر المتصل بالاسكندرية والجزيرة الخضراء وهي جزيرة في الاندلس وبينهما اثنا عشر ميلا وذلك هو المسمى الزقاق، الحموي،معجم لبلدان،ح٣،ص١٤٤.

(3)ينظر الادريسي،وصف،ص١٠٨؛ ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٣٩.

(4)المغربي،نفح الطيب،مج١،ص١٤٥؛ وللمزيد ينظر الفقرة الخاصة بمينائي سبتة وطنجة في المراكز التجارية.

(5)البكري،م،ن،ص١٠٥.

(6)المسالك والممالك، .

ارتبطت موانئ المغرب الاقصى المطلة على المحيط بموانئ الاندلس بعلاقات تجارية نشطة ومستمرة[١]. واشار الاصطخري الى طريق بحري يسير من "البصرة بجزيرة جبل طارق ثم يمتد على البحر المحيط الى شنترين[ó] وهي اخر بلاد الاسلام"[٢]، ووصف الاصطخري السير بهذا الطريق "لو ان رجلا سار من البصرة (يقصد بصرة المغربية) على السواحل حتى يعود الى ما يحاذيه من ارض الاندلس لا يحتاج الى ان يعبر نهرا او خليجا امكنه"[٣]، ومقدار المسافة فيه نحو سبعة اشهر[٤]. والواقع ان الطرق البحرية التي ربطت المغرب الاقصى بالاندلس لم ينقل عبرها بضائع المغرب الاقصى فقط بل البضائع الواردة الى هذا الاقليم من بلاد السودان ومن الشرق وبضائع اقاليم المغرب ايضا[٥].

ت-الطرق مع مصر وبلاد الشام.

ذكر الاصطخري في ق٤هــ/١٠م وهو يتكلم عن مياه البحر المتوسط قائلا: "وما بحر الروم فانه خليج من البحر المحيط بين بلاد الاندلس وبين البصرة من بلاد طنجة وبين طنجة وبين جزيرة جبل طارق من ارض الاندلس عرضه اثنا عشر ميلا ثم يتسع ويعرض فيمتد على سواحل المغرب مما يلي شرقي هذا البحر حتى ينتهي الى اراضي مصر ويمتد على اراضي مصر حتى ينتهي الى ارض الشام"[٦]، من هذا الوصف نستطيع ان نقول ان مياه البحر المتوسط استخدمت كطرق تجارية بين المناطق الواقعة عليه ومنها بين المغرب الاقصى وبلاد الشام ولعل ما دعم قولنا هذه النصوص التالية:

فقد اكد البكري في ق ٥هــ/١١م على وجود خط بحري يسير بمحاذاة سواحل المغرب الى الاسكندرية ويمر على عدة مدن ساحلية وبعد ذلك يصل الى "غزة ثم الى ملاحة الواردية ثم الى عسقلان ثم الى قيسارية ثم الى يافي ثم الى رأس الكرمان ثم الى حيفي ثم الى عسكي"[٧]، وهذه المدن جميعها في فلسطين وبعد ان يكمل ساحل فلسطين يصل الى "صيدا ثم الى بيروت ثم الى طرابلس الشام ثم اللاذقية ثم انطاكية"[٨]، واشار الزهري الى خط تجاري يربط طنجة بالمغرب الاقصى وعبر بلاد المغرب والاسكندرية ويصل الى الشام[٩].

ث-الطرق مع جنوب اوربا:-

---

(1)لومبارد،الاسلام في فجر عظمته،ص٨٢-٨٣.

(ó) شنترين: وهي من قرى غليسبية المشهورة التي تخرج منها القراقر حيث الطول ثلاث عشرة درجة والعرض سبع واربعون درجة واربع وخمسون دقيقة،ابن سعيدنالجغرافيا،ص١٩٢.

(2)مسالك الممالك،ص٦٨-٦٩.

(3)مسالك الممالك،ص٦٩.

(4)البلخي،مخ:صور الاقاليم،رقم الورقة ٩.

(5)ينظر لومبارد،م،ن،ص٨٣.

(6)م،ن،ص٦٨.

(7)المغرب في ذكر بلاد،ص٨٦.

(8)م،ن،ص٨٦.

(9)الجغرافية،ص١٢٨.

بين لنا ابن خرداذبة طريقا كان يسلكه التجار الروس يبدأ من بلاد الافرنجة وينتهي هذا الطريق الى الهند ووصف هذا الطريق بقوله: "ان الخارج منهم من يخرج من الاندلس او من فرنجة فيعبر الى السوس الاقصى فيصير الى طنجة[١]، ان هذا الطريق يربط طنجة المركز التجاري في المغرب الاقصى وبين بلاد الافرنجة عبر الاندلس.

وفي ق ٤هـ/١٠م ذكر الاصطخري وهو يصف الطريق البحري الذي يربط المغرب الاقصى مع سواحل الشام انه يستمر "ثم ينعطف بناحية الثغور فيدور على بلد الروم من انطاكية وما قاربها ثم يصير غربي البحر الى خليج القسطنطينية ويعبره ويمتد على سواحل اثيناس ثم على سواحل رومية ثم يمتد على قرب افرنجة فيصير البحر حينئذ جنوبيا ويكون على ساحله افرنجة الى ان يتصل بطرطوشة من بلاد الاندلس"[٢]، وان السفن يمكن ان تسير من طنجة الى جزيرة طريف والجزيرة الخضراء الى مالقة والمرية(موانئ اندلسية) ومنها الى سواحل الافرنجة(فرنسا) ومنها بلاد البنادقة(جنوب ايطاليا) والقطسنطينية[٣].

ج-الطرق مع صقلية وجزر البحر المتوسط:-

بما ان المغرب الاقصى يرتبط بطريق الجادة الساحلي الذي اشرنا اليه سابقا فان هذا الطريق يربط مناطق ومدن المغرب الاقصى بالمواسي التي تقع على هذا الطريق ومن خلال هذه المراسي تنقل البضائع والسلع الى جزيرة صقلية او جزر البحر المتوسط فاشار البكري الى ان "مرسى الرجاج وهو صيفي... يقابل من جزيرة الاندلس جزيرة ميورقة"[٤].

اما مع صقلية فاخبرنا البكري ان "مرسى بونة في قبالته جزيرتان احداهما تعرف بالجامور الكبير والاخرى بالجامور الصغير وهي اصغر ثم جبل يظهر منه جبل صقلية"[٥]، وارتبط مرسى سوسة بخط بحري الى صقلية[٦]، ضمن مدينة سوسة ثم "فتح المسلمون جزيرة صقلية"[٧]، ومن سوسة يسافر اهل المغرب الى صقلية[٨]، اما مدينة المهدية التي كانت تقع على الساحل المغربي فكان مرساها "محط للسفن لمن قصدها من جميع الجهات"[٩].

---

(1) المسالك والممالك،ص١٥٤.

(2) مسالك الممالك،ص٦٨.

(3) المسالك والممالك،ص٨٢؛ ينظر مجهول مؤلف،الاستبصار،ص١٣١.

(4) المسالك والممالك،ص٨٢؛ ينظر مجهول مؤلف،الاستبصار،ص١٣١.

(5) م،ن،ص٨٤.

(6) ينظر ابن الفقيه،كتاب البلدان،ص١٠٦؛ مجهول مؤلف،م،ن،ص١١٩.

(7) ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٤٤.

(8) البكري،م،ن،ص٣٥-٣٦.

(9) البكري،م،ن،ص٨٤؛ وينظر الدوري،صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط،ص١٥٨-١٦٠؛لومبارد،الاسلام في فجر عظمته،ص٨٠-٨١.

وهكذا يمكن القول ان السلع القادمة من المغرب الاقصى الى مدن المغربين الاوسط والادنى الساحلية كانت تحمل من مراسيها الى جزر البحر المتوسط والعكس صحيح ايضا.

المراكز التجارية

اولا: المراكز الساحلية.

أ-مراكز البحر المتوسط.

١-سبتة.

٢-طنجة.

ب-مراكز المحيط الاطلسي.

١-بحيرة آريغ.

٢-سلا.

٣-اصيلة.

٤-اسفي.

ثانيا: المراكز الداخلية.

١-فاس.

٢-البصرة المغربية.

٣-مراكش.

٤-اغمات.

٥ -سجلماسة.

اولا: المراكز الساحلية.

أ -مراكز ساحل البحر المتوسط:

كان الموقع الممتاز الذي يتمتع به المغرب الاقصى في الطرف الشمالي الغربي من القارة الافريقية، واطلالته على البحر المتوسط ومضيق جبل طارق الذي لا يبعد عن بلاد الاندلس سوى بضعةاميال، هذه المسافة القصية يسرت الاتصال بالعالم الخارجي وربطت المغرب الاقصى بالاسواق الخارجية حيث قامت هذه الموانئ بشحن البضائع المستوردة الى داخل البلاد وخارجها ومن ناحية اخرى في استقبال البضائع القادمة من السودان ومن مدن المغرب الاقصى ومن غيرها من البلدان وتصديرها الى بلاد الاندلس. وقد بدأت هذه الموانئ المغربية دورها في تنشيط حركة التبادل التجاري، ومن هذه الموانئ:-

١ -سبتة:-

"بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وتاء مثناة من فوق وفي اخرها هاء، مدينة في اقصى المغرب بين البحر المحيط والروم"[1]، وحدد ابن سعيد موقع سبتة حيث الطول[ó] تسع درجات والعرض[ó ó] خمس وثلاثون درجة[ó ó ó] ونصف[2].

---

(1)مجهول مؤلف،مخ.معجم البلدان،رقم الورقة ٣٥؛ وينظر ابو لفدا،تقويم البلدان،ص١٣٢.

(ó) الطول:يجئ في قولنا عرض البلد كذا وطوله كذا، وهو من الفاظ المنجمين. فسروه فقالوا:معنى قولنا طوله اي بعده عن اقصى العمارة سوى آخذه في معدل النهار او في خط الاستواء الموازي لهما،وذلك لتشابه بينهما يقيم احدهما مقام الاخر،. فطول البلد،على ذا،هو بعده عن المغرب الا ان في هذه النهاية بينهم اختلافا فان بعضهم يبتدئ بالطول من ساحل اوقيانوس الغربي، وهو البحر المحيط،وبعضهم يبتدئ به من سمت الجزائر الواغلة في البحر المحيط قريبا من مائتي فرسخ،تسمى جزائر السعادات،والجزائر الخالدات وهي بجبال بلاد المغرب. ولهذا ربما يوجد في البلد الواحد في الكتب نوعان من الطول بينهما عشر درج ،فيحتاج في تمييز ذلك الى فطنة،الحموي،معجم البلدان،ح١،ص٣٩.

(ó ó)العرض: ان عرض البلد مقابل لطوله الذي ذكر قبل،ومعناه عند المنجمين هو بعده الاقصى عن خط الاستواء نحو الشمال لان البلد والعمارة في هذه الناحية،وتحاذيه من السماء قدس عظيمة شبيهة به واقفة بين سمت الرأس وبين معدل النهار، ويساويه ارتفاع القطب الشمالي فلذلك يعبر عنه به،وانحطاط القطب الجنوبي وان ساواه ايضا فانه خفي لا يشعر به.الحموي،م،ن،ح١،ص٣٩.

(ó ó ó)الدرجة والدقيقة: فهي ايضا من نصيب المنجمين يجئ ذكرها في هذا الكتاب في تحديد الطول والعرض.قالوا: الدرجة قدر ما تقطعه الشمس في يوم وليلة من الفلك وفي مساحة الارض خمسة وعشرون فرسخا. وتنقسم الدرجة الى ستين دقيقة، والدقيقة الى ستين ثانية والثانية الى ستين ثاللثة، الحموي،م،ن،ح١، ص٣٩.

(2)ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٣٩؛ ينظر ابن سعيد،بسط الارض في الطول والعرض، ص٧٣.

وصف ابن حوقل[1] المدينة قائلا: مدينة سبتة وهي لطيفة على نحر البحر وبها بساتين واجنة تقوم باهلها وماءها داخلها يستخرج من ابار بها معين ومن خارجها ايضا من الابار شيء كثير عذب ولها مرسى قريب الامر".

وبهذا ميز ابن حوقل سبتة بانها ذات موقع بحري ممتاز، وانها مركز زراعي ايضا. كما وصف مرسى سبتة قريب من المدينة وهذا مما يسهل وينشط الحركة التجارية فيها.

واكد البكري على الموقع البحري لمدينة سبتة وانها شبه جزيرة لاحاطتها بالمياه من ثلاث جهات الشمال والجنوب والشرق "وهي على ضفة البحر الرومي وهو بر الزقاق الداخل من البحر المحيط وهي في طرف من الارض داخل من الغرب الى الشرق ضيق جدا والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة"[2]، وهذا ما جعلها مركز تجاري بحري نشط ساعد على نشاط حركة التجارة البحرية فيها، ويضاف الى ذلك فان هذه المدينة الكبيرة كانت محاطة بسور مبني من الصخور لحمايتها وقد بناه خليفة الاندلس الاموي الناصر فترة حكمه (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، وان بناء هذا السور كان ايام خضوع المدينة لسيطرة الخلافة الاموية في الاندلس.

ولم ينس البكري باعطاء معلومات عن التركيب السكاني للمدينة، مؤكدا على قدم سبتة من الاثار الموجودة فيها.

اما الادريسي[3] فقال عنها: "مدينة سبتة فهي تقابل الجزيرة الخضراء وهي سبعة اجبل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة طولها من المغرب الى المشرق نحو ميل ويتصل بها من جهة المغرب وعلى ميلين منها جبل موسى.. وتجاوره جنات وبساتين واشجار وفواكه كثيرة وقصب سكر واترج يتجهز به الى ما جاور سبتة من البلاد لكثرة الفواكه بها". وهكذا بالرغم من اهتمام الادريسي بموقع سبتة الا انه اكد على اهمية انتاجها الزراعي الذي يصدر الفائض منه الى المناطق المجاورة لها.

ويكمل الادريسي وصفه "ومدينة سبتة سميت بهذا الاسم لانها جزيرة منقطعة والبحر يطيف بها من جميع جهاتها الا من ناحية المغرب... وبمدينة سبتة مصايد للحوت.. ويصاد بها من السمك نحو مائة نوع ويصاد بها السمك التن.. ويصاد بمدينة سبتة شجر المرجان"[4]، ونجد من خلال نص الادريسي ان سبتة المحاطة بالماء من ثلاث جهات هي مركز لصيد الحيتان اولا وصيد المرجان ثانيا، فهي كثيرة الثروات الطبيعية مما جعلها مركز تجارري كبير للتصدير.

---

(1)صورة الارض،ص٧٨-٧٩.

(2)المغرب في ذكر بلاد،ص١٠٢-١٠٣؛ ينظر مجهول مؤلف،قطعة من كتاب الجغرافيا،مخ،رقم الورقة ٧.

(3)وصف افريقيا،ص١٠٧.

(4)م،ن،ص١٠٨.

اما ابن سعيد[1] فقد اكد على نشاط سبتة التجاري البحري بقوله: "وهذه المدينة بين بحرين وهي ركاب البرين، شبه الاسكندرية في كثرة الحط والاقلاع وفيها التجار الاغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة ولا يحوجون صاحبها الى تقاض".

من نص ابن سعيد يتضح لنا ان سبتة كانت كالاسكندرية ميناء لحط السفن واقلاعها وخاصة السفن القادمة من الهند. وان اسواقها عامرة بتجار اغنياء لهم القدرة على شراء مركب كامل ببضائعه من دون مفاصلة حول السعر.

واكد شيخ الربوة على ان سبتة "محط السفرة والتجار"[2]، وهذا دليل على ان مدينة سبتة كانت مركزا تجاريا مشهورا دائما وهذا ما اكدته مصادرنا التراثية الاخرى[3].

٢-طنجة:-

بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء في الاخر[4]، حدد ابن سعيد طولها "٨درجات و ٣١ دقيقة وعرضها ٣٥ درجة و ٣٠ دقيقة"[5]. وهي من الموانئ المهمة في بلاد المغرب الاقصى وقد قال عنها ابن حوقل: "طنجة مدينة ازلية اثارها بينة وابنيتها بالحجارة قائمة على وجه البحر سكنها اهلها قديما... واكثر اموال اهلها من الزرع حنطة وشعير وحبوب وماؤها مجلوب اليها"[6].

ومن وصف ابن حوقل للمدينة يتبين لنا انها قديمة، وان سكانها اثرياء اصحاب ثروات ويعزو ذلك الى نشاطهم الزراعي لا سيما في زراعة الحبوب والذي يبدو لنا ان ثروتهم جاءت من الزراعة الواسعة للحبوب التي كانت ليست للاستهلاك فقط بل للتصدير ايضا.

---

(1) الجغرافيا،ص١٣٩؛ ينظر ابن سعيد،بسط الارض،ص٧٣؛ وعن وصف المدينة وميناءها، ينظر القزويني ،اصار البلاد،ص٢٠١،مجهول مؤلف،الاستبصار،ص١٣٧؛ البغدادي،مراصد الاطلاع،ج٢،ص٦٨٨؛ ابن عذري،البيان،ج١،ص٢٨٦-٢٨٧؛ الحميري،الروض،ص٣٠٣؛ابن الخطيب،مشاهداته،ص١٠١-١٠٢.

(2) نخبة الدهر،ص٢٣٥.

(3) ينظر البلخي،مخ،صور الاقاليم،ورقة رقم ٣٣. العمري،مسالك الابصار،ج٤،ص٩١-٩١؛ القلقشندي،صبح الاعشى،ج٥،ص١٥٢-١٥٣؛ التلمساني،نفح الطيب،ج١،ص٣١-٣٢-٣٥؛ المراكشي،المعجب،ص٣٥٣؛كما ان الكتاب المدثين اكدوا على حقيقة كون سبتة مركز تجاري مهم ومشهور في المغرب الاقصى ينظر السامرائي،علاقات،ص٤١٥-٤٢٠؛محمد بن عبود،تاريخ المغرب،ص٨٥؛السائح الحضارة،ص١٤٢؛ فنر،الحضارة الاسلامية،ج١،ص٣٢٢؛ الطيبي،دراسات،ص٣٠٤؛ جاك كاني،"مدينة سبتة اواسط ق٥هـ/١١م" مجلة البحث العلمي،ع٢٠-٢١(لمغرب ١٩٧٣)،ص١٣٥؛ العربي،محمد،"سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الاسلامية،مجلة المناهل ع٢٢(المغرب ١٩٨٢)،ص١٠٢.

(4) القلقشندي،م،ن،ج٥،ص١٦٥.

(5) بسط الارض في الطول والعرض،ص١١٣.

(6) صورة الارض،ص٧٩.

تقع مدينة طنجة على شاطئ البحر المتوسط، ووصفها البكري[١]بـــ"محط للسفن اللطاف لان الريح الشرقية توذي فيه وهي طنجة البيضاء"، واحتمال المقصود هنا هو السفن المتوسطة الحجم اي ليست بالكبيرة او الصغيرة. وسجل الادريسي قائلا: "مدينة طنجة قديمة ازلية وارضها منسوبة اليها وهي على جبل مطل على البحر وسكن اهلها منه في مسند الجبل الى ضفة البحر وهي مدينة حسنة لها اسواق وصناع وفعلة وبها انشاء المراكب وبها اقلاع وحط وهي على ارض متصلة بالبر فيها مزارع وغلات وسكانها برابر ينسبون الى صنهاجة"[٢].

من نص الادريسي هذا نستنتج:-

١-ان طنجة تقع على جبل مطل على البرح المتوسط وان استقرار اهلها على سفح الجبل المواجهة للبحر.

٢-في طنجة دار لصناعة السفن فهي مركز صناعي فيها الصناع والعمال.

٣-وهي مركز الحط واقلاع السفن مما يدل على عظم الحركة التجارية في هذه المدينة.

٤-كما انها ارض زراعة وغلات.

ومن المؤكد ان كل ذلك أهلها لتكون مركزا تجاريا مهما في المغرب الاقصى. واذا كانت الرياح الشرقية التي اشار اليها البكري والتي ذكرناها انفا تعرقل حركة السفن فان نشاط التجارة البحرية اصبح يمارس في الغالب صيفا كما ذكرت المصادر [٣].

ب-مركز ساحل المحيط الاطلسي:-

١-بحيرة آريغ:- قال ابن حوقل عن بحيرة آريغ: "بحيرة اصلها من البحر المحيط صغيرة ترسى فيها المراكب الاندلسية التي تحمل غلات الناحية وفيها يركب اهل البصرة ويشحنون من نواحيهم وناحية بلد بياثة"[٤]، والظاهر ان هذه البحيرة متصلة من اجل ان تحمل المنتجات الزراعية التي كانت تفيض عن حاجة

---

(1)المغرب في ذكر بلاد،ص١٠٩.

(2)وصف افريقيا،ص١٠٨.

(3)ينظر مجهول مؤلف،حيث اشار الى وجود قنطرة تربط طنجة ببلاد الاندلس ولكن مياه البحر طفت عليها قبل ٢٠٠سنة من فتح المسلمين لبلاد الاندلس،الاستبصار،ص١٣٨-١٣٩؛وهو كلام مبالغ فيه ولم يرد الا هنا. الحموي،معجم البلدان،ج٤،ص٤٣؛ البغدادي،مراصد الاطلاع،ج١،ص٨٩٤؛ ابو الفدا، تقويم البلدان،ص١٣٣؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر،ص٢٣٥؛ ابن الخطيب، مشاهداته في بلاد المغرب،ص١٠٣؛ الحميري،الروض،ص٣٩٥،ص٣٩٦؛ العمري،مسالك الابصار،ج١،ص٣١٢-٣١٥؛ القرماني،اخبار الدول،ص٤٦٢؛ المراكشي، المعجب،ص٣٥٤؛ شاكر مصطفى،المدن في الاسلام،ص٨٢؛ كاني،المغرب الشمالي اواسط ق ٥هـ/١١م،مجلة البحث العلمي،ع٢٠-٢١(المغرب ١٩٧٣)،ص١٤٠-١٤١.

(4)صورة الارض،ص٨١؛ وينظر الادريسي،الذي اشار الى هذا المرسى لكنه لم يعط تفصيلات، وصف افريقيا،ص٤٨؛ يوسف كمال،الذي اشار الى هذه البحيرة التي ترسى فيها المراكب الاندلسية وكيف شحن اهل مدينة البصرة بضائعهم، المجموعة،القسم الثالث،ص٢٥٢.

سكان مدينة البصرة فتصدر الى الاندلس.. وهكذا نجد ان المستفيد من ميناء بحيرة آريغ هي مدينة البصرة المغربية والمدن المحيطة بها. ان وجود هذا الممر جعل مرسى آريغ ذا عمق يحيمه من الاعاصير البحرية التي تهدد المراكب ولذا نفترض ان النشاط البحري في الميناء مستمر على مدار السنة وان حركة السفن القادمة اليه والخارجة منه كثيفة.

٢-سلا:- سلا "بلفظ الفعل الماضي من صلا يسلوا: مدينة باقصى المغرب ليس بعدها معمور الا مدينة صغيرة يقال لها غرينطون ثم ياخذ البحر ذات الشمال وذات الجنوب وهو البحر المحيط"[١]، ووصفها الادريسي قائلا: "وعلى ضفة البحر منيعة من جانب البحر لا يقدر احد من اهل المراكب على الوصول اليها من جهته وهي مدينة حسنة حصينة في ارض رمل، ولها اسواق وتجارات ودخل وخرد وتصرف لاهلها وسعة الاموال"[٢]، من نص الادريسي يتض ان سلا تقع على مياه المحيط مباشرة، وان الساحل الذي تقع عليه منيع مما منح المدينة حصانة ومناعة.

لذا فان وصول التجار اليها لا بد ان يكون عن طريق مرساها عبر المراكب التجارية او القوافل التي تأتيها عبر البر، لذا جاء في النص ان اسواقها تعج بالنشاط التجاري الصادر والوارد مما جعل اهلها اثرياء ويكمل الادريسي كلامه عن نشاط التجاري قائلا: "ومراكب اهل اشبيلية[ó] وسائر المدن الساحلية من الاندلس يقلعون عنها ويحطون بها بضروب من البضائع واهل اشبيلية يقصدونها"[٣].

وهكذا نجد ان حركة السفن التجارية لا تنقطع عن مرسى سلا وان الحركة التجارية فيه يمكن تشبيهها بحركة التجارة بميناء سبتة او طنجة من حيث كثرة الحط والاقلاع.

ويستمر الادريسي في كلامه عن سلا قائلا: "والمراكب الواردة عليها لا ترسو منها في شيء من البحر لان مرساها مكشوف وانما ترسى المراكب بها في الوادي"[٤]. ومن المؤكد ان المراكب القادمة كانت تحمل اليها انواع البضائع وتخرج منها بانواع مختلفة. والمراكب لا ترسو بمرسى سلا لانها تتعرض الى الخطر وانما كانت ترسو بالوادي. وهذا الوادي هو نهر اسمير "وتجوز المراكب على فمه بدليل لان في فم الوادي احجار او تروشا تتكسر عليها الماركب وفيه اعطاف لا يدخلها الا من يعرفها وهذا الوادي يدخله المد والجزر في كل يوم مرتين ... واذا كان المد دخلت المراكب به الى داخل الوادي وكذلك تخرج"[٥]. ان المراكب التي تاتي وتريد الدخول عن طريق النهر لا يمكنها ذلك لانه توجد احجار في بداية النهر تتعرض فيه المراكب الى

---

(1) الحموي، معجم البلدان، ح٣، ص٢٣١.

(2) وصف افريقيا، ص٤٨.

(ó) اشبيلية: بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام خفيفة مدينة كبيرة عظيمة ..واشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه ومما فاقت به على غيرها من نواحي الاندلس زراعة القطن، الحموي،معجم البلدان،ح١،ص١٩٥.

(3) وصف افريقيا، ص٤٨.

(4) م،ن،ص٤٨.

(5) م،ن،ص٤٨؛ وينظر الزهري،الجغرافية،ص١١٥؛ ابن سعيد،بسط الارض في الطول والعرض،ص٧٢.

الخطر وانما يوجد هناك تعرجات في النهر لتلافي الاحجار الموجودة وعن طريقها يمكن الدخول ولكن ليس الكل يعرف ذلك وانما يوجد هناك من له علم بذلك وعن طريق ظاهرة المد تدخل المراكب، وبواسطة الجزر تخرج منه.

٣-اصيلا.

ذهب البكري الى ان اصيلا هي "اول مدن العدوة من جانب الغرب"[١]، وهي ارض منبسطة مستوية تحيط بها التلال والمحيط الاطلسي يقع في غرب المدينة وجنوبها. ونتيجة قربها من المحيط فان امواجه كانت تصل الى حائط الجامع، عند ارتجاج البحر، ويصف البكري مرسى اصيلا قائلا: "ومرساها مأمون والمدخل اليه من الشرق ويستدير بالمرسى من ناحية الجوف جسر من حجارة مخلوفة تلف عن السفن المرفاه فيها هيجان البحر"[٢].

وهكذا يوضح لنا البكري كيف ان مرسى اصيلا كان محما من هيجان المحيط الاطلسي وامواجه العالية باستدارة في المرسى من جهة الجنوب وهي عبارة عن جسر من الحجارة تلجأ السفن اليها عند هيجان مياه المحيط الاطلسي.

٤-اسفي.

لقد ارود لنا الادريسي نصا حول هذا المرسى قائلا: "والمراكب تحمل منه او ساقها في وقت السفر وسكون البحر المظلم"[٣]، ان الحركة التجارية في هذا المرسى تكون وقت هدوء المحيط الاطلسي لتلافي السفن المصاعب التي تواجهها من جراء الاعاصير البحرية في المحيط.

وهكذا نجد ان موانئ المحيط الاطلسي كانت مراكز تجارية مهمة، فمنها تحمل الكراكب السلع والبضائع الفائضة عن الاستهلاك المحلي، وكذلك البضائع التي كانت تأتي من مدن المغرب الاقصى الاخرى ومن خارج المغرب الاقصى.

وتوجد هناك مراسى اخرى مطلة على المحيط الاطلسي تصلها المراكب وتقوم بعملية تصدير واستيراد مثل: مرسى مازيغن والبيضاء والغيظ[٤]، واشار البكري[٥] الى وجود مرسى نوز وهو ساحل اغمات، واشار الزهري الى وجود مراسى مثل فضالة وانفا[٦]، ولكننا لا نملك معلومات تفصيلية عن النشاط التجاري لهذه المراسي.

---

(1) المسالك والممالك، ص١١١.

(2) م،ن،ص١١١؛ ينظر اسماعيل، محمود،"ملاحظات حول تاريخ الادراسة"، مجلة الحياة الثقافية،ع٥ تونس ١٩٧٩،ص١٢.

(3) وصف افريقيا،ص٤٩؛ اشار البكري الى مرسى اسفي ولكنه لم يعط اي معلومات، م،ن،ص٨٦؛ وكذلك الزهري،الجغرافية،ص١١٥.

(4) الادريسي،وصف افريقيا،ص٤٨-٤٩.

(5) المسالك والممالك،ص٨٦.

(6) الجغرافية،ص١١٥.

ثانيا: المراكز الداخلية.

١ -فاس:-

وقد ضبطها الحموي فاس بالسين المهملة بلفظ فاس[1]، اما ابن سعيد[٢] فقد ضبط اطوالها حيث اشار قائلا: "الطول عشر درجات وستون دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة". وقد تحدثت العديد من مصادرنا التراثية حول بناء المدينة[٣].

وفي تسميتها اشار ابن الابار[٤] لما حفر اساس هذه المدينة في (عهد ادريس الثاني) عثر على فاس من الذهب "قسمت بمدينة فاس"، اما الزبيدي[٥] فان لديه رأياً اخر حول تسمية المدينة وهو "سميت بفأس كانت تحفر بها وقيل : كثر كلامهم عند حفر اساسها هاتوا الفأس ودوا الفاس فسميت بها وقيل : لان مولاي ادريس سأل عن اسم ذلك الوادي فقالوا له: ساف فسماها فاس بالقلب تفاؤلا وقيل غير ذلك".

وقد اشار المقدسي الى ان اسم القصبة هو فاس وهي وحدة ادارية صغيرة واضاف وتسمى الكورة السوس الادنى[٦].

ووصف ابن حوقل[٧] المدينة "وجميع ما بها من الفواكه والغلات والمطاعم والمشارب والتجارات والموافق والخانات فزائد على شائر ما قرب منها وبعد"، ويدل ذلك ان فاس كانت مركزاً لانتاج سلع وبضائع كثيرة تفيض عن حاجتها وحاجة المناطق المجاورة لها، لذا فهي تصدر هذا الفائض وهذا يعني انها مركز للنشاط التجاري. ووصف ابن حوقل تجارتها مع برغواطة ايضا.

---

(1) معجم البلدان،ج٤،ص٢٣١.

(2) الجغرافيا،ص١٤٠.

(3) ينظر الحموي،معجم البلدان،ج٤،ص٢٣١؛ المراكشي،المعجب،ص٣٥٧-٣٥٩؛ القزويني،اثار البلاد،ص١٠٢-١٠٣؛ ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٤٠-١٤١؛ ابن عذاري،البيان،ج١،ص٣١٧؛ ابن ابي زرع، الانيس،ص٣٠-٤٠؛الحميري،الروض،ص٤٣٤-٤٣٥؛العمري،مسالك الابصار،ج٤،ص٧٥-٧٧؛ شيخ البوة، نخبة الدهر،ص٢٣٦؛ابو الفدا،تقويم البلدان،ص١٢٣-١٢٤؛ ابن الخطيب،مشاهداته،ص١١٠-١١٢؛بروفنسال،نخب تاريخية،ص٢١-٢٤؛ السوسي،محمد المختار،سؤس العالمة(مطبعة فضالة المغرب الاقصى،١٣٨٠هــ/١٩٦٠م)؛ محمود اسماعيل،ملاحظات حول تاريخ الادارسة،ص١٠؛ محمد الكتاني،فاس عاصمة الادارسة،ص١٣-١٤.

(4) ابن الابار،ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هــ)، الحلة السيراء،تح حسين مؤنس ط القاهرة ١٩٦٣، ج١،ص٥٥.

(5) تاج العروس،تح محمود الطناحي،ج١٦،ص٣١٧-٣١٨.

(6) احسن التقاسيم،ص٢١٩.

(7) صورة الارض،ص٩١.

واكد صاحب كتاب الاستبصار[1] على خصب ارض فاس وكثرة بساتينها وتنوعها، اما عن تجارتها فاشار "ومن هذه المدينة يتجهز الى بلاد السودان والى بلاد المشرق"، وهذا النص يوضح ان المدينة كانت كثيرة الخيرات سواء المنتج فيها او المجلوب اليها ومن ثم ينقله التجار الى مختلف البلاد الى بلاد السودان والى بلاد المشرق وهذا ما يؤكد وجود علاقات تجارية واسعة لفاس.

اما الزهري[2] فانه كتب عن فاس حاضرة المغرب ومكانتها التجارية، فوصف نهرها والعيون المائية واوديتها وجبالها وجناتها مما يدلل على انها مركز زراعي. اما كونها مركزاً تجارياً فقال: "وهي دار مملكته يقصدها الناس من جميع الاقطار واليها يجلب من جميع الاقاليم كل شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الاثمان من اليمن والعراق والشام والاندلس".

ان النص يوضح لنا ان المدينة كانت محط انظار التجار من جميع البلدان لذلك قصدوها بقوافلهم التجارية وتحملوا مشاق السفر وبعد المسافات وجلبوا لها مختلف الامتعة والبضائع الغالية ليتاجروا وهكذا ارتبطت فاس بعلاقات تجارية مع اقاليم المشرق العراق والشام واليمن ومع الاندلس ايضا.

اما الادريسي[3] فوصفها قائلا: "مدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الاقصى"، وهكذا فالمكانة التي تتمتع بها فاس ربما كانت سبباً في ازدهارها التجاري، فقد اشار الادريسي[4] الى ذلك قائلا: "مدينة فاس هي حضرتها (المغرب الاقصى) الكبرى ومقصدها الاشهر وعليها تشد الركائب واليها تقصد القوافل ويجلب الى حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والامتعة الحسنة واهلها مياسير"، فهي محطة تقصدها القوافل التجارية من مختلف البلاد البعيدة والقريبة جالبة معها البضائع المختلفة وهذا مما ادى الى انتعاشها اقتصاديا وارتفاع مستوى المعيشة بها.

٢-البصرة المغربية.

وهي من المدن المهمة في اقليم المغرب الاقصى وموقعها كما قال الاصطخري[5] ، "بحذاء جبل طارق وبينها وبين الجزيرة المذكورة عرض البحر اثنا عشر ميلا"، وكانت البصرة المغربية موصوفة بالخصيب والخير وهي مدينة كبيرة ووصفها ابن حوقل[6]،"مدينة مقتصدة عليها سور ليس بالمنيع ولها مياه عن خارجها من عيون عليها بساتين من شرقيها ولها غلات كثيرة من القطن المحمول الى افريقية وغيرها ومن غلاتهم القمح والشعير والقطاني وسهمهم

---

(1)مجهول مؤلف،ص١٨٣.

(2)الجغرافية،ص١١٤.

(3)وصف افريقيا،ص٥٣.

(4)وصف افريقيا،ص٥٣.

(5)مسالك الممالك،ص٣٨.

(6)صورة الارض،ص٨٠.

من ذلك وافر"، وهكذا صدرت البصرة المغربية منتجاتها الزراعية الفائضة عن حاجتها الى المغرب الادنى.

وكذلك الى بلاد برغواطة[١](وهي مناطق السهل الساحلي المطل على المحيط الاطلسي). والبصرة تمتلك ثروة حيوانية كبيرة لذا فقد عرفت ببصرة الذبان لكثرة البانها[٢]، ومما ذكره الادريسي[٣] ان اهل البصرة استخدموا نهر سفدد في الوصول الى البحر لنقل سلعهم. وهذا ما اشرنا اليه عند الكلام عن بحيرة ازيغ.

٢-مراكش.

ضبطها الحموي[٤] "بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمة"، اما بالنسبة لعرضها فاشار ابن سعيد[٥]"واختلف في عرض مراكش فقيل احدى وثلاثون درجة والصواب تسع وعشرون درجة".

وتم بناء مراكش في منتصف القرن ٥هـ/١١م، واتخذها المرابطون عاصمة لهم واختلفت المصادر التراثية في سنة تأسيس مراكش، فاشار ابن الخطيب[٦] الى عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م. بينما صاحب كتاب الاستبصار[٧] بين ان المدينة بنيت سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م. وابن عذاري[٨] بين ان سنة البناء تمت في عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م. اما الادريسي[٩] فان سنة لاتأسيس عنده هي ٤٧٠هـ/١٠٧٧م.

---

(1) م،ن،ص٨٣.

(2) المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١١٠؛ وعن تجارة البصرة ينظر؛الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٤٤٠-٤٤١؛ ابن عذاري،البيان المغرب،ج١،ص١٣٣-١٣٤؛ الحميري،الروض،ص١٠٨-١٠٩؛ الوزان،وصف افريقيا،ج١،ص٣١١. المسالك والممالك،ص١١٠؛ وينظر عن تجارة البصرة،الحموي،م،ن،ج١،ص٤٤٠-٤٤١؛ ابن عذاري،م،ن،ج١،ص١٣٣-١٣٤؛ الحميري،م،ن،ص١٠٨-١٠٩؛الوزان،وصف ،ج١،ص٣١١؛ابن القاضي،جذوة الاقتباس،ج١،ص١١١هامش ١٤٠.

(3)ينظر الادريسي،م،ن،ص١٠٩.

(4)معجن البلدان،ج٥،ص١٦١؛ وينظر القلقشندي،صبح الاعشى،ج٥،ص١٥٦.

(5)الجغرافيا،ص١٢٥.

(6)مشاهداته في بلاد المغرب،ص١٠٨؛ ووافقه في سنة التاسيس السلاوي،الاستقصا،ج٢،ص٢٤.

(7)مجهول مؤلف،ص٢٠٨.

(8)البيان المغرب،ج٤،ص١٩.

(9)وصف افريقيا،ص٤٣؛ووافقه في ذلك الحموي،م،ن،ج٥،ص١٦١.

اما الذي اسسها فهو يوسف بن تاشفين امير المرابطين، بعد ان اشترى الارض من اهل اغمات[١]، واشار الحموي[٢] الى ان منطقة مراكش كانت قبل بناء مدينة مراكش "مخاضة يقطع فيه اللصوص على القوافل كان اذا انتهت القوافل اليه قالوا مراكش معناه بالبربرية اسرع المشي" ثم بنى يوسف بن تاشفين مراكش "وجعل فيها الارجاء واحدث فيها الجنات واكثر من الحمامات والخانات والرياض والبساتين والثمار من اعناب ونخيل وزيتون"[٣]. واوضح الادريسي[٤] ان "اسواقها مختلفة وسلعها نافقة"، لكن مع ذلك يتبين ان مراكش لم تستطع منافسة المراكز التجارية.

٣-اغمات.

وضبطها القلقشندي[٥] فقال: "اغمات بفتح الالف وسكون الغين المعجمة وفتح الميم والف وتاء مثناة من فوق في اخرها". ووصفها اليعقوبي[٦] "وهو بلد خصب فيه مرعى ومزارع في سهل وجبل واهله قوم من البربر". وكان لاغمات علاقات تجارية مع برغواطة[٧]، واغمات "رستاق فيه مدينة كثيرة الخير والتجارة"[٨]، على حد رأي ابن حوقل. اما البكري[٩] فان اغمات عنده مدينتان "احداهما تسمى اغمات ايلان والاخرى اغمات وريكة وبها مسكن رئيسهم وبها ينزل التجار والغرباء واغمات ايلان لا يسكنها غريب وبينهما ثمانية اميال". وهكذا فان اغمات كانت مقسمة الى قسمين قسم اداري والاخر تجاري.

([1])ينظر الادريسي،وصف افريقيا،ص٤٣-٤٤؛ الحموي،م،ن،ج٥،ص١٦١.

([2])م،ن،ج٥،ص١٦١.

([3])الجغرافية،ص١١٥-١١٦؛ ينظر مؤلف اندلسي مجهول،الحلل الموشية،ص١٥-١٦؛ يوسف كمال،المجموعة،القسم الثالث،ص٣٩٥؛ جلاب،حسن،من تاريخ الماء واساليب التوزيع بمراكش،مجلة دعوة الحق ع٢٦٥(المغرب ١٩٨٧)، ص٧٧-٧٨؛ العرائشي، محمد، اوليات،مجلة دعوة الحق،ع٣(المغرب١٩٨٢)،ص١٠٤.

([4])وصف افريقيا،ص٤٤.

([5])صبح الاعشى،ج٥،ص١٦٦.

([6])البلدان،ص١١٦؛ وينظر ابن رستة،الاعلاق النفيسة،ص٣٠٦.

([7])ابن حوقل،صورة الارض،ص٨٣.

([8])ابن حوقل،م،ن،ص٩١.

([9])المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٥٣؛ وينظر وصف ابن الخطيب،نفاضة الجراب في علالة الاغتراب،تح.احمد العبادي،مراجعة عبد العزيز الاهواني،(القاهرة دار الكتاب العرب،ب.ت)، ص٥٥.

اما الادريسي[١] فانه بعد ان وصف المدينة وبناءها وبساتينها والنهر والارجاء والقبائل التي تسكن فيها، ووصف اهلها الى انهم يمتلكون رؤوس اموال ضخمة نتيجة التجارة حيث اشار قائلا: "وهم املياء تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان باعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال"، ويضيف حول مقدرة اهلها في التجارة "وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله الاوله في قوافلهم المائة حمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقرة"[٢]، "وبابواب منازلهم علامات تدل على مقادير اموالهم"[٣]، وهكذا فان النشاط التجاري كان كبيرا واسعا في اغمات، وان اهلها كانوا يمتلكون اموالاً طائلة قد جنوها من التجارة وخصوصا مع بلاد السودان.

٤ -سجلماسة.

بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم ثم الف وسين مهملة مفتوحة وهاء في الاخر[٤]، وسجلماسة"اسم القصبة"[٥]، وهي مدينة في جنوب المغرب الاقصى في اخر الاقليم الثاني من الاقاليم السبعة[٦]، وضبط ابن سعيد[٧] اطوالها "الطول ثلاث عشرة درجة واثنتان وعشرون دقيقة والعرض ست وعشرون درجة واربع وعشرون دقيقة".

تعد سجلماسة على حد قول ابن حوقل[٨] "مركزاً تجارياً مهماً، وبها ارباح متوتفرة ورفاق متقاطرة واهلها قوم سراء مياسير وابنيتها كابنية الكوفة"، اما المقدسي[٩] فانه وصفها قائلا: "كثيرة الخيرات موافقة لهم يقصدونها من كل بلد".

---

(1) وصف افريقيا،ص٤٢.

(2) م،ن،ص٤٣.

(3) م،ن،ص٤٣؛ وللمزيد عن اغمات ينظر مجهول مؤلف،الاستبصار،ص٢٠٧؛ الحموي،معجم البلدان،ج١،ص٢٢٥؛ ابو الفدا،تقويم البلدان،ص١٣٥؛ ابن الخطيب،مشاهداته،ص١٠٩؛ الوزان، وصف افريقيا،ج١،ص١٣٥-١٣٦.

(4) القلقشندي،صبح الاعشى،ج٥،ص١٥٨؛ وينظر الزبيدي،تاج العروس،تح.محمود الطناحي،ج١٦،ص١٤١.

(5) يوسف كمال،المجموعة،القسم الثالث،ص٢٨٢.

(6) القلقشندي،م،ن،ج٥،ص١٥٨.

(7) الجغرافيا،ص١٢٤؛ وينظر ابن سعيد،بسط الارض،ص٥٨.

(8) صورة الارض،ص٩٩؛ وينظر عبد العزيز،عبد الله،تاريخ الحضارة المغربية(مطبعة دار السلمى١٩٦٣)،ج١،ص٨٩.

(9) احسن التقاسيم،ص٢٣١.

وفي القرن ٥هــ/١١ م، اشار البكري[1] الى ان بداية مدينة سجلماسة كانت سوقاً يجتمع فيه البربر ثم نمت وتمدنت الى ان اصبحت مدينة مشهورة يقصدها الجميع وفي ذلك يقول: "وموضع سجلماسة اذ ذاك براح يجتمع فيه البربر وقتا ما من السنة يتسوقون لقرب". لذا بداية المدينة كانت سوقاً يقام في السنة مرة واحدة وبعدها نمت واصبحت مدينة كبيرة يقصدها التجار. اما الادريسي فانه اشار الى كون هذه المدينة كثيرة الخيرات ومتنوعة في محاصيلها الزراعية والفائض منها كان يدخل ضمن تجارة المدينة. وان التجار يجتمعون في مدينة سجلماسة ومن ثم يسافرون الى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة"[2].

وهذا يدل على ان المدينة كانت مركزاً لتجمع التجار للسفر الى بلاد السودان جنوبا وعبر الصحراء.

وهذا ما اكده القزويني[3] فبعد ان وصف المدينة جغرافيا وبين موقعها وزراعتها وصناعتها، تكلم على ثراء اهلها نتيجة لتجارتهم بالذهب مع بلاد غانة فقال: "واهل هذه المدينة (اي سجلماسة) من اغنى الناس واكثرهم مالاً لانها على طريق غانة التي هي معدن الذهب"، ووصف سجلماسة بانها "مدينة محمودة ومشكورة ... وبلد تبر واديم ومنمى تجر ومكسب"[4]، وان "اهلها مياسير ولها متاجر الى بلاد السودان"[5]، وانها "مدينة متحضرة دورها جميلة وسكانها اثرياء بسبب تجارتها مع بلاد السودان"[6]، وهكذا نجد ان مصادرنا التراثية تجمع على ان سجلماسة مركز تجاري للاتجار مع بلاد السودان، وان هذه التجارة كانت سبب ثرائها وترف اهلها واشتهارها مركزاً تجاياً مهماً في المغرب الاقصى.

---

(1) المسالك والممالك،ص١٤٩؛ وينظر مجهول مؤلف،الاستبصار،ص٢٠٠-٢٠٢.

(2) الحموي،معجم البلدان،ح٢،ص١٢.

(3) اثار البلاد،ص٤٢.

(4) ابن الخطيب،مشاهداته،ص١١٣.

(5) القلقشندي،صبح الاعشى،ح٥،ص١٥٩.

(6) الوزان،وصف،ح٢،ص١٢٧؛ وينظر يوسف كمال،المجموعة، القسم الثالث،ص١٠١.

الفصل الثالث

الصادرات والواردات

المبحث الاول // الصادرات.

١-الى اقليمي المغرب الاوسط والادنى.

أ.المنتجات الزراعية.

ب.الثروات الحيوانية.

ت.المعادن والمصنوعات.

ث.منتجات مستوردة يعاد تصديرها.

٢-الى مصر والمشرق الاسلامي.

٣-الى بلاد السودان.

٤-الى بلاد الاندلس.

المبحث الثاني// الواردات.

أ.من اقليمي المغرب الاوسط والادنى.

ب.من مصر والمشرق الاسلامي.

ت.من بلاد الاندلس.

ث.من بلاد السودان.

المبحث الثالث// التبادل التجاري الداخلي في اقليم المغرب الاقصى.

المنتجات الزراعية والحيوانية.

اولاً: - الصادرات.

تنوعت صادرات المغرب الاقصى بين منتجات زراعية وحيوانية وثروات طبيعية وسلع مصنعة يضاف الـــى ذلك بضائع وسلع مستوردة اعيد تصديرها، وقد حملت هذه المنتجات والبضائع والسلع الـــى خـــارج المغــرب الاقصى وباتجاهات مختلفة كما سنرى.

١-الى اقليمي المغرب الاوسط والادنى.

أ.المنتجات الزراعية.

تشكل المنتجات الزراعية رأس قائمة صادات المغرب الاقصى وهي متنوعة، فقد صـــدرت بـــصرة المغــرب الفائض من انتاجها الى المغرب الادنى (افريقية) ومن هذا سجل ابن حوقل قائلا: "ولها غلات كثيرة من القطـــن المحمول الى افريقية"[1]، ومن مدينة تادلة التي عرفت بزراعة انواع القطن الجيد حمل الـــى كـــل الجهـــات[2]، واشتهرت مدينة اخرى من مدن المغرب الاقصى ب"غلات القطن"[3]، وهي سجلماسة ومن المؤكد ان الفـــائض منه كان يصدر الى حيث الطلب عليه. اما الكتان فقد اشتهرت بانتاجه الكثير بصرة المغـــرب وكـــان تجارهـــا "يتبايعون في بدء امرها في جميع تجارتهم بالكتان"[4]، ومن هذا نستطيع القول ان الكتان كان منتوجـــا زراعيـــا مهما في قائمة صادرات البصرة. اما منتوج الحناء الذي اشتهرت بزراعته مدينة سجلماسة فكان "يتجهز منهـــا، الى سائر بلاد المغرب"[5]، كما اشتهرت بلاد درعة بزراعة الحناء[6]، وتصديره الى اقـــاليم المغـــرب واشـــار الادريسي الى ذلك قائلا: "ونبات الحناء يكبر فيها حتى يكون في قوام الشجر يصعدون اليه ومنها يؤخـــذ بـــذرة ويتجهز به الى كل الجهات"[7]، ومن الواضح من النص ان بنات الحناء في هذا الاقليم كان من احسن الانـــواع، لذا فانهم يتركون شجرته تكبر فيستطيعون جني بذور التي يصدرونها ايضا. ومن بين غلات مدينة سجلماســـة الكمون والمراوية، وهذين المحصولين مميزين في هذه المدينة والفائض مـــن انتاجهمـــا كـــان يـــدخل ضـــمن التصدير الى بلاد المغرب[8].

زرع النيلج في بلاد درعة، وصور الى سائر بلاد المغرب وفي هذا ذكر الادريسي "واما النيلج المزروع فـــي درعة فليس طيبه هناك ولكنه يتصرف به في بلاد الغرب لرخصه وربما خلط مع غيره مـــن لانـــيلج الطيـــب ويباع معه"[9]، من لانص يتبين ان النيلج المزروع في درعة ليس من النوعية الجيدةن وانما يقومـــون بعمليـــة خلطه مع النيلج الطيب ويتم تصديره.

---

(1) صورة الارض، ص٨٠.

(2) الادريسي، وصف، ص٥٠.

(3) الادريسي، م، ن،ص٣٨؛ وينظر مجهول مؤلف، الاستبصار، ص٢٠٦.

(4) البكري، المغرب، ص١١٠.

(5) الادريسي، م، ن،ص٣٨؛ وينظر مجهول مؤلف، م، ن،ص٢٠٦.

(6) م، ن، م، ن،ص٣٩.

(7) م، ن، م، ن، ص٣٩؛ وينظر ابن سعيد، بسط الارض، ص٥٨.

(8) الادريسي، وصف، ص٣٨؛ وينظر مجهول مؤلف، الاستبصار، ص٢٠٦.

(9) الادريسي، م،ن، ص٣٩.

وشاتهرت بلاد السوس الاقصى بزراعة قصب السكر الذي كان يحمل منها الى جميع البلاد[١]، ووصفه الادريسي "وقصب السكر الذي ليس على قرار الارض مثله طولا وعرضا وحلاوة وكثرة ماء ويعمل ببلاد السوس من السكر المنسوب اليها ما يعم اكثر الارض"[٢].

وهناك الكثير من المنتجات الزراعية انتجتها ارض المغرب، ولكن لم نجد اشارة صريحة في مصادرنا تعرفنا على تصديرها وعلى الجهة المصدرة اليها، ولكن الذي نفترضه ان الفائض عن حاجة من هذه المنتجات لا بد ان كان يدخل ضمن قائمة الصادرات (الداخلية والخارجية). نذكر منها مثلا القمح والشعير الذي يزرع بكثرة في بصرة المغرب[٣]، وفاس[٤]، وطنجة[٥]، وسجلماسة[٦]، واغمات[٧]. والسمسم الذي تنتجه مزارع مدينة اغمات[٨]. والتمور بانواعها التي اشتهرت بها مدن المغرب الاقصى كسجلماسة[٩] واغمات[١٠] ومراكش[١١] ومنطقة السوس الاقصى[١٢]. لا بد انها كانت تشكل جزءا من صادرات المغرب الاقصى.

ب.الثروات الحيوانية.

عرفت مدينة بصرة المغرب بكثرة الثروة الحيوانية فيها لسعة مراعيها. وان كثرة انتاجها للالبان حتى انها سميت "ببصرة الذبان"[١٣].

ومن مدينة سلا كان ينقل نوع من السمك يسمى "الحوت الطيب المعروف عندهم بالشابل الذي يكون في اختلاط الماء المالح بالحلو ويحمل من هناك الى الافطار"[١٤]، والظاهر ان هذا النوع من الاسماك لا يوجد الا

---

(1) البكري، المغرب، ص١١١؛ الادريسي، م، ن،ص٣٩.

(2) الادريسي، م، ن،ص٣٩.

(3) ابن حوقل، صورة الارض، ص٨٠؛ وينظر البكري، المغرب، ص١١٠.

(4) الادريسي،م،ن،ص٥٠؛ الحميري،الروض،ص٣٣٤؛ الوزان،وصف،ح١،ص٢٠٧؛ السنوسي،الدرر،ص٧١.

(5) ابن حوقل،م،ن،ص٧٩.

(6) اليعقوبي،البلدان،ص١١٦؛ابن رسنة،الاعلاق النفيسة، ص٣٥٩؛ المقدسي،احسن التقاسيم،ص٢٣١.

(7) لادريسي،وصف،ص٤٢؛مجهول مؤلف،الاستبصار،ص٢٠٧؛الوزان،وصف افريقيا،ح١،ص١٣٦.

(8) ابن حوقل،صورة الارض،ص٩١.

(9)ابن حوقل،م،ن،ص٩١؛المقدسي،م،ن،ص٢٣١؛ الادريسي،وصف،ص٣٨؛ مجهول مؤلف،م،ن،ص٢٠١؛ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٢٤؛ ابو الفدا،تقويم البلدان،ص١٣٧؛الحميري،الروض،ص٣٠٦؛القلقشندي،صبح الاعشى، ح٥،ص١٥٩.

(10) ابن حوقل،م،ن،ص٩١.

(11) الوزان، م،ن،ح١،ص١٢٢.

(12)مزهري، الجغرافية، ص١١٨؛ الحميري، م،ن،ص٧١.

(13) البكري، المغرب، ص١١٠.

(14) ابن سعيد، بسط الارض في الطول، ص٧٢.

في هذه المدينة التي اشتهرت به ولذلك كان ينقل الى سائر الاقطار المحيطة بـــاقليم المغـــرب الاقـــصى ومـــن الممكن انهم كانوا يقومون بعملية تجفيفه وتمليحه لكي يحفظ ولا يتلف اثناء النقل.

وعن طريق المغرب الاقصى كانت تصدر دواب الفنك التي كان التجار يجلبوها "دواب الفنك اكثر شـــيء فـــي هذه الصحراء ومنها يحمل الى جميع البلاد"[١].

ت.المعادن والمصنوعات.

تميز اقليم المغرب الاقصى بوجود عدد من المعادن كانت تدخل ضمن صادراته وهي:

معدن النحاس ضمن مدينة داي[ó]، وكما سجل الادريسي يوجد "معدن النحاس الخالص الذي لا يعدله غيره من النحاس بمشارق الارض ومغاربها" [٢]، ان الدن الموجود في هذه المدينة هو من اجود معادن النحـــاس وذلـــك لان له ميزة مهمة جدا وهي عدم اختلاطه مع بقية المعادن كما انه "نحاس حلو لونـــه الـــى البيـــاض يتحمـــل التزويج ويدخل في لجام الفضة وهو اذا طرق جاد ولم يتشرح كما يتشرح غيره مـــن انـــواع النحـــاس"[٣]، ان صفات نحاس مدينة داي لا بد ان جعل الطلب عليه كثيرا.

ومن السوس الاقصى نجد ان النحاس يحمل الى افريقية ويسميه الزهري ب"النحاس المصبوغ السوسي"[٤].

كما ذكرنا ان مدينة تادلة اشتهرت بانتاجها للقطن. وقد قامت على هذا الانتـــاج صـــناعة الثيـــاب القطنيـــة[٥]، واشتهرت بلاد السوس بالالبسة الرقاق والثياب الرفيعة والثياب الصوفية التي كانت تنسج بمدينة سجلماســـة[٦]، كانت تحمل الى سائر بلاد المغرب بسبب الصناعة الجيدة والمتميزة. كما حملت من فاس البـــرانس المديونيـــة الى بلاد المغرب[٧]. وفي وادي درعة نجد نوع من الاشجار يسمى "شجر التاكوت"[٨]، وثمـــار هـــذه الـــشجرة مهمة ولا توجد الا في وادي درعة لذا فيصدرون اوراقها الى غدامس بالمغرب الادنى من اجـــل عمليـــة دبـــغ الجلود.

---

(1) البكري، م،ن،ص١٧١.

(ó) داي:مدينة في اسفل جبل خارج من جبل درن، وبين مدينتي داي وتادلة مرحلة، ينظر:الادريسي، وصف،ص٤٩.

(2) م، ن، ص٤٩.

(3) م،ن،ص٤٩.

(4) الجغرافية، ص١١٧.

(5) الادريسي، وصف، ص٥٠.

(6) الادريسي، م، ن،ص٣٩.

(7) البكري، المغرب، ص١٤١.

(8) البكري، م،ن،ص١٤٧.

عرف عن المغرب الاقصى انتاج العسل، فالسوس الادنى ينتج كميات وفيرة، من العسل[١]، والسوس الاقــصى تميز بانتاج كميات كبيرة من العسل[٢]، ان هذا الانتاج الوفير يدخل ضمن صادرات المغرب الاقصى الى سائر بلاد المغرب.

ث.منتجات مستوردة يعاد تصديرها.

يعد لاذهب اهم السلع اليت يعاد تصديرها، حيث يحمل من لاسودان الغربي الى المغــرب الاقــصى[٣]. عبــر طريق القوافل التجاري الغربي وبعد ان تحط القوافل المحملة بالذهب في مدينة سجلماسة يصدر الفــائض عــن الحاجة عبر موانئ المغرب الاقصى اسفي واصيلا وسبتة[٤]، الى خارج المغرب الاقصى حيث الطلب عليه.

٢-الى مصر والمشرق الاسلامي.

لقد شملت قائمة السلع التي كان المغرب الاقصى يصدرها الى مصر والمشرق الاســلامي مجموعــة مختلفــة ومتنوعة. فمن سواحل سبتة استخرج المرجان[ó]، ويصنع ويحمل الى سائر البلاد[٥]. وحمل التجار الى مــصر العنبر المغربي[óó][٦]، وشاهدنا ناصر خسرو قطعة من البلور الصخري واردة من بلاد المغرب الى مصر[٧].

ومن المغرب الاقصى حملت الى مصر والمشرق انواع من المعادن منها: الذهب الذي ياتي من بلاد الــسودان الى سجلماس[٨]، حيث حمل الجزء الكبير منه الى مصر والمشرق الاسلامي[٩]. ومن مدينة فاس كــان يــصدر

---

(1) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٨٤.

(2) البكري، المغرب، ص١٦٢.

(3) ابن سعيد، بسط الارض،ص٢٦؛ العمري،مسالك الابصار،ح٤،ص٤٨.

(4) نشاط مصطفى، التجارة، ص٣٥.

(ó) المرجان:افضله ما عظم منه وغلظ ويسمى الشاخ وماشتدتحمرته وسبط وقطعت العقد الكبار من اسالفه وهو يسمى السبد وسلم من السوس. وادونه ما دق منه ويسمى ساق الجراد وارواه مادق منه وسوس والواقع والناقص اللون، الدمشقي، محاسن التجارة،ص١٧.

(5) مجهول مؤلف،مخ، عجائب البلدان والجبال والاحجار، ورقة ٣٣، الادريسي، وصف،ص٣٩.

(óó) اجوده ما جلب من شجر عمان وخير اوصافه الخنة والبياض والدهنية او ان يميل لونه الى الخضرة والصفرة ميلا يسيرا ثم المغرب ما كان منه في الاوصاف المحمودة التي تقدم ذكرها والسنة المندو لونه يضرب الى السواد والمرمل والناشف وما ثقل وزنه ويجب ان يكون الاحتفاظ عليه من النار اكثر من غيرها، الدمشقي،م،ن،ص١٩.

(6) النويري، نهاية الارب، السفر ١٢، ص٢٠.

(7) حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٦١٤-٦١٦.

(8) مجهول مؤلف،مخ،عجائب البلدان والجبال والاحجار، ورقة٩٨.

(9) حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٦١٤-٦١٦.

النحاس الى المشرق[١]. ويبدو ان نحاس المغرب الاقصى كان ذو نوعية جيدة ولذا فان القوافل التجارية قطعت المسافات الطويلة محملة الى المشرق.

واورد لنا ابن حوقل قائمة بمواد متنوعة كان المغرب الاقصى يصدرها الى المشرق الاسلامي وهي "الرقيق الذي يجلب من بلاد السودان ومن ارض الاندلس والصقالبة والاكسية. بمختلف انواعها والمعادن والمواشي"[٢]. ان القائمة توضح ان المغرب الاقصى كان يمثل سوق كبير يلتقي فيه التجار القادمين من مختلف المناطق وهم يحملون شتى انواع البضائع والسلع، فمن بلاد الاندلس حمل الى ارض المغرب الاقصى الرقيق الابيض الاتي عن طريق الحروب او الشراء وعرضه في اسواق المغرب الاقصى ويتم حمله بعد ذلك الى المشرق الاسلامي وكذلك الرقيق الاتي عن طريق بلاد السودان يحمل هو الاخر الى المشرق. كما حمل التجار من الاندلس الاكسية بمختلف الانواع كالحرائر والاقطان وغيرها من المنسوجات الاندلسية المتميزة[٣].

بالاضافة الى ذلك وضح لنا النص ان المواشي كانت ضمن الصادرات وشملت طلبات المشرق من المغرب الاقصى على التمور، والقرظ[ó]، واللبودة[ó ó]، والبزاة السود[٤].

ومن هذا يمكن لنا ان نتبين ان القوافل التجارية وخط سيرها من المغرب الاقصى عبر مصر الى المشرق الاسلامي كان لا ينقطع، ويمكن ان نعزي ذلك الى الطلب الكبير على هذه البضائع والسلع.

٣-الى بلاد السودان.

لقد شملت قائمة السلع المصدرة من بلاد المغرب الاقصى الى بلاد السودان على بضائع متنوعة ومختلفة المنشئ فبالاضافة الى المنتجات المغربية نجد منتجات مشرقية واندلسية وغيرها، وهذا يدلل على نشاط الحركة

---

(1) مجهول مؤلف، الاستبصار، ص١٨١.

(2) صورة الارض، ص٩٧.

(3) ابن حوقل، م،ن،ص٩٧.

(ó) القرظ: وهو ورق السلع تدبغ به الجلود، الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في ق ٤هـ،ط٢، دار المشرق، بيروت ١٩٧٤، ص ١٤١.

(ó ó)اللبود: فضلها مادق ثوبه واستوى نسجه وحسن صبغه وصلب لقوة دلكه ونعم صوته وعلامة استواء ندعه ان مستشف فيتكون شيئا واحدا ليس فيه موضع دقيق ولا موضع غليظ واوردها ما كان بخلاف هذه الصفات ويجب ان يحتاط عليها منالغبار وهي تسوس اذا بقيت مدة لا تستعمل، الدمشقس، محاسن التجارة،ص٢٧.

(4) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢١؛ وينظر القائمة التي اوردها لوفران، جورج، تاريخ التجارة، تر.هاشم الحسني، (منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ب.ت)، المرجان، الصوف العبيد السود، ريش النعام والذهب، ص٤٣-٤٤؛ وينظر العبادي، سالم، احمد مختار، السيد عبد العزيز، تاريخ التجربة الاسلامية في حوض البحر المتوسط(بيروت،١٩٧١، حيث اضاف اليها الديباج، جلود الخز، السيوف والسمور، ص١٦٦.

التجارية في العصر الوسيط مع بلاد السودان. صدر المغرب الى بلاد السودان الاواني الفخارية وهذا ما كشفت عنه التنقيبات الاثرية في مدينة اودغشت عن وجود اواني فخارية تقود الى القرن ٣هـ/٩م[1].

ومن الصادرات الى مدينة اودغست قال البكري "ويجلب اليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الاسلام"[2]، وهي محاصيل زراعية كانت تفتقر اليها المدينة وهي متوفرة في المغرب الاقصى. وحمل من مدينة فاس السميد الى بلاد السودان[3]، بالاضافة الى ذلك كان يحمل الى اودغست ب"النحاس المصبوغ وثياب مصبغة بالحمراء والزقة مجنحة"[4]. اما اقليم السوس فكان يصدر "النحاس المسبوك" الى بلاد السودان[5]. ولما كانت بلاد السودان تفتقر الى المرجان وهو متوفر في مياه مدينة سبتة وهو كالشجر يصاد من بحرها وفي المدينة سوق لتفيله وعمله اشياء[6]، ووصف الادريسي عمليات تصنيعه وتصديره قائلا: "ومدينة سبتة سوق لتفصيله ودلكه وصنعه خرز او ثقبه وتنظيمه .. واكثر ما يحمل الى غانة وجميع بلاد السودان لانه في تلك البلاد يستعمل كثيرا"[7].

ان ما جاء في نص الادريسي يوضح ان المرجان المصنع هو الذي يحمل من سبتة الى السودان الغربي. ومن لاسلع التي يحملها اهل المغرب الاقصى الى بلاد لسودان وكما جاء عند الادريسي "واليها (اي بلاد السودان) سافر اهل المغرب الاقصى بالصوف والنحاس والخرز"[8]، وكان بعض التجار يصدرون الى بلاد السودان خشب الصنوبر والخرز والخواتيم والاسورة[9]. وصدرت مدينة اغمات الى السودان "النحاس الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمزر وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار وضروب من والقطن والات الحديد المصنوع"[10]. ومن الجدير بالذكر انه لما كانت مدينة اغمات ملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف البلدان فان قسما من هذه السلع كان يصلها مع القوافل التجارية كالافاوية والعطور وغيرها. ثم يعاد تصديرها.

---

(1) Dengel-GI'lmamat I bod detahert (761-909) thesde doetoratime cycle stras bourg, universited, scien ceshumaines (1977. p.226-note-9-).

(2) المغرب، ص١٥٨.

(3) مجهول مؤلف، الاستبصار، ص١٨١.

(4) البكري، م،ن،ص١٥٩.

(5) البكري، م،ن،ص١٦٢؛ وينظر مجهول مؤلف، م،ن،ص٢١٢؛ الحميري،الروض،ص٧١.

(6) ابن حوقل، صورة الارض، ص٧٩.

(7) وصف افريقيا، ص ١٠٨.

(8) وصف افريقيا، ص ٤.

(9) القرماني، اخبار الدول، ص ٤٣٨.

(10) الادريسي، م،ن،ص٤٢؛ وينظر الحميري، مسالك الابصار، ح٤،ص٩٤.

ومن مدينة سجلماسة كان التجار يسافرون الى غانة "وجهازهم عقد خشب الصنوبر وهو من اصـناف خـشب القطران، خرز الزجاج الازرق اسورة نحاس احمر وحلق وخواتيم نحاس"[١].

ومن المؤكد ان بعضا من هذه السلع والبضائع هي ليست من سجلماسة وانما يحملها التجار القادمين اليها مـن مختلف الاتجاهات ومنها ينطلقون ببضائعهم وسلعهم الى بلاد السودان الغربي عبر طريق القوافل الـصحراوي الذي يربط سجلماسة بغانة.

وكان الملح يتصدر قائمة المنتجات والبضائع والمصدر الى بلاد السودان لانعدامهم عندهم ولحاجتهم الماسة لـه فقد كان يستخدم في تجفيف الطعام والمحافظة عليه ضمن عادة السودانيين فـي تجفيـف اللحـوم والاسـماك للاحتفاظ بها الى حين وقت الحاجة اليها، بالاضافة الى استخدامته الطبية[٢].

اما اماكن وجود الملح فهو في صحارى المغرب الاقصى ومن اهم مناجم الملح في الصحراء منجم الذي قـال عنه ابن حوقل: "اوليل معدن الملح ببلاد المغرب بينها وبين ادغشت شهرا"[٣]، حدد البكري موقعه بدقـة فهـو على المحيط الاطلسي في اراضي قبيلة جدالة الصنهاجية الصحراوية[٤]. وفي رأي ابـن سـعيد المغربـي ان اوليل هي جزيرة للملح قائلا: "في البحر المحيط جزيرة الملح وطولها من الشمال الى الجنوب درجتان وقليـل ووسعها نصف درجة وفي طرفها يحتوي على البحر مدينة اوليل"[٥]. ويوجد منجم اخر للملح في الصحراء يقع "بين سجلماسة مسيرة عشرين يوم تحفر عنه الارض .. ويوجد تحت قامتين او دونها من وجه الارض ويقطـع كما تقطع الحجارة.. ومن هذا المعدن يتجهز بالملح الى سجلماسة وغانة وساير بلاد السودان"[٦]. وقد تكلم ابـن سعيد عن هذا المنجم فقال: "انه يقع في ارض قبيلة مسوقة (احدى قبائل صنهاجة الصحراء) وهو حصن "مبني على ملح معدني وفيه ياخذ المسافرون الملح الى بلاد السودان وبينه وبين قاعدة عنونة ازفي سبعة ايام"[٧]، مـن هذا يتبين ان مناجم الملح لا توجد في مدن المغرب الاقصى وانما في صحارى المغرب الاقصى وكان التجـار يحصلون عليه نتيجة استبدال بعض بضائعهم بالملح وكان سعر الملح في بلاد السودان مرتفع جـدا لانعدامـه عندهم كما اسلفنا، ولذا فالتجار يستبدلونه بالذهب في الغالب وان سعر الملح داخل بـلاد الـسودان واقاصـيه مرتفع فقد بلغ ما بين مائتين الى ثلثمائة دينار[٨].

---

(1) الحموي، معجم البلدان، ح٢، ص١٢.

(2) الادريسي، وصف، ص٦.

(3) صورة الارض، ص٩٢؛ الادريسي، م،ن،ص٣؛ مجهول مؤلف،الاستبصار،ص٢١٤؛ بوفيل، اي ديليو،الممالك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الصحراء الكبرى، زاهر رياذ،(القاهرة ١٩٦٨)، ص٩٢-٩٣.

(4) المغرب في ذكر افريقية، ص١٧١.

(5)الجغرافيا، ص٩٠.

(6) البكري ،م، ن، ص١٧١.

(7) الجغرافيا، ص١١٣؛وينظر بسط الارض في الطول والعرض، ص٥٧.

(8)

٤ -الى بلاد الاندلس.

نتيجة قرب بلاد الاندلس من المغرب الاقصى وعن طريق موانئ البحر المتوسط وموانئ المحـيط الاطلـسي كانت حركة السفن التجارية لا تنقطع بين الجانبين في ميناء مدينة سلا على ساحل المحيط الاطلـسي حملـت انواع من الماشية كالغنم والمعز والبقر الى الاندلس[١]. ومن مدينة سجلماسة صدر الى الاندلس القمح والـسكر والكروم والتمور[٢].

اما منطقة السوس الاقصى التي تميزت بانتاجها الوفير من قصب السكر والتمر فقد كـان يحمـل الـى بـلاد الاندلس[٣]. ومدينة درعة صدرت بذور الحناء الى بلاد الاندلس[٤].

اما عن اسعار السلع المعاد تصديرها الى بلاد الاندلس فكان في مقدمتها ذهب السودان الغربي[٥]، الذي حمـل عبر موانئ المغرب الاقصى الواقعة على البحر المتوسط والمحيط الاطلسي الى الانـدلس. وصـدر الـصمغ المجلوب[٦] الى المغرب الاقصى من السودان الى الاندلس. كما حملت انـواع مـن الحيوانـات كـالطواويس والببغاء المستوردة[٧]،من السودان الى الاندلس ايضا.

ثانياً: -الواردات:

من اقليمي المغرب الادنى والاوسط.

شكلت المنتوجات الزراعية نسبة كبيرة من قائمة التابدل التجاري بين اقاليم المغرب الثلاثة خاصة وان الكثيـر من مدن المغرب تنتج المحاصيل الزراعية بانواعها وهذا ينطبق على التجارة بين المغرب الاقـصى واقليمـي المغرب الاوسط والادنى.

فقد حمل الفستق من مدينة قفصة(المغرب الادنى) المعروفة بكثرة انتاجها للفستق، الى سـائر بـلاد المغـرب وخاصة سجلماسة[٨](في المغرب الاقصى)، وكذلك اللوز الذي اشتهرت بانتاجه مدينة فاس(في المغرب الادنى)

---

(1) الادريسي، وصف، ص٤٨.

(2) ابن حوقل، صورة الارض، ص٩١؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٣١؛ الادريسي،م،ن،ص٣٨؛ سوادي، درسات،ص١٣٠-١٣١؛ ينظر السامرائي، حيث اشار ان المغرب يمد الاندلس بالغلات وانواع الطعام،علاقات،ص٤١٥؛ محمود اسماعيل، الخوارج،ص٢٠٨.

(3) الزهري، الجغرافية، ص١١٧-١١٩.

(4) الادريسي، م،ن،ص٣٨؛ ابن سعيد، بسط الارض،ص٥٨؛ ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٢٤.

(5) ابن سعيد، بسط الارض،ص٢٦؛ نشاط مصطفى، التجارة،ص٣٥.

(6) البكري، م، ن، ص١٥٨.

(7) ابن سعيد، م، ن، ص٢٧.

(8) البكري، المغرب،ص٤٧؛مجهول مؤلف،الاستبصار،ص١٥٣.

يصدر لافائض منه الى انحاء بلاد المغرب ومنها اقليم المغرب الاقصى(١). اما غلات الزيتون والزيت والتـي اشتهرت بانتاجها مدينة سفاقس(٢) (في المغرب الادنى) فكانا يحملان الى مدن اقاليم المغرب.

كما عرفت مدن المغرب الاوسط مثل بونة وزلو بانتاجها الوافر للحنطة والشعير(٣)، ومدينـة ادبـس بانتاجهـا الواسع للزعفران(٤). وان كنا لا نملك اشارة صريحة الى تصديره الى المغرب الاقصى ولكننا نقول ان الفائض منه لا بد من تصديره الى اقاليم بلاد المغرب الاخرى ومنها المغرب الاقصى.

وهناك منتوجات اخرى دخلت ضمن قائمة التبادل التجاري بين اقاليم بلاد الكغرب وهـي: العـسل، والـسمن والتين الذي كانت تصدره جزائر بني مرغناي (في المغرب الاوسط) الى مدن المغرب(٥). ومدينة تـنس التـي وصفها صاحب كتاب الاستبصار بكثرة الزرع رخيصه الاسعار "منها يحمل الطعام الى بلاد المغرب"(٦).

اما المنسوجات والاكسية التي اشتهرت بصناعتها مدينة اجدابية (في المغرب الادنى) فقد قال ابن حوقل: "اكثـر ما يخرج منها الاكسية المقارية وشقة الصوف ويعم الى بلاد المغرب"(٧)، ومن قطيليـة التـي كانـت مركـزا صناعيا لانتاج المنسوجات الصوفية نم الصوف المتوفر فيها. حملت "الشقة والكسي والحنبـل .. الـى جميـع الاقطار"(٨)، ومن المؤكد ان المغرب الاقصى كان بينهما. وحمل من مدينة تلمسان (فـي المغـرب الاوسـط) الصوف وسروج الخيل الى اقاليم بلاد المغرب(٩).

ومن الثروة الحيوانية التي عرفت بها اقاليم بلاد المغرب، بسبب توفر المراعي الخصبة التـي سـاعدت علـى تنمية هذه لاثروة وازديادها فقد ادى ذلك الى جعل الثروة الحيوانية من سلع التبادل التجاري في تلك البلاد فمـن مدينة تاهرت(في المغرب الاوسط) حملت الاغنام والماشية الى اقاليم بلاد المغرب(١٠). واشتهرت مدينـة ونـة (في المغرب الاوسط) بتجارة "الغنم والصوف والماشية من الدواب"(١١). وكانت الجلود التي اشتهرت بها مدينة

---

(1) البكري، م، ن،ص١٦٢.

(2) ابن حوقل، صورى الارض، ص٧٠.

(3) ابن حوقل، م،ن،ص٧٦-٧٩.

(4) م،ن، م،ن، ص٨٦-٨٧.

(5) م، ن، م، ن، ص٧٦.

(6) مجهول مؤلف، ص١٣٣.

(7) صورة الارض، ص٦٧.

(8) ابن حوقل، م،ن،ص٩٤.

(9) الزهري، الجغرافية، ص١١٣-١١٤.

(10) مجهول مؤلف، الاستبصار، ص١٧٩.

(11) ابن حوقل، م،ن،ص٧٦.

قابس تعم قااليم بلاد المغرب، فمن هذه المدينة قامت كما يقول ابن حوقل صناعة دبغ الجلود وتصدر الى اكثر بلاد المغرب[١].

اما عن المعادن فنجد ان مدينة بونة "بها معادن حديد كثيرة ويحمل منه الى الاقطار" كما سجل ابن حوقل[٢].

ومن هذا يتبين لنا ان معدن الحديد كان متوفر جدا في هذه المدينة وقد دخل ضمن صادراتها، ولكن ابن حوقل لم يحدد الى اي الاقطار حمل هذا الحديد ومن الراجح انه كان يصدر الى سائر اقاليم بلاد المغرب ومنها المغرب الاقصى.

ت.من بلاد الاندلس.

يقول جوذر (في ق٤هـ/١٠م)، ان سلع الاندلس الكثيرة كانت ترد الى المغرب[٣]، ولكنه مع الاسف لم يوضح لنا ما هي هذه السلع وانواعها.

اما ابن حوقل فقد سجل نصا تفصيليا عن المنتجات والسلع التي كانت ترد الى المغرب الاقصى من بلاد الاندلس قائلا: "الزيبق والحديد والرصاص ومن الصوف قطع كاحسن ما يكون من الارمني المحفور الرفيع الثمن الى حسن ما يعمل بها من الاغاط ولهم من الصوف والاصباغ فيه .. وبالاندلس مصبغ اللبودة المغربية المرتفعة الثمينة والحرير وما يؤثرونه من الوان الخز والقز ويجلب منها الديباج.. ويعمل عندهم الخز السكب والسفيق"[٤]، من قائمة ابن حوقل هذه نجد ان المغرب الاقصى استورد منتجات وسلع كثيرة ومتنوعة من الاندلس وهذا يرجع الى العلاقة المكانية والتجارية بين الجانبين كما اسلفنا.

كانت الانسجة تصل الى المغرب من مدينة بلنسية المشهورة بانتاجها[٥]، من البيرة حمل الحرير[٦]، وكانت مدينة سجلماسة تستورد الثياب والمطرزات القطنية والحريرية والكتانية من قرطبة[٧]، ومن مدن الاندلس التي

---

(1) م، ن، ص٧٠؛ وينظر ايضا: الحريري،محمد عيسى، مقدمات البناء السياسي للمغرب الاسلامي للدولة الرستمية(١٦٠-٢٩٦هـ)، ط٢(دار القلم الكويت، ١٤٠٣هـ)،ص٢٣٢.

(2) صورة الارض، ص٧٦.

(3) الجوذري، ابو عليمنصور العزيزي(ت٣٨٦هـ/٩٩٦م)، سيرة الاستاذ جوذر وبه توقيعات الائمة الفاطميين، تقديم وتح. محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي،مطبعة الاعتماد(القاهرة١٩٥٤)، تعليق ٤١، ص٤٧-١٦٠.

(4) صورة الارض، ص١١٤.

(5) الشقندي،فضائل الاندلس،ص٥٩.

(6) الحميري، صفة جزيرة الاندلس،ص٢٤.

(7) سوادي،دراسات، ص١٣٠-١٣١؛اسماعيل، الخوارج،ص٢٠٨؛علي، سيد امير، تاريخ العرب والتمدن الاسلامي،رياض رأفت(القاهرة١٩٣٨)،الذي اورد عدد كثير من السلع كانت تستورد من بلاد الاندلس الى المغرب منها: الغبر، حجر المغنطيس، الاثمة،الطلق،البلور،الزيت،السكر،الزعفران، الحرير الخام والمصنوع والقائمة طويلة)ص٤٨٤؛ الرفاعي،الاسلام في حضارته، ص٣١٩؛ لوبون، غوستاف،حضارة العرب، تر.عادل زعيتر، ط٤(مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٤)، ص٢٧٤؛ السامرائي، علاقات، ص٤١٥.

حملت منها المنتجات الى المغرب الاقصى، مدينة اشبيلية الزيت والقطن فقد تجهز التجار المغاربة من هذه المدينة بمنتجاته من الزيت والقطن وحملوها للمتاجرة بها الى مدينة

٤ -من مصر والمشرق الاسلامي.

اشتهرت مصر بانتاج الالبسة والمنسوجات وخصوصا مدينة تنيس ودمياط[١]، ومع اننا لم نجد اشارة صريحة الى انه حملت هذه المنتوجات المصرية الى المغرب الاقصى، الا اننا افترضنا جعلها ضمن قائمة واردات المغرب الاقصى مستندين الى كون حركة القوافل التجارية بين مصر والمغرب الاقصى كانت كبيرة ودائمة.

وعن السلع المستوردة من قبل المغرب الاقصى من المشرق نجد اشارة صريحة عند الزهري وهو يتكلم عن مدينة فاس قائلا: "اليها يجلب من جميع الاقاليم كل شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الاثمان من اليمن والعراق والشام"[٢]. وهكذا نستطيع القول ان منتجات وسلع اليمن والعراق والشام ذات النوعية الجيدة والغالية الثمن كانت ضمن قائمة واردات المغرب الاقصى. ولدينا اشارة واضحة جاءت ابن خرداذبة يذكر فيها ان التجار اليهود العائدين من المشرق كانوا يحملون معهم من السند والصين المسك والعود والكافور والدارجين[٣]، ليبيعونه في البلاد التي يمرون عليها ومن السلع التي كانت تصل الى المغرب الاقصى هي: العطر الهندي[٤]، والاسفاط الهندية[٥]، وماء الورد الذي كان يصنع في جور(تقع جنوب فارس) وكان ينقل من المغرب الى الاندلس ايضا[٦].

سجلماسة[٧]، ومن مدينة مالقة الاندلسية حمل التين واللوز الى المغرب ومنها كان يحمل الى المشرق ايضا[٨]، ومن مدينة ممل سمك التن المجفف والمدخن يابساً[٩]، وممحص قيشاطة حملت الاخشاب الى المغرب[١]، ومن مدينة طليطلة الزعفران[٢]، والصبغ السماوي[٣]. اما مادة الزئبق فقد حمل من مدينة قرطبة الى المغرب[٤].

---

(1) ينظر ابن حوقل، صورة الارض، ص١٥٢-١٥٨-١٥٩.

(2) الجغرافية، ص١١٤.

(3) المسالك والممالك، ص١٥٣.

(4) المراكشي، المعجب، ص٣٥٩؛ السارمائي، علاقات،ص٤٢٠؛ حسن علي، الحضارة،ص٢٩٠.

(5) الدمشقي، محاسن التجارة، ص١٠.

(6) فنر، الحضارة، ح١،ص٣٠٥.

(7) الادريسي،نزهة المشتاق،ص٩٠؛الحميري،الحمير،صفة جزيرة الاندلس،ص١٩-٢٠؛الدلائي، احمد بن عمر بن انس العذري(ت٤٧٨هـ)،نصوص عن الاندلس من كتاب ترجيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان، تح.عبد العزيز الاهواني،(مطبعة معهد الدراسات مدريد١٩٦٥)،ص٩٦؛الحميري، الروض،ص٥٩؛ الجبالي،خالد حسن،النشاط الاقتصادي في الاندلس في عهد الامارة (١٣٨-٣١٦هـ)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد١٩٨٨،ص٢٧٩-٢٨٠.

(8) المغربي،نفح لاطيب، مح١،ص١٥٢.

(9) الزهري، الجغرافية، ص١٢٠.

وهناك عدد من السلع حملت من الاندلس الى مختلف البلاد ولا ان يكون من بينها اقليم المغرب الاقصى ولــو اننا لم نجد اشارة صريحة لذلك ومنها السيوف الاندلسية التي حملت الى المغرب(٥). ومعــدن الكحــل المــشبه بالاصبهاني في مدينة طرطوشة الذي كان يحمل منها الى جميه البلاد ومعــادن الــشبوب والحديــد والنحــاس والرصاص(٦). وبين ابن غالب الى ان "اطيب كهربا الارض بشذوذنه واطيب القرمز قرمز الاندلس وهو فــي بلاد كثيرة بالاندلس ويحمل الى الافاق"(٧). وصدر الرخام الصقيل الملوكي من الاندلس الــى ســائر الــبلاد(٨). واورد ابن خرداذبة قائمة بالمنتجات والبضائع اليت تحمل عن اوربا عبر الاندلس الى المغرب ثم المشرق منها "الخدم الصقالب والروم الافرنجيون واللمبرديون والجواري الروميات والاندلسيات وجلود الخز والــوبر ومــن الطيب الميمة ومن الصيدنة المصطكي ويقلع من قعر هذا البحر (اي البحر المتوسط)بقرب فرنجة الــسّذ وهــو الذي تسميه العامة المرجان"(٩). ومن لامؤكد انها كانت تصل الى المغرب الاقصى لان طريق التجارة الــدولي بين اوربا عبر الاندلس كان يمر عبرها كما فصلنا في الفصل السابق.

ث.من بلاد السودان.

يتصدر معدن الذهب قائمة السلع التي تصل الى المغرب الاقصى من بلاد السودان الغرب. واوضح لنا البكري المناطق التي يوجد بها قائلا: "وافضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غباروا"(١٠)، وذكر الادريسي عن مناجمه ووصول تجار المغرب الاقصى اليها قائلا: "من مدينة غانة الى اول بلاد ونقارة ٨ ايام وبلاد ونقارة هذه هــي بلاد التي المشهورة بالطيب والكثرة وهي جزيرة.. باع الناس ما حصل بايديهم من التبر وتاجر بعضهم بعــضا واشترى اكثره اهل وارقلان واهل المغرب الاقصى"(١١)، وحمل التجار الذهب من مدينة كوغة السودانية التــي وصفت بانها "اكثر بلاد السودان ذهبا"(١٢).

---

(1) الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٦٥.
(2) ابن غالب، فرحة الاندلس، ص١٩.
(3) البكري،جغرافية الاندلس واوربا،تح.علي الحجي(بيروت ١٩٦٨)،ص٨٨؛ المغربي، نفح الطيب،مج١، ص٦٤٣.
(4) المراكشي، المعجب، ص٣٦٣.
(5) ابن خرداذبة، السمالك والممالك، ص١٥٣.
(6) خالد حسن، النشاط،ص٢٧٩.
(7) فرحة الانفس، ص٣٩-٤٠.
(8) المسعودي،التنبيه والاشارف،عني بنشره وتصحيحه ومراجعته عبد الله اسماعيل(القاهرة ١٩٣٨)،ص٥٥.
(9) المسالك والممالك، ص٩٢؛ وينظر ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٨٤.
(10) المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص١٧٦.
(11) وصف افريقيا، ص٨-٩.
(12) مجهول مؤلف، الاستبصار، ص٢٢٢.

هذا وان وصول التجار المغربة وغيرهم الى مناطق مناجم الذهب ليس بالسهل الهين وقد سجل لنا ياقوت الحموي نصا مهماً عن مناطق مناجم الذهب وعن كيفية وصول التجار القادمين من لمغرب الاقصى اليها وما يصادفونه من مشاق في سبيل ذلك. وقد سمى عملية ا لتبادل التداري التي تتم قرب مناجم الذهب "بتجارة الذهب الصامتة" حيث يحمل تجار المغرب الاقصى وغيرهم سلعهم "من ملح ومرجان وثمار وانسجةوغيرها من البضائع"، ويبادلونها بالذهب الذي يمتلكه اصحاب المناجم السودانيين[1]. ولعل هذه التسمية تعود الى ان تجارة المقايضة هذه في تبديل الذهب بالسلع القادمة من لشمال تتم بصمت دون ان يرى او يتكلم المتعاملين مع بعضهم البعض(التجار العرب المسلمين وملاك الذهب السوادنيين).

ومن البضائع الاخرى التي جلبها التجار من بلاد السودان هي الرقيق حيث اشار الادريسي قائلا: ".. ويخفونهم حيناً من الدهر ثم يبيعونهم من التجار الداخليين اليهم بالبخس من الثمن ويخرجونهم الى ارض المغرب الاقصى ويباع منهم في كل سنة امم واعداد لا تحصى وهذا الامر الذي جئنا به من سرقة قوم ابناء قوم في بلاد السودان طبع موجود فيهم"[2]. ان هذا النص يوضح لنا ان قبائل السودان هم الذين يبيعون الرقيق الى التجار بعد سرقتهم من قبائل اخرى وان الاسعار التي يشتري بها التجار القادمون من المغرب الاقصى تكون رخيصة ويخرجهم التجار الى ارض المغرب الاقصى وهناك يباعون مرة ثانية وينقلون الى مختلف البلاد.

وقد اورد لنا البكري نصاً يوضح فيه ان بمدينة اودغست سوقاً يباع فيه الرقيق قائلا: ".. وبها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بماية مثقال واكثر تحسن عمل الاطعمة الطيبة.." [3].

ومن السلع التي يتم جلبها من بلاد لسودان ومن مدينة اودغست في السودان ا لغربي "العنبر المخلوق الجيد لقرب البحر المحيط منهم"[4]، ومن بلاد كوار(في السودان الاوسط) المشهورة بالتجارة معادن الشب الخالص المتناهي في الطيب[5].

ومن جملة ما يرد للمغرب الاقصى من بلاد السودان هو: العاج بالابنوس، انياب الفيلة والجلود الشركسية[6].

---

(1) ينظر في تفاصيل ذلك، الحموي،معجم البلدان،ح٢،ص١٣؛ القزويني،اثار البلاد،ص١٨-١٩؛ وينظر ايضا: العمري،مسالك الابصار،ح،ص٤٨.

(2) وصف افريقيا،٢٠. وعن تجارة الرقيق ينظر: الاصطرخي، كتاب الاقاليم،٢١.الزهري،الجغرافية،١٢٥. ابن خلدون،العبر،مج١،٩٣؛بحار ابراهيم،الدولة الرستمية،رسالة ماجستير،٢٤٣؛ينظر عز الدين عمر،ندوة العلماء الافارقة ومساهماتهم في الحضارة،٥٠-٥٢.

(3) المسالك والممالك، ص١٥٨.

(4) البكري، المغرب، ص١٥٩.

(5) الادريسي، وصف افريقيا، ص٥٢.

(6) الزهري، الجغرافية،ص١١٨؛ وينظر نعيم قداح،حيث اورد لنا جملة من الصادرات كانت تصل الى شمال افريقيا من غانة،افريقيا الغربية في ظل الاسلام،ص١٢٨.

والذي يجئ من بلاد السودان "انواع من جلود الماعز مدبوغة دباغة عجيبة الجلد الواحد يكون غليظا كبيرا لينا محببا في لون البنفسج الى السواد يكون الجلد الواحد عشرين منا يتخذ منه لاخفاف للملوك ولا يبل بالماء ولا يبلى ولا يفنى مع لينة ونعومته وطيب رايحته يباع لاواحد بعشرة دنانير"[١]. وبفضل هذه التجارة المزدهرة بين بلاد السودان واقليم المغرب الاقصى فقد انشأت عدد من المدن السودانية كانت في اول الامر كاسواق للمسلمين ثم نمت واتسعت ومنها مدينة تنبكت[٢].

ثالثاً: التبادل التجاري الداخلي في اقليم المغرب الاقصى.

وهي مجموعة المعاملات والتبادلات التجارية التي تحدث بين مدن اقليم المغرب الاقصى، وهي تشمل المواد التيتنتجها كالحاصلات الزراعية او تقوم بضعتها وكذلك الثروات المعدنية والبضائع والسلع التي تصل الى الاقليم عن طريق التجارة الخارجية.

وتقسم البضائع لامتبادلة داخل اقليم المغرب الاقصى الى:

أ-منتجات زراعية وحيوانية.

يمكننا القول ان الزراعة الواسعة والنشطة لمدن المغرب الاقصى قد ساهمت في نشاط التجارة وان التبادل التجاري كان يشمل الفائض عن الحاجة المحلية للمدينة فيصدر الى الاخرى من اجل ان يحصل نوع من الاكتفاء والتكامل الاقتصادي بين مدن الاقليم.

فمثلا لا يوجد في مدينة سبتة القمح وانما كان يجلب اليها[٣]، بينما محصول القمح والشعير كان يزرع في مدينة طنجة[٤]، وفي مدينة فاس[٥]، ومدينة البصرة[٦]. ومن الطبيعي ان تكون هناك زيادة عن حاجة هذه المدن التي تنتج الحبوب فيصدر الى التي لا تزرع او تزرع ولا يفي بحاجتها.

وكان اهل مدينة سجلماسة يزرعون الحنطة والشعير عاماً ويحصدون منه ثلاثة اعوام، لانه اثناء الحصاد يتساقط بين تشققات الارض وبعد سقيه ينتج نوع من الحبوب لا تشبه الحنطة والشعير ويسمى سلتاً[ó].

ولا بد من انتاج هذا النوع من الحبوب الذي تميزت به مدينة سجلماسة وكان يصدر الى باقي مدن المغرب الاقصى.

اما بلنسبة الى الفواكه فان مدن الاقليم قد عرف عنها كثرة البساتين وانتاج انواع مختلفة من الفواكه مثل مدينة نكور[١]، ومدينة طنجة[٢]، ومدينة فاس التي تميزت بانتاجها الوفير من انواع مختلفة من الفاكهة مثل العنب

---

(1)ابي حامد الاندلسي، تحفة الالباب، ص٤٣.

(2) السعدي، تاريخ السودان، ص١١-١٢-٢٠-٢١.

(3) العمري، مسالك الابصار،ح٤، ص٩٤.

(4) ابن حوقل،صورة الارض،ص٧٩.

(5) الادريسي، نزهة المشتاق،ص٩٥؛ الادريسي،وصف،ص٥٠؛ الحميري،الروض،ص٣٣٤؛ الوزان، وصف افريقيا،ح١،ص٢٠٧؛ السنوسي،الدرر السنية،ص٧١.

(6) الادريسي، نزهة المشتاق،ص١٨٦؛ ابن حوقل،م،ن،ص٨٠.

(ó) السلت: هو شعير ابيض لا قشر له، وقيل هو نوع من الحنطة، الزبيدي،ج٤،ص٥٦٤-٥٦٥.

والتين والخوخ والتفاح وغيرها[٣]، ومدينة مكناسة الزيتون التي كانت تنتج الزيتون بكميات كبيرة[٤]، وبصرة المغرب تميزت بساتينها[٥].

اما سجلماسة فهي معروفة بكثرة الاعناب وكانوا مزارعيها يجففون العنب ليصبح زبيب[٦]، اما مدينة اغمات فاشتهرت بانتاج الجوز واللوز وسائر الفواكه الاخرى[٧].

وتميزت مدينة مراكش بكثرة البساتين حتى وصف جوها "بالوخمة" وتنتج بساتينها العنب والتين والتفاح[٨]، اما السوس الاقصى فان الفواكه فيه قليلة منها التين والزيتون[٩]، ان هذا التنوع في الانتاج الزراعي في مدن المغرب الاقصى لا بد وانه مسؤول عن التبادل التجاري بين مدنه.

اما انتاج التمور فقد اشتهرت به سجلماسة حيث عرف عنها انتاج انواع متميزة من التمور منها الرطب المسمى بالبري وهو رطب اخضر ولكن حلاوته عالية[١٠]، ومن المؤكد ان انواع التمور هذه حملت الى مدن المغرب الاقصى التي لا تنتج تموراً.

---

(1) الحميري،الروض،ص٥٧٧.

(2) البكري،المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص١٠٩؛ مجهول الاستبصار،ص١٣٩؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٥٩؛ العمري،مسالك الابصار،ح٤،ص٩٢؛ القرماني،اخبار الدول،ص٤٦٢.

(3) البكري، م،ن،ص١١٦؛ مجهول،م،ن،ص١٨١؛ الزهري،الجغرافية،ص١١٥؛ ابن ابي زرع،الانيس المطرب،ص٤٣-٤٤؛ الحميري،م،ن،ص٤٣٤-٤٣٥؛ الجزنائي،جني زهرة الآس،ص٣٦؛ القلقشندي،صبح الاعشى،ح٥،ص١٤٨-١٤٩؛ السنوسي،الدرر السنية،ص٧١.

(4) الزهري،م،ن،ص١١٥؛ ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٤١؛ الحميري، م،ن،ص٥٤٤؛ القرماني،اخبار الدول، ص٤٨٩.

(5) ابن حوقل،صورة الارض،ص٨٠؛الحموي،معجم البلدان،ح١،ص٤٤٠.

(6) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٣١؛ مجهول،م،ن،ص٢٠١؛ ابو الفدا، م،ن،ص١٣٧؛ القلقشندي، م،ن،ح٥، ص١٥٩.

(7) ابن حوقل،م،ن،ص٩١؛ الادريسي،نزهة المشتاق،ص٨٢؛ الحموي،م،ن،ح١،ص٢٢٥؛ ابو الفدا،م،ن،ص١٣٥؛ ابن ال خطيب،مشاهداته في بلاد المغرب،ص١٠٩؛ الحميري،م،ن،ص٤٦؛ القرماني،م،ن،ص٤٢٨.

(8) الادريسي،وصف،ص٤٤؛ القزويني،اثار البلاد،١١١؛ ابن سعيد،الجغرافيا،ص١٢٥؛ ابو الفدا،تقويم البلدان،ص١٣٥؛ القلقشندي،صبح الاعشى،ج٥،ص١٥٧؛ الوزان، وصف،ح١،ص١٢٢؛ السيد عبد العزيز، المغرب الكبير،ص٧١٠.

(9) الادريسي،م،ن،ص٣٩؛ الزهري،الجغرافية،ص١١٨؛ مجهول،الاستبصار،ص٢١١؛ حسن علي،تاريخ المغرب، ص٢٤٧.

(10) ابن حوقل،صورة الارض،ص٩١؛ المقدسي،احسن التقاسيم،ص٢٣١؛ الادريسي،م،ن،ص٣٨؛ مجهول،م،ن،ص٢٠١؛ ابن سعيد،م،ن،ص١٢٤؛ ابو الفدا،م،ن،ص١٣٧؛ الحميري،الروض،ص٣٠٦؛

وعرفت منطقة السوس الاقصى بانها مشهورة بقصب السكر ومنها يحمل الى جميع مدن المغرب الاقصى الاخرى[1]. ومن مراكش حمل السكر المصنوع من قصب السكر الى فاس[2].

اما محصول القطن فان اكثر المناطق غزارة بانتاجه هي مدينة بصرة المغرب[3]. ومدينة تادلة التي تميزت بانتاج انواع مختلفة من القطن[4]،وكان الفائض عن حاجتها يعاد تصديره الى مدن المغرب الاقصى.

وهناك منتجات اخرى دخلت ضمن التبادل الداخلي بين مدن المغرب الاقصى منها:

من حصن مغيلة القاط[ó]، حمل الزبيب الى مدينة فاس[5]، ومدينة مكناسة الزيتون التي يجود بها العنب والحبة الحلوة والكثرونة والشنون ويحمل الى فاس[6]، ومن مدينة مراكش جلب الزيتون الى فاس[7]، ومن السوس الاقصى التي عرفت باشجار يستخرج منها زيت يسمى"ارجان"[ó ó]، كان يحمل الى اغمات ومراكش[8].

القلقشندي،م،ن،ح٥،ص١٥٩؛ سوادي،دراسات،ص١٢٨؛ شعيرة،المرابطون،ص٢٠؛ ابراهيم الكروي، المرجع في الحضارة،ص١٤٢.

(1) البكري،المغرب في ذكر بلاد افريقية،ص١٦١؛ الادريسي،وصف،ص٣٩؛ مجهول مؤلف،مخ عجائب البلدان والجبال والاحجار،ورقة٣٠.

(2) الزهري،الجغرافية،ص١١٦.

(3) ابن حوقل،صورة الارض،ص٨٠؛ الادريسي،نزهة المشتاق،ص١٨٦؛ حسن علي،الحضارة،ص٢٤٢؛ مرزوق، الفنون،ص١٢١.

(4) الادريسي،وصف،ص٥٠.

(ó) وهو حصن يقع في الطريق بين مدينة فاس وسجلماسة في جبال شامخة، البكري،م،ن،ص١٤٦-١٤٧.

(5) البكري،م،ن،ص١٤٧.

(6) الزهري،م،ن،ص١١٥.

(7) الزهري،م،ن،ص١١٥.

(ó ó) ارجان: وهو اسم بلغة المصادر يقع على شجر لا بالصغار ولا بالبكار، بلد حبا على قدر المشمش في صفته ولدنه وهو ثماره كانه النجوم في ظلام الليل غير انه لا لحم له ولا طيب،وانما هي جلود رقاق على انوية غلاظ،فاذا اطابت سقطت في الارض.فتجمع وتاكلها البهائم فنرمي بانويتها في معالفها فتجمع تلك الانوية وتكسر وهي صلبة الكسر فيخرج منها لوز على قدر انوية المشمش. فيطششش ذلك اللوز في المقلى عل النار ويطحن ويعصر ويقطر منه زيت صاف رقيق الاجزاء فياكلونه ويسرحون منه ويجلب الى اغمات ومراكش ولا يوجد هذا الزيت في معمور الارض الا فيها،الزهري،م،ن،ص١١٨.

(8) الزهري، م،ن،ص١١٨.

بالاضافة الى المنتجات الزراعية كانت الثروة الحيوانية والبضائع المصنعة كالاكسية والالبسة القطنية وغيرهـــا قد دخلت ضمن قائمة التبادل الداخلي وكذلك الثروات الطبيعية كالمرجان والنحاس والملح وغيرها. والتي سبق وان اشرنا الى اماكن تواجدها في مبحث التبادل التجاري الخارجي.

الفصل الرابع

الاسواق والنظم التجارية

المبحث الاول // الاسواق والتجار.

المطلب الاول : انواع الاسواق:-

أ-الاسواق المؤقتة.

ب-الاسواق الدائمية.

ت-اسواق مؤقتة على الطرق التي تربط مدينة او اكثر من مدن المغرب الاقصى (وهي عادة اسواق المراكز التجارية).

ث-اسواق الحصون.

ج-اسواق المدن والقرى ذات الانتاج الزراعي والصناعي.

ح-الفنادق.

المطلب الثاني : اقسام واصناف التجار:-

اولا: اقسام التجار:-

أ-المغاربة.

ب-الغرباء:-

١-بلاد الاندلس. ٢-المشارقة. ٣-اهل الذمة.

ثانيا: اصناف التجار:-

أ-الوسطاء.

ب-الجوالة.

ت-الوكلاء.

ث-الشركاء.

المبحث الثاني // طرق التعامل التجاري.

<u>المطلب الاول : انواع البيوع:-</u>

أ-البيع نقدا او عن طريق وكيل.

ب-البيع بالحوالة او الصكوك.

ت-البيع بالمقايضة.

ث-البيع بالسلف.

المطلب الثاني : انواع العملة.

أ-الادريسية.

ب-السجلماسية.

ت-المرابطية.

المطلب الثالث : الاوزان والمكاييل والمقاييس.

المطلب الرابع : الاسعار.

المطلب الخامس : الضرائب وانواعها.

أ-الضرائب الرسمية.

ب-الضرائب غبر الرسمية.

ت-الزكاة.

المطلب السادس : الاشراف على الاسواق.

المبحث الاول // الاسواق والتجار.

المطلب الاول : انواع الاسواق.

السوق كما جاء عند ابن منظور "موضع البياعات ... والسوق التي يتعامل فيها تذكر وتؤنث .. والجمع اسواق .. وتسوق القوم اذ باعوا واشتروا، وفي حديث الجمعة: اذا جاءت سويقة اي تجارة، وهي تصغير السوق سميت بها لان التجارة تجلب اليها وتساق المبيعات نحوها"(١).

قام السوق بدور كبير في حياة المدينة بصفتها عنصراً اساسياً لعظمتها(٢)، والسوق هو المكان الذي يجتمع فيه الانتاج المحلي والبضائع المستوردة وكثرة الاسواق في مدينة ما يعني تمتعها بنشاط تجاري، وكلما تعددت الاسواق ازداد العرض والتبادل فيها ، دلّ على النشاط في حياة الجماعات(٣).

وكانت الاسواق في المغرب الاقصى على انواع:-

أ-الاسواق المؤقتة / وهي الاسواق التي تقام في ايام معروفة من الاسبوع او الشهر او السنة وفائدة هذه الاسواق هي لاهل القرى البعيدة عن المدينة، لذا هم يعقدون في ايام معلومة من اجل ان ياتي القرويون ليبيعوا بضائعهم وليتبضعوا ما يحتاجونه من سلع ومنتجات زراعية وصناعية وغيرها.

وقد عرفت اغلب مدن المغرب الاقصى هذه الانواع من الاسواق ففي شمال قصر ابي موسى، سوق اسبوعي يقام كل يوم خميس يجتمع اليه جميع قبائل بني مكناس وهي "سوق نافقة لما يجلب اليها ويقصد اليها، من قريب وبعيد وتسمى السوق القديمة" (٤).

وشهدت مدينة اصيلا (ó)، سوقاً مؤقتة كانت تقام فيها يوم الجمعة(٥).وسوق اخر يقام ثلاث مرات في السنة والى ذلك اشار البكري "اصيلا سوقها حافلة يوم الجمعة وفي اصيلا سوق

---

(1) ابن منظور ، ابي فضل جمال الدين محمد بن مكرم،(ت ٧١١هــ)، لسان لعرب،(دار صادر، بيروت، سنة الطبع بلا)، ج١، ص١٦٧-١٦٨.

(2) ديموبين،موريس،النظم الاسلامية،تر.صالح الشماع وفيصل السامر(مطبعةالزهراء بغداد ١٩٥٢)،ص٢٤٩.

(3) زيادة، نقولا، الحسبة والمحتسب في الاسم، (المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩٦٢)، ص٢٠.

(4) الادريسي، وصف افريقيا، ٥٢،٥٣؛ ينظر: حسن علي، تاريخ المغرب العربي(عصر الولاة)،ص٢٥٨.

(ó)مدينة اصيلا مدينة كبيرة ازلية عامرة آهلة كثيرة الخير والخصب وكان لها مرسى مقصود ..، مجهول مؤلف، الاستبصار، ص١٣٩.

(5) الحميري، الروض، ص٤٣.

جامعة ثلاث مرات في السنة وهو وقت اجتماعهم وذلك في شهر رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء"(١)، يعني انها سوق تقام في ايام المناسبات الدينية. وفي مدينة اغمات كان يوم السوق هو الاحد ووصف البكري هذا السوق قائلا: "سوق اغمات وريكة يقوم يوم الاحد بضروب السلع واصناف المتاجر يذبح فيها اكثر من مابة خروف والف شاة وينفذ في ذلك اليوم جميع ذلك"(٢)، فذبح هذه الاعداد من الحيوانات في سوق اغمات ووجود من يشتريها كلها يدلل على نشاط هذا السوق ومما يساعد على نشاط حركة التجارة فيه، وجود انواع مختلفة من السلع والبضائع.

اما مدينة درعة فكانت تزخر بالاسواق يوم الجمعة، واشار البكري الى ذلك: "على وادي درعة سوق في كل يوم من ايام الجمعة في مواضع مختلفة منه معلومة وبما كان عليه في اليوم الواحد سوقان وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه طول عمارته المتصلة سبعة ايام"(٣)، من النص يتضح ان وادي درعة تكثر فيه الاسواق المؤقتة التي تقام يوم الجمعة ويرجع ذلك لان الوادي كثير العمارة والمنازل والقبائل التي تقيم عليه.

اما في السوس الاقصى فيقام السوق في مدينة نكاووست مرتين في الاسبوع(٤)، وفي مدينة تيدسي يقام سوقها يوم السبت يجتمع فيه الاعراب والفلاحون والجبليون(٥).

وفي مدينة فاس يوجد بها باب يسمى باب سوق الاحد(٦)، واحتمال هذه التسمية تعود اصلا الى وجود سوق بهذا الاسم ويقام يوم الاحد.

وفي مدينة تادلة، اشار ابن الزيات الى ان ابا موسى عيسى بن سلمان(٥) وهو من اهل تاجنيت(وهي من بلاد تادلا) خرج ذات يوم فرأى الناس بسوق الاحد(برقدوقة) وما كان رأى

---

(1) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص١١-١١٢؛ وينظر ابن عذاري، البيان، ح١،ص٣٣١؛ عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للاعلام، ص ٣٥.

(2) م،ن، ص ١٥٣.

(3) م،ن، ص١٥٢؛ ينظر مجهول مؤلف، م،ن،ص٢٠٦؛ الحميري، م،ن،ص٢٣٥.

(4) الوزان، وصف،ح١،ص٩٦.

(5) الوزان، م،ن،ح١،ص٩٥.

(6) البكري ، م،ن، ص ١١٦.

(٥) لم اجد له تعريف.

السوق قبل ذلك فقال: ما بال الناس قد اجتمعوا هنا؟ فقيل له: انه يوم سوقهم فدعا لهم بالربح في تجارتهم فمن ذلك اليوم لا يشتري احد في ذلك السوق تجارة الا ربح فيها"[١].

وتوجد عدة اسواق مؤقتة ومتفرقة تقام في القرى منها: "سوق بني مغراوت وهو اخر بلد مجكسه في غرب راس ومجتمع هذا السوق يوم الثلاثاء وهي جامعة"[٢]، وحسبما اشار البكري الى ان هذه السوق تقع في بلاد غمارة"[٣]، واوضح البكري الى سوق اخر في "قرية نصر بن جرو عامرة اهله بها جامع وبساتين كثيرة ويوم سوقها يوم الجمعة"[٤]، وتقع هذه القرية قريباً من مدينة سبتة حيث لا يفصلها الا مرحلة واحدة[٥].

ب-الاسواق الدائمة / وهي الاسواق التي تقام داخل المدينة وتكون ثابتة، وهي موجودة داخل كل مدن المغرب الاقصى. فعند تشييد اي مدينة يبنى سوق كما حصل عند بناء مدينة فاس "فبنى الناس الدور والمساجد والحوانيت"[٦].

والاسواق الدائمة في المغرب الاقصى اصناف وهي:-

١-اسواق المدن الكبرى / منها مدينة سبتة هناك سوق كبير للمرجان لانه كان يصطاد من شواطئها[٧]. واحصى السبتي عدد الاسواق في سبتة فكانت "مئة واربعة وسبعون سوقا"[٨]، وهذا ما يدلل على ان النشاط التجاري في سبتة كان كبيراً وزاخراً.

---

(1) ابن الزيات،لابي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى(ت٦٢٧هـ)، التشوق الى رجال التصوف،اعتني بنشره ادولف،(مطبوعات افريقيا الشمالية الرباط،١٩٥٨)، ص ٨٦-٨٧.

(2) المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص١٠٧.

(3) م،ن،ص١٠٧.

(4) م، ن، ص١٠٨.

(5) م، ن، ص ١٠٨.

(6) الجزنائي، جني زهرة الآس، ص ٢٦؛ وينظر محمد الكتاني، فاس عاصمة الادارسة، ص٣٩.

(7) الادريسي، وصف، ص١٠٨؛ ابن الوردي،عمر بن مظفر بن محمد(ت٧٤٩هـ)،خريدة العجائب وفريدة الغرائب،(مصر بلا ت)، ص١٦.

(8) السبتي،محمد بن القاسم(ت٨٢٥هـ/١٤٤١م)، اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من الاثار،تح.عبد الوهاب بن منصور(المطبعة الملكية الرباط،١٩٧٢)، ص٣٩.

واحتوت مدينة طنجة على اسواق،[١] ووصف البكري سوقها "بالعامرة"[٢]، ولكننا لم نعثر على معلومات تفصيلية عن هذه الاسواق واعدادها، على الرغم من اهمية هذه المدينة في التجارة خاصة البحرية، كما لم نجد وصفاً لانواع الاسواق في مدينة مليلة[٣] ايضا.

اما اسواق مدينة نكور فقد وصفت بانها "اسواق عامرة ممتدة"[٤]، ووضح ابن حوقل اسواق مدينة فاس[ó] قائلا: "في كل يوم من ايام الصيف يرسل في اسواقها من نهرها (نهر فاس) الماء فيغسلها فتبرد الحجارة"[٥]، ووصفت ايضا بانها"مرتبة منسقة"[٦]. وهناك سمة مميزة لاسواق فاس وهي التخصص فعلى سبيل المثال هناك سوق خاص لبيع السمك[٧]. وتميزت فاس بوجود الاسواق المتخصصة في القرن ٥هـ/١١م حيث سوق الحجامين وسوق الشقاقين والعطارين وهكذا[٨]، واشار الجزنائي الى ان احد ابواب القرويين الشهيرة يسمى باب الشماعين وهو "منسوب الى السوق الواقع امامه وكان في الاصل يباع فيه الشمع ثم تحول الى سوق لبيع الفواكه اليابسة مثل الجوز والتمر"[٩].

اما اهم وصف تفصيلي لاسواق فاس المتخصصة فهو الذي سجله الحسن الوزان في ق ٩هـ/١٥م، وعذرنا في استخدام هذا النص المتأخر، هو افتراضنا ان اسواق فاس المتخصصة والمتطورة ايام الحسن الوزان ما هي الا امتداد لاسواق فاس في العصور السابقة وخصوصاً ان فاس كانت عاصمة سياسية ومركزاً تجارياً مهماً ومشهوراً عبر العصور.

---

(1) البكري، م،ن، ص١٠٩؛ الادريسي، م، ن، ص١٠٨.

(2) البكري، م،ن، ص١٠٩.

(3) البكري، م،ن، ص٨٨؛ وينظر الحميري، الروض، ص ٥٤٥.

(4) ابن عذاري، البيان، ح١، ص ٢٤٦.

(ó) اشار :كون،كارلتون،تر.برهان دجاني،مراجعة احسان عباس(دار الثقافة بيروت،١٩٥٩)،ص٣٣٧،ان مدينة فاس قبل تأسيسها كانت سوق تجتمع فيه القبائل المحيطة بها، القافلة قصة الشرق الاوسط،ص٣٣٧.

(5) صورة الارض، ص٩٠.

(6) ابن ابي زرع، الانيس، ص٣٣.

(7) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٢٣٩.

(8)القاضي عياض،ابو الفضل عياض بن موسى(ت٥٤٤هـ)،نوازل الاحكام مخطوط، منشور كملحق رقم ٣،(منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية،الرباط،بلا ت)،التعريف، ص١٤٤.

(9) جني زهرة الآس، ص ٣٨.

بدأ الحسن الوزان وصفه لاسواق عدوة القرويين وهي سوق العدول الذي يحتوي على ثمانين دكاناً، والى الغرب منه نحو ثلاثين دكاناً للكتبيين، والى الجنوب بائعوا الاحذية ويشغلون قرابة مائة وخمسين دكاناً، والخرازون يصنعون احذية الاطفال وعدد دكاكينهم خمسون دكاناً وهناك ايضا باعة آواني النحاس والصفر ويوجد ايضا باعة الفواكه ويشغلون خمسين دكاناً ومن بعدهم الشماعون ويصنعون الشمع، ودكاكينهم قليلة، ثم بائعو الازهار يبيعون الليمون والحامض وعدد دكاكينهم عشرون دكاناً ثم بائعو اللبن الذين يشترون اللبن من البقارين كل صباح في اوعية من خشب مطوقة بالحديد[1]، وبعد اللبانين يأتي بائعوا الاقطان وعدد دكاكينهم ثلاثون دكاناً ثم بائعو مصنوعات القنب كالحبال وازمة الخيل والشرائط الرفيعة ثم ياتي صانعوا النطق الجلدية والخفاف والازمة الجلدية المطرزة بالحرير للخيل ثم صانعو المشدات وهم يصنعون اغمدة السيوف والمواسي واغطية صدور الخيل ثم بائعي الملح والجبس ثم بائعي الاواني الخزفية ذات الصنعة المتقنة والالوان الزاهية ويبلغ عدد دكاكينهم مائة[2].

ويأتي بعد ذلك بائعو الشكم واللجم والاحزمة والسروج والركابات ولهم نحو ثمانين دكاناً[3]. ويستمر الوزان في وصف الدكاكين الاخرى، فقسم منها يبيع الاطعمة المقلية مثل اللحم والسمك[4]، واخرى تبيع الزيت والسمن المالح والعسل والجبن الطري والزيتون والليمون حامض والجزر وغيرها[5].

ثم يأتي سوق الاقمشة الصوفية الغليضة ويحتوي على مائة دكان وصانعو اقفاص الدجاج وعدد دكاينهم اربعون وبعدهم يأتي بائعو الصابون السائل[6]، ومن ثم يأتي بائعو التين ولهم عشرة دكاكين، ثم يأتي السوق الذي يباع فيه خيط الكتان وتحلج اليافه وهو سوق كبير[7].

اما الجزء الثاني الممتد من جوار الجامع الى الباب المؤدي الى طريق مكناس، فيبدأ بسوق الدخان، ثم صانعي الدلاء الجلدية وهم نحو اربعة عشر دكاناً، ثم صانعي الظروف التي يخزن

---

(1) وصف افريقيا، ح١، ص١٨٤.

(2) م، ن، ح١، ص ١٨٥.

(3) م، ن، ح١، ص ١٨٥.

(4) م، ن، ح١، ص ١٨٦.

(5) م، ن، ح١، ص ١٨٦.

(6) الوزان، وصف، ح١، ص١٨٧.

(7) الوزان، وصف، ح١، ص١٨٨.

فيها الدقيق والقمح وهم نحو ثلاثين دكاناً، ثم الاسكافيين والخرازين ويصنعون نعالا خشنة للفلاحين وعامة الشعب وهم نحو مائة وخمسين دكاناً وبعدهم صناع التروس والدرقان الجلدية، ثم يأتي صانعو قرابيس سروج الخيل، ثم الحرفيون الذين يزخرفون الركابات والمهاميز واللجم وهم نحو اربعين دكاناً[١].

ويوجد في فاس سوق للتجار وصفه الوزان "هذا السوق شبه مدينة صغيرة مسورة بجدران ينفتح فيها اثنا عشر باباً"[٢]. ويقسم السوق الى خمسة عشر حياً، اثنان مخصصان للخرازين يصنعون احذية الاعيان، وحيان لتجار الاقمشة الحريرية ويشغلون نحو خمسين دكاناً، وقسم يبيع الحرير الملون لتطريز القمصان والوسائد ولهم نفس عدد الدكاكين[٣]. وبعدهم يأتي حيان اخران يشغلهما تجار الاقمشة الصوفية المستوردة من اوربا[٤].

ويحتل الخياطون ثلاثة احياء وهناك حي خاص بالعمال الذين يكفون ضفائر حواشي الثياب التي تتخذ منها عمائم الرؤوس، ثم حيان لتجار الكتان وتجار القمصان والاقمشة النسائية وهم اغنى تجار فاس بمبيعاتهم وارباحهم[٥].

وحي يصنع فيه ماتزين البرانس من بلوطات حريرية، وحي آخر تباع فيه ملابس من القماش الاوربي، وحي اخر تباع فيه القمصان القديمة المصنوعة من الكتان والاغطية والفوط[٦].

اما سوق العطارين فيقع في زقاق ضيق ويشمل على نحو مائة وخمسين دكاناً تباع فيه المواد المتعلقة بالعطارة والطب[٧]، ثم صانعو الامشاط، وفي الجهة الشرقية من سوق العطارين ياتي صانعو الابر وهم نحو خمسين دكاناً ثم دكاكين الخراطين وهي قليلة، ثم دكاكين الدقاقين وباعة الصابون والمكانس المتاخمة لسوق الخيط ولا يزيد عددهم على عشرين[٨].

---

(1) الوزان، وصف، ح١، ص١٨٨.
(2) الوزان، وصف، ح١، ص١٨٩.
(3) الوزان، وصف، ح١، ص١٨٩.
(4) الوزان، وصف، ح١، ص١٨٩.
(5) الوزان، وصف، ح١، ص١٨٩.
(6) الوزان، وصف، ح١، ص١٩٠.
(7) الوزان، وصف، ح١، ص١٩٠.
(8) الوزان، وصف، ح١، ص١٩١.

اما الجانب الشرقي من مدينة فاس فهو، يحتوي ايضا على عدد من الاسواق ولكن يختلف اختلافاً كبيراً من الجانب الغربي سوق العطارين لا يزيد عدد دكاكينه على الثلاثين ثم سوق الفخارين ودكاكين البزازين والعطارين لا توجد الا مجتمعة في اماكن خاصة[١].

ويوجد في فاس خمسمائة وعشرون داراً للنساجين، وهي تضم اعداداً كبيرة من عمال النسيج ويبلغ عددهم بحدود عشرين الف عامل[٢].

تبين لنا مما دونه الوزان عن اسواق فاس ما يلي:-

انها اسواق تخصصية وقدم احصائيات عن اعداد الدكاكين التي تحتويها هذه الاسواق التخصصية. وهي تشمل اسواقاً مهنية وحرفية. وقد ضمت الاسواق المهنية اسواقاً للتجار الكبار والصغار وعلى مختلف اختصاصاتهم من تجار الاقمشة المتنوعة ومنها المحلية والمستوردة الى تجار المصنوعات النحاسية والخزفية والجلدية والنسيجية وغيرها وباعة الاطعمة المتنوعة والمنتجات الغذائية المتنوعة وحتى باعة الزهور.

والواقع ان الاسواق في المغرب الاقصى منتشرة في كل مدينة كبيرة وفي احصائية اولية عن المدن التي تحتوي اسواقاً في المغرب الاقصى منها مدينة ازلي[٣]، وسوق مطماطة مسكور وهو بلد كبير على نهر ملوية[٤]، ومدينة مراكش وصفت اسواقها بـــ"اسواق مختلفة وسلعها نافقة، سوق الدخان والصابون والصفر والمغازل"[٥]، وهذا يدل على التخصص في اسواق مراكش.

اما مدينة سجلماسة فقد ذكر ابو الفدا بان لها "اسواق جليلة"[٦]، ووصف ابن الوردي هذه الاسواق بقوله " يسير السائر في اسواقها نصف يوم فلا يقطعها[٧]، وهذا ما يشير الى اتساع اسواق سلجلماسة وهذا يرجع الى كون المدينة محطة للتجار من شتى البلدان ومدخلاً لبلاد السودان الغربي. ومن الاسواق التي وصفها الادريسي هي اسواق مدينة سلا قائلاً: "لها اسواق

---

(1) الوزان، وصف، ج١، ص١٩٣.

(2) الوزان، وصف، ج١، ص١٩٣؛ وينظر عن اسواق فاس، بروفنسال ، نحب تاريخية جامعة،ص١٢-٢٤.

(3) ابن حوقل،صورة الارض،ص٧٩؛وينظر الادريسي، وصف،ص١٠٨.

(4) البكري، المغرب، ص١٤٧.

(5) الادريسي، وصف، ص٤٤-٤٥.

(6) تقويم البلدان، ص١٢٥.

(7) فريدة العجائب، ص ١٥؛ وينظر القرماني، اخبار الدول، ص ٤٥٤.

نافقة وتجارات ودخل وخرج"[١]. ومن الاسواق التي جاء ذكرها اسواق مدينة بني زياد في بلاد مكناسة"[٢].

اما مدينة دكالة فيوجد بها "سوق جامعة يحشر اليها الناس ضحى ويتقاطرون من كل مرعى يمثلون في صعيد واحد، وقد خيمت تجارهم وظلوا ولا ينفض الجمع الا مع انقضاء بياض اليوم"[٣]. وهذا يشير الى النشاط الكبير لسوق دكالة. في قرية ماسنة الواقعة جنوب مدينة البصرة لها اسواق[٤]. وفي ايجلي قاعدة بلد السوس " وهي مدينة على نهر كبير .. وعلى هذا الوادي اسواق كثيرة الى البحر المحيط"[٥]. ومدينة تامدلت وصفت بانها كانت "كثيرة العمارة حافلة الاسواق"[٦]، ومدينة سلا عامرة بالاسواق[٧].

ت-اسواق مؤقتة / على الطريق التي تربط مدينة او اكثر من مدن المغرب الاقصى (وهي عادة اسواق الطرق والمراكز التجارية). ففي الطريق الذي يربط بين مدينتي سبتة وفاس في مدينة تسمى بجاجين سوق[٨]، وفي قرى كتامة المتصلة توجد اسواق. وهذه القرى تقع في الطريق بين طنجة وفاس[٩]، ومع الاسف لم نجد ذكراً لانواع هذه الاسواق وتخصصاتها.

وفي الطريق الذي يربط بين مدينتي درعة وسجلماسة، فمديسنة درعة يقال لها تيومتين "وهي مدينة اهلة عامرة واسواقها جامعة ومتاجر رابحة"[١٠]، وكذلك في الطريق التي تربط بين مدينتي اغمات والسوس يسكن الطريق قبائل من البربر يعرفون ببني ماغوس ولهم سوق عامرة.

---

(1) وصف افريقيا، ص ٤٨.

(2) الادريسي، م، ن، ص٥٢؛ الحميري، الروض، ص٥٤٤.

(3) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص ٧٤.

(4) الادريسي، م، ن، ص١٠٨.

(5) البكري، المغرب في ذكر، ص١٦١؛ وينظر الادريسي، م، ن،ص٤٠.

(6) مجهول مؤلف، الاستبصار، ص٢١٣؛ وينظر الحميري، الروض، ص١٢٨.

(7) شيخ الربوه، نخبة الدهر، ص٢٣٧.

(8) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص١١٤.

(9) البكري، م، ن،ص ١١٠.

(10) البكري، م،ن، ص ١٥٥.

ث-اسواق الحصون / كما نجد ان هناك اسواقاً في الحصون، ففي حصن برارة نجد سوقاً يقع في الطريق ما بين فاس وسجلماسة[١]. وفي الطريق بين اغمات وفاس يوجد حصن داي "وهو في وسط غيضة كبيرة من احباس الشجر وله سوق حافلة يجتمع فيها رفاق فاس والبصرة وسجلماسة بضروب الامتعة والمتاجر"[٢].

وفي حصن مغيلة القاط توجد سوق حافلة وهو يقع في الطريق بين فاس وسجلماسة[٣].

ج-اسواق المدن والقرى ذات الانتاج الزراعي والصناعي / الطريق بين اغمات وفاس يمر على سبتة "بلد كبير ويحسن فيه القطن وتوجد فيه سوق لطيفة"[٤]، ونفس الطريق يمر على سوق فنكور "سوق عامرة حافلة يعمل بها برانس سود لا ينفذها الماء"[٥]، وهكذا نجد ان اسواق المغرب الاقصى كانت كثيرة ومتنوعة وهذا يعود الى الازدهار التجاري الذي كان ينعم به هذا الاقليم المغربي.

ح-الفنادق / انتشرت الفنادق في اقليم المغرب الاقصى على وجه خاص وبشكل كبير بسبب الازدهار التجاري فيه، واشارت المصادر الى كلمة فندق بوجه الدقة، لكن المعلومات التي عثرت عليها في المصادر لا تبين لنا كيف كانت هذه الفنادق، ومن القائم عليها وغيرها من المعلومات التي تخص هذا الجانب، وللفندق دور كبير في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب[٦]. وان قدوم التجار من مختلف البلاد وبقاءهم لفترات طويلة استدعى وجود عدد من الفنادق في مختلف مدن المغرب الاقصى من اجل ايوائهم وبضائعهم ومنها ما انشئ في مدينة فاس ايام الادارسة[٧]، وفي عهد المرابطين زاد يوسف بن تاشفين في عدد فنادق مدينة فاس[٨]،

---

(1) البكري، م، ن،ص١٤٧.

(2) البكري، م، ن، ص١٥٤.

(3) مجهول مؤلف، الاستبصار، ص١٩٣.

(4) البكري، م، ن،ص١٥٥.

(5) البكري، م،ن، ص١٥٥.

(6) عثمان،الكعاك،الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط،(جامعة الدول العربية الاسلامية،١٩٦٥)، ص ٦٤.

(7) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ح١،ص٤٣.

(8) ابن القاضي، م،ن،ص٥٠؛ ينظر:كريم لعيبي،اسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري،اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب،جامعة بغداد،١٩٩٧،ص٥٤؛

واشار ابن ابي زرع الى انه في عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م كانت في مدينة فاس "الفنادق المعدة للتجار والمسافرين والغرباء اربعمائة فندق وسبعة وستين فندقاً"[١]،وان هذا العدد هو ما كانت عليه ايام المرابطين والموحدين وقد نهى ابن عبدون ان تكون فنادق التجار والغرباء متقابلة لحمام النساء[٢]، مما يدل على ان انشاء الفنادق كانت له قواعد وانظمة يجب ان يراعيها صاحب الفندق.

ولم اجد في المصادر اية اشارة الى وجود الفنادق في مدينة سجلماسة مع الاسف، لكونها بوابة الدخول الى بلاد السودان، فاننا نفترض وجود عدد لا بأس به من الفنادق كمدينة فاس لايواء التجار القادمين اليها من مختلف الامصار. اما بالنسبة الى فنادق مدينة سبتة فقد ذكرها المؤرخ السبتي فرغم تأخر سنة وفاته فانه قدم معلومات قيمة حول الفنادق في هذه المدينة، فهي تحتوي على ثلثمائة وستين فندقاً[٣]. سبعة فنادق مخصصة لنزول التجار النصارى[٤]، ان وجود هذا العدد الكبير من الفنادق ايام السبتي (ت٨٢٥هـ/١٤٤١م) يدلل على قدم وجود الفنادق في هذا المركز التجاري الحساس والمهم.

المطلب الثاني : اقسام واصناف التجار.

أ- اقسام التجار.

يمكن تقسيم العاملين في التجارة في المغرب الاقصى الى قسمين، وهم التجار المغاربة وغير المغاربة والذين اطلق عليهم ابن حوقل اسم "الغرباء"[٥].

١-التجار المغاربة / اشتغل في التجارة في المغرب الاقصى اهلها من ا لمسلمين وغير المسلمين كما مارس هذا النشاط الاقتصادي اشخاص اعتياديون واخرون من ذوي الثقافة من

الهرفي،سلامة محمد سلمان،دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف تاشفين(دراسة سياسية حضارية)،(بيروت،١٩٨٥)،ص٥٣.

(1) روض القرطاس، ص٤٨.

(2)محمد بن احمد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)،رسالة في القضاء والحسبة،نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب،المعهد العلمي الفرنسي،(القاهرة،١٩٥٥)، ص٤٩.

(3) اختصار الاخبار، ص٨٦.

(4) م، ن، ص٨٦-٨٧.

(5) صورة الارض، ص٦٦.

العلماء والفقهاء[١]، وهذا ما يدل على علو شأن التجارة والمشتغلين فيها في اقليم المغرب الاقصى شأنه شأن بقية اقاليم الدولة العربية الاسلامية. فالتاجر ابو يحيى حمادي بن يحيى ويعرف بالسجلماسي وهو ممن سمع من الفقيه المالكي سحنون (ت٢٣٤هـ/٨٤٦م) "وكان تاجراً"[٢]. والتاجر ابو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م) كان قد "تفقه بالقيروان على جماعة وسمع من شيوخها .. وكان فقيها حافظا للمسائل نظارا على مذهب القرويين .. توفي باغمات"[٣]، وكان مجال اشتغال هذا التاجر بلاد المغرب والاندلس[٤]. التاجر يحيى بن خلف الصدفي من اهل مدينة سبتة يكنى: ابا زكريا "رحل الى المشرق فسمع بمكة: عن ابي سعيد بن الاعرابي كثيرا، ومن غيره، وحدث كثيرا ودخل الاندلس غير مرة مرابطاً في ثغرها، ومجاهدا وتاجرا وتوفي بسبتة"[٥].

التاجر محمد ابو عبد الله بن سعدون بن علي "كان فقيها حافظا نظارا على مذهب القرويين.. اشتغل بالتجارة فطاف بلاد المغرب والاندلس"[٦].

ومن الجدير بالذكر ان التجار المغاربة في المغرب الاقصى كانوا اصحاب ثروات طائلة بسبب انتعاش حركة التجارة، فيها، فتجار مدينة اغمات كان تعداد جمال القوافل التي يرسلونها الى بلاد السودان التي تخص كل تاجر منهم اما مائة او ثمانين او سبعين جملا، ويقومون بوضع العلامات على ابواب المنازل لتدل على مقدرتهم المالية، واشار الادريسي اليهم قائلا: "وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله الا وله في قوافلهم المائة جمل والسبعون والثمانون جملا

---

(1)حسن ،امال محمد، وتسميهم الباحثة اسم التجار الدعاة وتقول ان مثل هؤلاء نشروا العقيدة الاسلامية بالاضافة الى التجارة، "دور الاباضية في نشر الاسلام في بلاد المغرب"، مجلة المؤرخ العربي، ع٥٢(بغداد ١٩٩٥)، ص١٠١-١٠٣.

(2) ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم القيراوني،(ت٣٣٣هـ)، طبقات علماء افريقية وتونس ،تح.علي الشافعي ونعيم حسن(الدار التونسية للنشر،١٩٦٨)،ح٣،ص٢٠٣.

(3) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك،تح.ابو بكير محمود،(بيروت،١٩٦٧)، ح٤، ص٧٩٩-٨٠٠.

(4) القاضي عياض، م، ن،ح٤، ص٧٩٩-٨٠٠.

(5) ابن الفرضي،ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف(ت٤٠٣هـ)،تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس،عني بنشره عزت العطار ،ط٢(القاهرة،١٩٨٨)،ح٢، ص١٩٤.

(6) ابن فرحون،برهان الدين ابراهيم بن علي،(ت٧٩٩هـ)،الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب،تح.محمد الاحمدي،(القاهرة،١٩٧٤)،ح٢، ص٢٣٩.

كلها موقرة ولم يكن في دولة الملثمين احد اكثر منهم اموالا ولا اوسع منهم اموالا وبابواب منازلهم علامات تدل على مقادير اموالهم وذلك ان الرجل منهم اذا ملك اربعة الاف دينار يمسكها من الارض الى اعلى السقف .. فاذا مر التاجر بدار ونظر الى تلك العرص مع الابواب قائمة عدها فيعلم من عددها كم مبلغ صاحب الدار"(١). ومن الواضح ان تجار مدينة اغمات كانوا من التجار الاغنياء في المغرب الاقصى.

وعمل غير المسلمين في النشاط التجاري في المغرب الاقصى فاليهود اشتهروا وخاصة يهود فاس(٢)،"فاس اكثر بلاد المغرب يهوداً منها يختلفون الى سائر الافاق"(٣).وان اليهود كانوا موجودين في درعة وسوس وسجلماسة منذ القرن ٣هـ/٩م(٤)، ومن التجار المغاربة النصارى ايضا(٥).

٢-التجار الغرباء / شكل التجار غير المغاربة جزءا مهما وكبيرا من طبقة العاملين في النشاط التجاري وسماهم ابن حوقل "الغرباء"(٦)، وهم القادمون الى هذا الاقليم من مختلف الامصار والاقاليم.

فقد قدم من بلاد الاندلس عدد كبير من التجار الى المغرب الاقصى وهذا يعود الى قرب المسافة بينهما نذكر منهم التاجر هاشم بن عبد العزيز وزير الامير الاموي محمد عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) بالاندلس كان يتحرف "التجارة من قاصية المغرب سجلماسة"(٧)،

---

(1)وصف افريقيا، ص٤٢-٤٣؛ وينظر ابن الوردي،خريدة العجائب،ص١٦؛ القرماني،اخبار الدول،ص٤٢٨.

(2) مجهول مؤلف، الاستبصار، ص٢٠٢؛ ينظر:زكي عبد الرحمن،تاريخ الدول الاسلامية في الممالك السودانية بافريقيا الغربية،(القاهرة،بلا ت)،ص٢٢.

(3) القزويني، اثار البلاد، ص١٠٢-١٠٣؛ وتمت الاشارة الى ان اكثر سكان فاس حتى قبل بنيانهم هم من النصارى واليهود،مؤلف مجهول،"ذكر مشاهير اعيان فاس في القديم" تح.عبد القادر زمامة، مجلة البحث العلمي،ع٤-٥،(الرباط ١٩٦٥)،ص٩١.

(4) كريمي، ماجدة، "العلاقات التجارية بين السودان والمغرب على عهد المرينيين"، مجلة دعوة الحق،ع٦٩،(المغرب ١٩٨٨)، ص٢٥٤.

(5) هوبكنز، النظم الاسلامية في القرون الوسطى،نقله الى العربية امين توفيق،(الدار العربية للكتاب،طرابلس،١٩٧٧)، ص٦٨.

(6)صورة الارض، ص٦٦.

(7) القرطبي،ابن حيان(ت٤٦٩هـ)، القتبس من انباء اهل الاندلس،تح.محمود علي مكي،(بيروت،١٩٧٣)،ص٦٨-٢٦٩؛ وجبل هذا الامير على جلب الرقيق الاسود فجعل التجار يتقاطرون

والتاجر نزار بن محمد بن عبد الله القيسي (ت٤٢٤هـ/١٠٣٢م) وهو من اهل اشبيلية "جال في بلاد افريقية والاندلس زمانا طالبا للعلم وتاجرا"[١]، التاجر محمد بن ابراهيم بن وهب (ت٤٥٣هـ/١٠٦٣م) وهو من طليطلة كان متحرفاً للتجارة[٢]، اشار ابن خرداذبة الى وصول التجار اليهود الى المغرب الاقصى لاسيما الى مدينة طنجة التي كانت محطة تجارية لهم في طريقهم الى المشرق واطلق عليهم اسم"اليهود الراذانية"[٣]، وقال عنهم انهم يتكلمون عدة لغات وهي "العربية والفارسية والرومية والاندلسية والصقلبية"[٤].

واشار ابن ابي زرع الى ان مسجد القرويين بنته فاطمة وهي بنت تاجر قيرواني وكان بناء المسجد في عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م[٥]، وان لم اعثر على اسماء كثيرة للتجار المغاربة فهذا لا يدل على قلتهم لان الطرق التجارية المنطلقة من المغرب الاقصى الى المغربين كثيرة سواء كانت داخلية او ساحلية ويدل ذلك على النشاط التجاري بين الجانبين، وان التجارة بينهم تقريبا لم تقطع لاي سبب كان. رغم عدم عثورنا على اسماء لهؤلاء التجار كما قدم التجار المشارقة الى المغرب الاقصى فقد اشار ابن الفقيه[٦] الى وجود التجار العراقيين لا سيما البصريين وكذلك اليمنيين خاصة الحميرين في المغرب الاقصى وان اقامتهم فيه كانت طويلة لا سيما تجار العراق وخاصة البصريين حتى وصفوا بـــ"قلة الحنين"[٧].

حاملين معهم اعداد كبيرة من افريقيا السوداء، القادري، ابراهيم، "ازمة التجارة في الاندلس في اواخر عصر الامارة"، مجلة المناهل، ع٣٢، (الرباط ١٩٨٥)، ،ص٢٤٣..

(1) ابن شكوال،ابو القاسم خلف بن عبد الملك الانصاري(ت٥٧٨هـ)،كتاب الصلة،عني بنشره عزت العطار(مطبعة السعادة،القاهرة،١٩٥٥)، ح٢، ص٦٠٦.

(2) ابن شكوال، م، ن، ح٢، ص٥٠٨.

(3) المسالك والممالك، م، ن، ص١٥٣؛ وينظر بحاز ابراهيم، الدولة الرستمية، ص٢١٤.

(4) م، ن، ص١٥٣؛ وينظر يوسف كمال، المجموعة، القسم الثالث، ص٩٤؛ترتون،د.أ.س.،اهل الذمة في الاسلام،تر.حسن حبشي،(دار المعارف مصر،١٩٦٧)، ص١٠١.

(5)

(6) مختصر كتاب البلدان، ص ٥١.

(7) المعري، احمد بن عبد الله(ت هـ)، رسائل ابي العلاء،(اوكسفورد هويس هارت، ١٨٩٨)،ص٧٥.

واكد ابن حوقل [1] (في القرن ٤هـ/١٠م) على اقامة التجار من "الكوفيين والبغداديين والبصريين" سكنوا في مدينة سجلماسة، وهذا ما يدلل على تميز نشاط تجار العراق في المغرب الاقصى خاصة انهم كانوا قد عرفوا بـ"كثرة اسفارهم وطول تغربهم عن ديارهم وتغربهم من اوطانهم"[2].

ولعل ما يغري تجار العراق وتجار المشرق في الاقامة في سجلماسة وهو كونها مركزا تجاريا للقوافل الذاهبة الى السودان الغربي حيث تجارة الذهب الرابحة فيتحملون مشاق السفر وطول الطريق وبعدهم عن الاوطان من اجل هذا على ما يبدو.

وان اندثار الطريق الذي يربط مصر بغانة بسبب الظروف الطبيعية ولصوص الصحراء وهلاك القوافل ادى ذلك الى تركهم الطريق واستخدامهم الطريق الذاهبة الى المغرب الاقصى ومن سجلماسة ينطلقون الى بلاد السودان[3]، هذا يدلل على وجود تجار مصريين قادمين الى المغرب الاقصى ايضا.

ان كثرة التجار الغرباء في مدينة سجلماسة جعل المقدسي يقول ان "سجلماسة .. كثيرة الغرباء موافقة لهم يقصدونها من كل بلد"[4]، ولم تكن سجلماسة وحدها مدينة الغرباء بل كانت اغمات كذلك حيث قال عنها البكري[5] (ق٥هـ/١١م) انها محط للتجار "ينزل التجار الغرباء". ومن الطريف ان نشير هنا ان عبيد الله المهدي (الفاطمي) الذي وصل سجلماسة بالمغرب الاقصى (في اواخر ق٣هـ/٩م) كان متخفيا بزي التجار المشارقة[6]، وهذا ما يدل على ان

---

(1) صورة الارض، ص٦١؛ وينظر سوادي عبد، الذي اوضح في مقالة عن تجار اهل البصرة واشتهارها بتحمل المشاق والصعاب من اهل التجارة،"صلات تجارية بين البصرة والمغرب الاسلامي من القرن ٢هـ حتى اواخر ق ٤هـ"، ص١٥٥-١٦٥.

(2) ابن حوقل، م، ن، ص٩٩.

(3) ابن حوقل، م، ن، ص ٦١.

(4) احسن التقاسيم، ص٢٣١.

(5) المغرب في ذكر، ص ١٥٣.

(6) القاضي،النعمان،بن محمد،(ت٣٦٣هـ)، رسالة افتتاح الدعوة، تح.وداد القاضي،ط١(بيروت،١٩٧٠)، ص١٥٠-١٥٤؛ وينظر العبادي احمد،"السياسية المالية للفاطميين"، المجلد الخامس،ع١-٢، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية،(مدريد ١٩٥٧)،ص ١٩٨.

قدومهم الى المغرب الاقصى كان مألوفا، وان اشتغالهم في تجارة المغرب الاقصى كان متميزا حتى عرفوا بسعة الحال وامتلاك الاموال الطائلة التي لا توصف[١].

واخيرا نستشهد برواية ثبتها البكري تؤكد وجود التجار الغرباء في المغرب الاقصى، وتشير الى عادات وتقاليد سكانها في الترحيب والاستقبال للتجار فهو يقول: ان التجار الغرباء عندما يدخلون مدينة مليلة بالمغرب الاقصى فان اهلها يقومون بعملية قرعة وذلك من اجل حمايتهم "فمن اصابته قرعة الرجل منهم كان تجره (اي يتاجر) على يديه ولم يصنع شيئا الا تحت نظره واشرافه فحميه ممن يريد ظلمه وياخذ منه على ذلك الاجر وياخذ منه الهدية لنزوله عنده"[٢]، من هذا يتضح لنا ان اهل المغرب الاقصى كانت لهم عادات وتقاليد طيبة وراقية في معاملة التجار الغرباء القادمين الى مدنهم.

اما عن النصارى فاشار ابن خلدون الى دخول بلاد المغرب "تجار الامم النصرانية، الواردين على المسلمين بالمغرب"[٣]، وانهم كانوا ذوي سعة حال كبيرة وذلك بامتلاكهم رؤوس اموال ضخمة[٤].

ب- اصناف التجار:-

١-الوسطاء/ ان الوسطاء هم الاشخاص الذين يتوسطون العملية التجارية بين التاجر والمشتري، وهم منتشرون في الاسواق المغربية وهم على نوعين: الاول فقير الحال والثاني متنفذ في الاسواق[٥]،بالنسبة للصنف الاول يضم عدة اقسام منهم البراحون الذين ينادون على السلع في الاسواق[٦]، والدلالات اللائي يحملن بضائع التجار الى المنازل ويتقاضين اجورا عن البيع والقبض ان كان الى اجل وان اشترط ذلك في تعاملهن مع التجار[٧].

---

(1) ابن خلدون، العبر، مج١، ص٦٥١.

(2) المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص٨٨؛ وينظر الحميري، الروض، ص٥٤٥.

(3) العبر، مج١، ص٦٥١.

(4) م ، ن ، مج١، ص٦٥١.

(5) موسى،عز الدين احمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١،(دار الشروق ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٢٨٣-٢٨٤.

(6) الزجالي،ابو يحيى (عاش في القرن ٧هـ)، امثال العوام في الاندلس،ق٣تح.محمد بن شريفة،فاس،١٩٧١،(مطبوع ١٣٢)، نقلا عن عز الدين،النشاط الاقتصادي،ص٢٨٤.

(7) التيفاشي،(ت٦٥١هـ/١٢٥٣م)،نزهة الالباب فيا لا يوجد في كتاب،مخطوط الخزانة العامة بالرباط،رقم ١٢٥٣ك(٢٩)،نقلا عن عز الدين، م، ن،ص ٢٨٤.

اما الصنف الثاني فيتكون من الدلالين والسماسرة الكبار، والسمسار او الدلال من هذا النوع هو الوسيط بين التجار فيما يتبايعونه(١)، وعندهم كان ينزل التجار الغرباء والسفار وعن طريق الدلال او السمسار يستطيع هؤلاء التجار الغرباء تصريف بضاعتهم(٢). وعن علاقتهم بالدلالين يذهب الونشريسي الى القول: ان اهل السوق كانوا يمنعون الدلالين من البيع اول النهار ووسطه لانهم كانوا ينادون على السلعة باقل من الثمن الذي هي عليه في الحوانيت وهذا يسبب لهم خسارة لان المشتري دائما يفضل السلعة الاقل ثمنا مما يؤدي الى اكل اموال الناس بالظلم والغبن(٣).

وظهر نوع اخر من الوسطاء بين التاجر والبائع الا وهم الجلاسون في الفترة المرابطية. بين السفطي ان لهؤلاء الجلاسين حوانيت يتاجرون فيها ويعمل لديهم الدلالون ويتقاسمون الربح بينهم مناصفة(اي بين الجلاسين والدلالين).

وكان لهؤلاء الجلاسين دكاكين للتجارة "الواحد منهم يكتري حانوتا ويفرشها بالحصور ويقعد عليه فيه ويشتري السلع التي تباع بالتقاضي وبالتاخير الى اجل ويستكثر حتى يملأ حانوته من السلع ويبيع منها ما سهل عليه بيعه ويعامل ولو باقل من ثمنها"(٤)، وكان بعض التجار ينزل عند هؤلاء الجلاسين، ولكن صاحب السوق منع نزولهم عند الجلاسين، واباح لهم النزول عند الدلال "لان الجلاس ناجش(٥) والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نهى عن النجش، والدلال

---

(1)ابن عياض(ت٥٧٥هـ/١١٧٩م)،مذاهب الحكام في نوازل الاحكام،الخزانة الملكلية بالرباط،مخطوط رقم٣٩،نقلا عن عز الدين، م، ن، ص٢٨٤.

(2)السفطي،ابو عبد الله محمد(عاش في ق ٥هـ)،رسالة في آداب الحسبة،ع.ح.س كولان وليفي بروفنسال(باريس،١٩٣١)، ص٦٠.

(3) الونشريسي،ابو العباس احمد بن يحيى(ت٩١٤هـ)،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب،اخرجه جماعة من الفقهاء باشراف محمد حجي،دار الغرب الاسلامي،(بيروت،١٩٨١)،ج٥، ص١٩٧-١٩٨؛ وينظر: عن بيع الدلالين بالاسواق، الونشريسي،م،ن، ص٢٢٠.

(4) السفطي، رسالة في آداب الحسبة، ص٥٨.

(٥) النجش: هو ان يزيد في السلعة من لا يريد شرائها يريد بذلك ان ينفع البائع ويضر المشتري، ينظر ابن رشد،محمد بن احمد بن محمد(ت٥٩٥هـ)،بداية المجتهد ونهاية القتصد،(القاهرة،بلا ت)،ج٢، ص١٣٧-١٣٩. وبيع النجش هو المزايدة الصورية لرفع السعر في سلعة افتعالا كما يحدث افتعالا لادخال الغفلة على

ينادي ويطلب الزوائد والتاجر يبيع والمشتري يبتاع ويبتغي الربح ويسقط للجلاس بذلك ما يجوز فيه للتاجر فيكتبه على نفسه برسم الحانوت لكونه اعرف بسوقه (اي بسعره) من التاجر الجالب له وذلك هو سبب النهي عن بيع الحاضر للبادي"[١]،واراد بعضهم التعامل بالنسيئة[ó ó] او بالنقد[٢]. ولذا فقد نهى صاحب السوق الجلاس من الجلوس في الاسواق.

٢-التجار الجوالة / هذا النوع من التجار كان مستقلاً بعمله عن الاخرين[٣]، واقر بعض الفقهاء بتضمينه[٤]، زهؤلاء التجار كانوا يتجولون برأس مالهم كله، ويدخل بلاداً كثيرة في سفرته[٥]. واشار السفطي الى ما كان يحدث لهم خلال سفرهم[٦].والتاجر الجوال نتيجة لطول غيبته فانه كان يواجه قضايا الطلاق وكان يحكم للزوجة بالطلاق وذلك بحكم الاعسار بالنفقة[٧].

٣-الوكلاء / لا بد من القول ان النصوص عن هذا الصنف من التجار نادرة لذا فقد اعتمدنا على نصوص من مخطوطات استخدمها الباحث عز الدين لتعزز نصوصنا.

ان هذا النوع من التجار هو ان يجتمع عدد منهم فيقومون باختيار شخص من بينهم لينوب عنهم في عملية الاتجار حسب تفاق معين او يكون شخص من خارجهم، وقسم من هؤلاء الوكلاء اما يعملون لتاجر واحد او يفتح حانوتا ويخدم كل من يطلبه[٨].

الناس وغشهم ويرى بعض الفقهاء ان مثل هذا البيع فاسد لما يلحق المشتري من ضرر،المصري،عبد السميع،التجارة في الاسلام،(مصر،١٩٧١)،ص١٧.

(1)السقطي، ،م، ن، ص ٥٩.

(ó ó)النسيئة: التاخير.وقيل النسيئة: تاجيل الدين،الشرباصي،احمد،المعجم الاقتصادي الاسلامي(دار الجيل بيروت،١٩٨١)،ص٤٦؛ ربا النسيئة: هو الصيغة الشائعة والتي عرفت في الجاهلية عندما يحل الدين ويعجز المدين عن السداد فيقول له الدائن"تقض او تربى" اي تدفع ما عليك او تزيدني ان امهلتك،عبد السميع،م،ن،ص٢٦.

(2) ابن عبد الرؤوف،احمد بن عبد الله(ت في النصف الاول من ق ٦هـ/١٢م)،رسالة في آداب الحسبة والمحتسب،نشرها ليفي بروفنسال ضمن ثلاث رسائل اندلسية،المعهد العلمي(القاهرة،١٩٥٥)،ص ٨٥.

(3)ابن رشد،ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد(ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، نوازل ابن رشد،مخطوط بالمكتبة الوطنية في باريس رقم١٠٧٢،٢٣و، ١٦٦و، ١٦٨، ونقلا عن عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص٢٨٢.

(4)ينظر نوازل ابن رشد مخ ٢٣و، ٦٦و، ١٦٨و، نقلا عن عز الدين، م،ن، ص٢٨٢.

(5)عياض،فهرسة عياض،مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ١٨٠٧د،١٠٩،نقلاً عن عز الدين،م،ن،ص٢٨٣.

(6) آداب الحسبة ،١٧،٥٨.

(7) الونشريسي، المعيار، ح٣، ص٢٠٢.

(8)نوازل عياض، مخ٣٩و، نقلا عن عز الدين، م،ن، ص٢٨١.

وفي حالة اشتراك جماعة في موضع ما "فقدموا واحدا منهم للبيع عليهم فباع في الموضع دفعة واحدة ولم يعين عند البيع حصة كل واحد من الثمن .. البيع صحيح، ولكل واحد من الثمن بنسبة نصيبه من المثمن، فمن له ربع في التمثيل، ياخذ الربع من الثمن"[١]، وفي نازلة في المعيار وهي " سئل عبد الحق عمن باع سلعة من رجل بمائة على ان يتجر له بثمنها سنة فاجاب: انما يتم ذلك اذا أخرج المشتري الثمن واحضره لينتقل من ذمته الى امانته فتصح الاجارة عليه وليسمى ايضا في اي انواع التجارة يتجر له بها ولا يلزمه ان يتجر في ربحها. وان شرط عليه ان يتجر في ربحها لم يجز ذلك لانه مجهول"[٢].

ويرى الفقيه ابو عمران الفاسي علىالشخص ان يذكر النوع الذي يتجر فيه "ان قصد انواعا من الانواع فذلك، وان لم يعلم لهم مقصد فالظاهر ان له ان يتجر فيما يشاء، ويكون كالمفاوض والوكيل المفوض اليه الا انه يفارقه فيما اجيز للوكيل من التأخير على وجه النظر والاستئلاف"[٣]،والجدير بالذكر ان التجار كانوا يطلقون يد الوكيل في البيع واستيفاء المال[٤].

يتضح من ذلك ان الفقهاء ومنهم ابو عمران كانوا يؤكدون على الوضوح في المعاملات التجارية حيث لا غنى لبائع او مشترٍ ولا بين التجار انفسهم.

٤ -الشركاء / وهو ان يشترك مجموعة من التجار ويرسلون من ينوب عنهم لاحضار البضائع "ان عقدوا الشركة في اصل المال واختلطوا به وهو عين، ثم وقع شراء كل واحد منهم مما يشتريه على ملكه وعلى ملك اصحابه فان هذا لا اعتراض فيه ولا تعقب، لان كل واحد منهم يشتري ما اشتراه لنفسه بحكم ملكه، وبحكم وكالة اصحابه فالجميع طيبة وردية على ملك سائر الشركاء في اصل المال"[٥] اما النوع الرابع فيقصد فيه قيام شركة بين عدة اشخاص (تجار) يوكل امرها الى احدهم فيبيع ويشتري، والبيع واضح بين الاطراف وكان كل واحد منهم حراً بما اشترك فيه من مال. " واصل الشركة في المال لا يقال فيه تمييز حق ولا بيع وانما يعتبر فيه المحاذرة من الوقوع في نَساء او تفاضل"[٦]. ويقصد فيها انه لا تمييز بين الشركاء وهذا الامر يحذر فيه من وجود تفاضل في البيع بين الاطراف او البيع بالنسيئة الذي قد يؤدي الى فقدان حقوق الشركاء.

---

(1) الونشريسي، م، ن، ح٦، ص١٣١.

(2) الونشريسي، م، ن، ح٦، ص ١٨٦.

(3) الونشريسي، المعيار، ح٦، ص٢٠٧.

(4)الونشريسي، المعيار، ح٦، ص٣١٩.

(5)الونشريسي، المعيار، ح٦، ص٣١٩.

(6)الونشريسي، المعيار، ح٦، ص٣١٩.

المبحث الثاني // طرق التعامل التجاري.

المطلب الاول : انواع البيوع.

عرفت اسواق المغرب الاقصى انواعاً عدة من التعامل التجاري منها:-

أ-البيع نقدا او عن طريق وكيل:- وهو ان يعطي التاجر البضاعة الى تاجر او مستهلك فياخذ عنها فورا. اما عن طريق الوكيل[١]. فقد عرفت اسواق المغرب الاقصى هذا النوع وشاع استخدامه .. ومن النصوص التي عثرنا عليها في البيع عن طريق وكيل هو: "كان سفيان بن يعقوب المصمودي قد اوسق عند سليمان الصنهاجي بمرسى مازغين قمحاً وشعيراً على ان يوصله الى مدينة سبتة، ثم عدت على سليمان المذكور امور، فباع القمح والشعير المذكور، من محمد بن عبد الله الانصاري بستة عشر ديناراً من الذهب.. ووصل الان سفيان المذكور الى مدينة سبتة وابتاع محمد عبد الله، وطالبه محمد بالقمح والشعير المذكورين فاقر سليمان بالشراء"[٢]. وكان من حق الوكيل ان يبيع ايضا[٣]. وتتم عملية التحري عن امانة الوكيل بطرائق عدة عن طريق القاضي[٤].

ب-البيع بالحوالة الصكوك:- اشار ابن عبد الرؤوف الى نهي الصرافين عن الحوالة "ويمنع الصرافون من الصرف بالنظرة .. والحوالة"[٥]. ولكن اهل المغرب الاقصى استخدموه ولدينا نص طريف عن ابن حوقل عندما شاهد صكا بمبلغ اثنين واربعين الف دينار في مدينة اودغست على تاجر من مدينة سجلماسة وقد ابدى دهشته الكبيرة لانه لم يشاهد مثل هذا الشيء في كل البلدان التي زارها[٦]. اما بالنسبة للصيارفة فيقول الونشريسي "في الحوالة على الصيارفة والذي ايديهم عقودهم فيه على الربا لان اصحاب الاسواق من الكتابيين.. وغيرهم يدفعون غلاتهم من الدراهم اليهم ويكتبونها عندهم دنانير ويحيلون من يشترون من التجار عليهم بالدنانير ويخاف بعض من يبيع منه من التجار ان لم يقبل حوالتهم بثمن ما يبيعه لهم ذهب على الصيارفة ان

---

(1) ينظر الونشريسي، م، ن، ح٦، ص١٢٩. ح١٠، ص٣١٣.

(2) القاضي عياض، نوازل الاحكام مج، منشور كملحق رقم ٣، ورقة ٢٨و، التعريف، ص ١٤٠.

(3) الونشريسي، المعيار، ح٦، ص٢٨٨.

(4) الونشريسي، المعيار، ح١٠، ص٣٢٥.

(5) رسالة في آداب الحسبة والمحتسب،ص٨٥.وحول استخدام الصكوك ينظر الونشريسي، م،ن،ح٦،ص٢٢٧.

(6) صورة الارض، ص٦١.

يضيع منه عليهم"[١]، ويحذر الفقهاء من التلاعب بالقضايا المتعلقة بالنقود كالصوك التي تصرف الى اجل معين والحوالات التي تاتي من بلدان اخرى، وهكذا فان اكثر التجار كانوا يتعاملون بهذا النوع من البيع. واختلف العلماء في جواز الحوالة على الصيارفة واموالهم[٢]، وهذا من جملة ما كان يحذر الفقهاء منه ومما يلمس منه من ربا.

كان المحتسب يتفقد الصيارفة فان عثر على مراب او ما لا يجوز فعله فانه كان يقوم بـــ"عزره واقامه من السوق. هذا بعد ان يعرفهم باصول مسائل الربا"[٣]. وان اكثر المشتغلين بالصيرفة هم من اليهود في العصور الاسلامية الوسيطة[٤].

وفي مدينة سجلماسة نجد سوقاً للصيارفة[٥]،مما يدل على ان عددهم في هذه المدينة كبير ولخذا فقد انشأوا لهم سوقاً خاصة بهم.

ت-البيع بالمقايضة:- واستخدم هذا النوع كثيرا في التجارة الخارجية لاسيما مع بلاد السودان حيث كان التجار يحملون من المغرب الاقصى سلعهم وبضائعهم ويبادلونها بسلع وبضائع بلاد السودان الغربي فكان الملح يبادل بالذهب[٦]. واشار الادريسي الى تجار المغرب الاقصى الذين يدخلون مدينة تكرور "بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها التبر والخدم"[٧]، وفي مدينة غانة كان التجار يحملون اليهم التين والملح والنحاس مقابل الذهب[٨].

---

(1)المعيار المعرب، ج٦، ص ٣٠٦.

(2)م، ن، ج٦، ص ٣١٥.

(3) ابن الاخوة،محمد بن احمد القريشي(ت٦٤٨هــ)، معالم القربة في احكام الحسبة، تح.محمد محمود شعبان وصديق احمد عيسى(مكان وسنة الطبع بلا)،ص ٣٠-٣١؛ وابن عبدون ايضا نهى عن الصيرفيون عن عمل الربى، رسالة في القضاء والحسبة، ص٥٨.

(4) ما سينون، لويس،"الهيئات الحرفية والمدينة الاسلامية"، تر.اكرم فاضل، مجلة المورد، ع٣ المجلد الثاني (العراق ١٩٧٣)،ص١٢-١٦-١٩.

(5) ابن الزيات، النشوف الى رجال الصوف، ص٧٧.

(6) ينظر البكري، المغرب في ذكر بلاد، ص١٥٨؛ الادريسي، وصف، ص٣،ابي حامد،تحفة الالباب،ص٤٢؛ القرماني، اخبار الدول، ص٤٣٨.

(7) م، ن، ص٤؛ وينظر العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص٤٤؛ القرماني، م، ن،ص٤٤١.

(8) القرماني، م، ن،ص٤٦٧.

ث-البيع بالسلف:- عملية البيع بالسلف تكون نقدا بنقد او نقدا بسلعة. واوضح ابن عبدون ان اختلاف النقود واوزانها في البلد الواحد يؤدي لى الغبن حيث قال: "ان اختلاف السكك داعية الى فساد النقد، والزيادة في الصرف واختلاف الاموال وخروجها عن عادتها"[١].

المطلب الثاني : انواع العملات.

خلال فترة بحثنا كما ذكرنا في الفصل الاول توالى على حكم المغرب الاقصى عدد من الكيانات السياسية المختلفة فكان من الطبيعي ان كل حاكم يحتاج الى النقد وذلك من اجل تثبيت مشروعية حكمه وقوته[٢]. وان المستخدم من النقود في المغرب العربي هو الدينار والدرهم. واختلف في وزنهما في جميع الامصار الاسلامية لانه كان يحق لجميع الامصار الاسلامية سك النقود لتفي بحاجتها الضرورية وصعوبة النقل واختلال الامن[٣]، واشار ابن خلدون الى ان وزن الدرهم الشرعي هو الذي اقر من صدر الاسلام "الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل[ő] من الذهب والاوقية منه اربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير. فالدرهم الذي هو سبعة اعشاره خمسون حبة وخمسا حبة وهذه المقادير كلها ثابتة"[٤].

واشار ايضا الى وزن الدينار "باثنتين وسبعين حبة من الشعير الوسط"[٥]، وشدد ابن عمر بما يجب على الوالي ان يفعله ازاء مرتكبي التزوير في النقود "ولا يغفل النظر ان ظهر في سوقهم دراهم مبهرجة ومخلوطة بالنحاس، بان يشتد فيها ويبحث عن محدثها فاذا به أناله من شدة العقوية وامر ان يطاف به في الاسواق"[٦]،اما انواع العملة المستخدمة في التعامل التجاري في بلاد المغرب الاقصى في فترة بحثنا فهي:-

---

(1) رسالة في القضاء والحسبة، ص٥٨.

(2) المقدمة، ص٢٢٦.

(3) ماسينون، لويس، الهيئات الحرفية والمدينة الاسلامية، ص ١٢.

(ő) المثقال: في شمال افريقيا والاندلس كان المثقال الشرعي الوحيد هو المثقال الذي يزن٤,٧٢٢غم كما هي الحال مع اوزان العملة وبذلك يكون وزن الدرهم الذي يتناسب مع هذا المثقال هو٣,٣غم، هنتس، فالتر،المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري،تر.كامل العسلي(عمان،١٩٧٠)، ص ١٨.

(4) العبر، مج ٦، ص ٤٦٥-٤٦٦.

(5) م، ن، مج٦، ص ٤٦٧.

(6) الونشريسي، المعيار من ضمنه احكام السوق ، مج ٦، ص ٤٠٧.

أ-العملة الادريسية:- هي اول عملة عربية اسلامية ضربت في المغرب الاقصى. لقد عثر ليفي بروفنسال على عملات مختلفة ضربها الادارسة في اواخر القرن ٢هـ/٨م، فقد عثر على قطع ضربت في وليلة (اول مدينة نزلها ادريس عندما قدم الى المغرب الاقصى) وتدغه تحمل التواريخ المتتابعة للسنوات ١٨١هـ/٧٩٧م، ١٨٢هـ/٧٩٨م، ١٨٣هـ/٧٩٩م[(١)]، اما في زمن ادريس الثاني فقد اشار بروفنسال الى ان دراهم ضربت في مدينة العالية (فاس) في سنوات مختلفة من ١٩٨هـ/٨١٣م، الى سنة ٢١٤هـ/٨٣٩م[(٢)].

كانت نقود الادارسة واسعة الانتشار في بلاد المغرب. فقد اشار ابن الابار الى ان الرسول الذي دفعه الخليفة المأمون العباسي الى زيادة الله في القيروان، رجع هذا الرسول بعد ان اعطاه زيادة الله كيساً فيه الف دينار مضروبة باسماء بني ادريس الحسني في المغرب الاقصى[(٣)]. وفي فاس عاصمة الادارسة انشأت دور[(ó)] لسك العملة[(٤)]، واشار ابن ابي زرع انه يوجد في فاس "اثنتا عشرة داراً لسك النحاس"[(٥)].

ب-العملة السجلماسية:- ان اقامة بنو مدرار الصفرية كيانا سياسيا مستقلا لهم في سجلماسة في المغرب الاقصى، كان لا بد ان يتبعه قيامهم بانشاء دور لسك العملة الخاصة بهم، مستخدمين في ذلك ذهب بلاد السودان المتدفق الى عاصمتهم سجلماسة عبر طرق القوافل الصحراوية

---

(1) بروفنسال، الاسلام في المغرب، ص١٦.

(2) بروفنسال، ليفي، الاسلام في المغرب والاندلس،تر. السيد محمود عبد العزيز ومحمد صلاح الدين(القاهرة،١٩٥٦)،ص١٧.

(3) الحلة السيراء، ص١٦٥؛ وينظر ابن الخطيب، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، ص ١٧.

(ó) يعبر لفظ السكة عن معادن متعددة تدور كلها حول النقود التي تعاملت بها الشعوب العربية الاسلامية من دنانير ذهبية ودراهم فضية .. فيقصد بها حيث تلك النقوش التي تزين بها هذه النقود على اختلاف انواعها واحيانا اخرى يعني قوالب السك التي يختم بها العملة المتداولة غير ان المعنى الشائع هو اطلاق كلمة على النقود العربية التي تضرب في دور السك،فهمي،عبد الرحمن،النقود العربية ماضيها وحاضرها(مطبعة مصر،القاهرة،١٩٦٤)،ص ٧-٨.

(4)ابن الحكيم،ابو الحسن علي بن يوسف(ت٧٤٩هـ)،الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة،تح.حسين مؤنس(مدريد،١٩٦٠)، ص ٥١.

(5)الانيس المطرب، ص ٤٨.

التجارية التي تربط سجلماسة بالسودان الغربي حيث مناجم الذهب[1]، وكما فصلنا سابقا. لذا فان ذهب السودان الغربي الذي استورده بنو مدرار كان سببا في جعل عملتهم قوية ومرغوباً بها[2]، في التبادل التجاري.

ولعل ما يدلل على قوتها انها استخدمت في الاندلس من قبل الخليفة الناصر عندما دفع اثمان مواد بناء قصره بالدنانير السجلماسية فقد دفع "على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية ثمانية دنانير سجلماسية"[3]،وضرب الشاكر لله وهو آخر امراء بني مدرار الدراهم في سجلماسة وسميت دراهمه بالشاكرية، وذلك سنة ٣٣٦هــ/٩٤٧م، وكان وزنها ١٩ غم وقطرها ٣٩، اما الدراهم التي ضربها الشاكر لله في سنة ٣٤٠هــ/٩٥١م، فكانت بوزن ٢١ غم وقطر ١٠ او ٤٠[4]. وهذا ما يدل على زيادة قوة العملة السجلماسية.

ت-العملة المرابطية:- كان التعامل في عهد المرابطين يقوم على اساس الدينار الذهبي والدرهم الفضي كما ضرب المرابطون وحدات تعرف بالقراريط والخراريب[5]، لتسهيل عملية الشراء والبيع في الاسواق[6]، وان استمرار تدفق الذهب من بلاد السودان بسبب النشاط لتجاري بين المغرب الاقصى والسودان الغربي عبر الطريق الصحراوي الغربي ايام المرابطين كان له اثره في ضرب الدنانير بكميات كبيرة[7]، وان اقدم عملة مرابطية عثر عليها هي نقود من عهد

---

(1)ينظر:الشيخلي،صباح،تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية،معهد الدراسات العربية(بغداد،١٩٨٤)،"النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن ٥هــ"، ص٣٠-٣٢.

(2) ينظر ابن ا لعطار،محمد بن احمد الاموي(٣٩٩هــ)،الوثائق والسجلات،اعتني بتحقيقه ونشره اب سالميثاوف.كورنيطي،مجمع الموثقين المجريطي:المعهد الاسباني العربي للثقافة(مدريد،١٩٨٣)،ص ١٤٠.

(3)المقربي،ازهار الرياض في اخبار عياض،تح.مصطفى السقلي وآخرون(القاهرة،١٩٣٩)،ج٢،ح٢،ص٢٧٠.

(4) سوادي، دراسات، ص ١٣٢.

(5) الخروبة تساوي وزنا قيراط، اي ١على ٢٤ من المثقال، ويساوي ٠,١٩٥ غم، اما القيراط فيساوي ١على ٢٤ من المثقال، وتتألف من خمس حبات، والحبة تساوي ١ على ١٠٠ من المثقل، اي ٤٤٦% غم وهي تختلف باختلاف وزن الدرهم، هنتسن، المكاييل والاوزان، ص٢٥-٤٠.

(6)ابو مصطفى، كمال السيد، تاريخ الاندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين(مطبعة الاشعاع الاسكندرية،بلا ت)، ص ٣١٤-٣١٥.

(7) الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي(السياسة المالية)، (دار منقحة الغرب الاسلامي ١٩٨٦)، ص ١٠١.

الامير ابي بكر بن عمر المتوني، التي ضربت سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، في سجلماسة وكانت هذه العملة دينارا مرابطيا وضع عليه اسم الخيفة العباسي[١].

اما عن الكتابات على الدينار المرابطي فبالنسبة للوجه الاول نجد في الدائرة المركزية اربعة اسطر متوازية تضم شهادة التوحيد والرسالة المحمدية في سطرين:

لا أله الا الله

محمد رسول الله

ثم لقب واسم الامير المرابطي في سطر واحد:

الامير ابو بكر

واسم ابيه في السطر الاخير:

بن عمر

وفي الدائرة قوله تعالى: "ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين"[٢].

اما كتابات الوجه الثاني ففي الدائرة المركزية اربعة اسطر متوازية لكل سطر كلمة واحدة في الثلاثة اسطر الاولى:

الامام

عبد

الله

وفي السطر الرابع اللقب في كلمتين:

امير المؤمنين

اما الدائرة ففيها البسملة وموضع السك وتاريخ الضرب، وقد ضرب هذا الدينار سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[٣]، اما الدرهم وهو عملة فضية ولا يحمل اسم موضع السك ولا تاريخ الضرب الا في القليل النادر[١].

---

(1) الجنحاني، م، ن، ص١٠٢؛ سليمان،احمد السعيد،تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة(مصر،١٩٦٩)،ص ٥٠.

(2) سورة آل عمران/الآية ٨٤؛ الجنحاني، السياسية المالية، ص١٠٣؛ وينظر: علوي،حسن حافظي،جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود،مجلة المناهل،ع٥٦(الرباط،١٩٩٧)،ص٣٦١-٣٦٢.

(3) علوي، جوانب، ص ٣٦٢.

اما الامير يوسف بن تاشفين فقد سك نقودا وهي الدينار والدرهم ونقش على الدينار ما يلي: "لا أله الا الله محمد رسول الله وتحت ذلك امير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب على الدائرة قال تعالى: "ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين"[٢]، وكتب على الوجه الثاني "عبد الله امير المؤمنين العباسي" وعلى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكه"[٣].

اما بالنسبة الى اوزان العملة المرابطية من الدنانير وانصافها وارباعها فالجدول الاتي يوضحها:

النوع	الوزن	القطر
الدينار	من٣,٩- ٤,٢٠غم	٢٥ملم
نصف دينار	٢,١٠غم	١٥ملم
ربع الدينار	١,١٠غم	١٥ملم

اما العملة الفضية المرابطية واوزانها كما في الجدول[٤]:

النوع	الوزن	القطر
الدرهم	من٠,٧٢الى غم	من١٠الى الملم
نصف الدرهم	٠,٥٠غم	٧ملم
ربع الدرهم	١,٠٨ غم	٦ملم
ثمن الدرهم	٠,٠٨غم	٦ملم

وقد خضع كل من الدرهم والدينار الشرعي الى تغييرات كبيرة خلال العصور التاريخية[٥].

(1) علوي، م ، ن، ص٣٦٢-٣٦٣.

(2) سورة آل عمران/ الآية ٨٤.

(3) عبد العزيز عبد الله، الموسوعة للاعلام، ح١، ص ١٢٥.

(4) علوي، جوانب، ص ٣٦٦.

(5) الحسني،محمد باقر، تطور النقود العربية الاسلامية،ط١(بغداد،١٩٦٩)، ص ٥٢.

وضربت السكة المرابطية في عدد من مدن المغرب الاقصى فالعملة الذهبية نجد دور سكها في سجلماسة، اغمات، مراكش، سبتة، نول لمطة وسلا[١].

اما الدور التي ضربت فيها الفضية فاهمها هي مدن: مكناسة، سبتة، طنجة، سلا، سجلماسة، وفاس[٢].

واصبح الدينار المغربي المرابطي نقداً دولياً، ويتضح ذلك من خلال حمل التجار له وانتشاره في العالم الاسلامي وتمتعت العملة المرابطية بصورة خاصة بثقة كبيرة في مجال المبادلات الخارجية، وقد شاهد الرحالة ناصر خسرو في مصر استخدام العملة المرابطية قائلا: "وقد رأيت مقراضا في مصر صنع تنيس، ثمنه خمسة دنانير مغربية"[٣]. واضاف ايضا"واجرة الدكاكين في مصر عشرة دنانير مغربية"[٤]، واشار ابن الاثير الى انه في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، كان بمكة غلاء شديد وبلغ الخبز عشرة ارطال بدينار مغربي"[٥]، كما امر الخليفة في بغداد سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، بترك التعامل بالدنانير المغربية[٦]، كل هذه النصوص تدل على قوة العملة المرابطية واشار ابن عبدون حول عمل الصرافيين وبيعهم للعملة قائلا: "يجب ان ينهى الصيرفيون عن الربا، وان لا يجري في البلد الا سكة البلد وحدها، فان اختلاف السكك داعية الى فساد النقد، والزيادة في الصرف، واختلاف الاحوال، وخروجها عن عاداتها يجب ان يكون في الصرف رجل مثيل خبير"[٧]. ولم تعمل الكيانات السياسية الحاكمة في المغرب الاقصى على توحيد العملة حتى المرابطين[٨]، ومن ذلك يتبين لنا ان اختلاف الوزن وكثرة العملات التي تضرب كان يؤدي ذلك الى حدوث الغش في النقود وهذا ما كان يستفيد منه الصرافون.

---

(1) علوي، م، ن، ص٣٦٧.

(2) علوي، م ، ن، ص٣٦٧.

(3)ناصر خسرو،ابو معين الدين ناصر(ت٤٣٨هـ)،سفرناقه،نقلها الى العربية يحيى الخشاب،ط٣،(بيروت،١٩٨٣)، ص٨٠.

(4) م، ن، ص ٨٨.

(5)ابن الاثير،عز الدين ابو الحسن علي(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ،(دار صادر للطباعة والنشر بيروت،١٩٦٦)، مج٩، ص ٦١٤.

(6) م، ن، مج٩، ص٤٥٢؛ وينظر فنر الحضارة الاسلامية،ح١، ص٣١٨.

(7) رسالة في القضاء والحسبة، ص ٥٨.

(8) ينظر الزهري، الجغرافية، ص ١٠٩.

المطلب الثالث : الاوزان والمكاييل والمقاييس.

تتأتى اهمية النظر في الاوزان والمكاييل في المجتمع الاسلامي من عدة جوانب لكونها تعكس جملة قضايا اجتماعية واقتصادية ودينية ذات صلة وثيقة بحياة المسلمين وكان هذا الاهتمام مصدره ما ورد في القرآن الكريم[١].

فالاوزان والمكاييل في بلاد المغرب اشار المقدسي في ق ٤هـ/١٠م، الى ان "الارطال[ő] كانت بغدادية في الاقليم كله (المقصود اقاليم المغرب الثلاثة) الا الذي يوزن به الفلفل فانه يشف (اي ينقص) على البغدادي بعشرة دراهم والان هو المستعمل في اعمال الفاطمي بالمغرب كله، والمكاييل ففي القيروان اثنان وثلاثون ثمنا والثمن ستة امداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم"[٢].

ان هذا الاختلاف داخل حدود بلاد المغرب يؤدي الى مشاكل بين البائع داخل السوق ويسمح بالغش والتلاعب، لذا نجد ان بعض المتعاملين ينصوص في وثائق البيع والشراء على نوع الكيل او الوزن[٣].

اما عن المكاييل والاوزان المستخدمة في المغرب الاقصى فقد ذهب البكري في ق٥هـ/١١م، الى ان الاوزان هي: الاوقية والقنطار[ő] والرطل ومن المكاييل المد، الصحفة، القنفل وخصص البكري بعد ذلك كلامه عن بعض المدن في المغرب الاقصى فمدينة مليلة "كيلهم يسمونه المد[őő]، وهو خمسة وعشرون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(1)قال تعالى: "يا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط" سورة هود الآية ٨٥. وقوله تعالة: "ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون .." سورة المطففين الآية ١-٤.

(ő) الرطل البغدادي= ١٣٠ درهما ٤٠٦,٢٥ غم، هنتس ، المكاييل، ص ٣١.

(2) احسن التقاسيم، ص ٢٤٠.

(3)ينظر نوازل ابن رشد مخ٤٣و، ١٣٦و. نقلا عن عز الدين ، النشاط، ص ٢٩٧.

(ő) القنطار: كان يساوي ١٠٠ رطل، واذا اطلق على الذهب فيساوي (١٠،٠٠٠ دينار) ويساوي ٤١,٣٣ كغم من الذهب، هنتس، المكاييل، ص٣٢٩.

(őő)والمد:بالضم مكيال وهو رطلان او رطل وثلث او ملئ كف الانسان المعتدل اذا ملاءهما ومد يده بهما، وبه سمى مدا، ضياء الدين،محمد،الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية،ط٣(دار المعارف،مصر،١٩٦٩)، ص ٣٢٩.

ورطلهم(ó ó ó) مثل رطل نكور اثنتان وعشرون اوقية(ó)، والاوقية خمسة عشر درهما وقنطارهم من جميع الاشياء بهذا الرطل والدرهم بها عدة قراريط كل قيراط خمسة اثمان درهم"[١].

ووجدت اشارة واضحة عند السفطي حول الاوزان في مدينة سبتة "ويصدق القفيز السبتي وعدد اقداحه اربعون قدحاً من القمح العامري اذا كان املس رقيق البشرة مغلوق القناة يابسا بطرحه للطحن اربعة وخمسين ربعا"[٢].

اما عن الكيل في مدينة نكور فقد سجل البكري قائلا: "كيل نكور يسمونه الصحفة وهي خمسة وعشرون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم ويسمون نصف الصحفة السدس والرطل عندهم في جميع الاشياء اثنتان وعشرون اوقية وقنطارهم ماية رطل ودراهمهم عدد بلا وزن"[٣]. وفي مدينة اصيلا كان "كيلهم يسمى مدا وهو عشرون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم مثل الفنقة القرطبية وكيل الزين يسمونه قليلة وهي ماية واثنتا عشرة اوقية ففي القنطار عشرون قليلة"[٤].

اما في مدينة فاس "مدهم يسع من الطعام ثمانين اوقية ومدهم يسمونه اللوح وفيه من هذا المد ماية وعشرون مدا وجميع المأكولات من الزيت والعسل واللبن والزبيب يباع عندهم بالاواقي"[٥].

(ó ó ó)الرطل: وهو وحدة وزن، وهو اكثر وحدات الوزن استعمالا، وكان يساوي ١٢ اوقية ويساوي كذلك ١/ ١٠ من القنطار وهو يختلف من بلد الى اخر، فمثلا في بلاد المغرب كان يساوي ١٤٠ درهما اي اصبح له في القرنين ١١ عشر و ١٢عشر وزن موحد هو ٤٣٧,٥ ،هنتس، المكاييل، ص٣٦.

(ó)الاوقية: هي وحدة وزن متداولة في توزين البضائع والوزن الشرعي لهما يساوي ٤٠درهما، ويساوي ١٢٥ غم ومن بلاد المغرب كانت تساوي ١٢ درهما اي ٣٧,٥ غم ، هنتس، م، ن،ص١٩. الاوقية في فاس١٣ و ١ /٣ درهم، هنتس، م،ن،ص٧٣.

(1) المغرب في ذكر، ص٨٩؛ وينظر: القبال، موسى،الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي(نشأتها وتطورها)،ط١(الجزائر،١٩٧١)، ص٧٦.

(2) آداب الحسبة، ص٢٨-٢٩.

(3) المسالك والممالك، ص٩١.

(4) م، ن، ص ١١٢-١١٣.

(5)م، ن، ص ١١٧.

وعن مدينة سجلماسة يقول البكري: "وقمح رقيق صيني يسع مد النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين الف حبة ومدهم اثنا عشر قنقلا والقنقل ثماني زلافات والزلافة ثمانية امداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم"[١]، واشار ابن الزيات الى كيل الصحاف المستخدم في المغرب الاقصى فقال: "رفعت من حرثي ثماني صحاف من الشعير بالصحاف الهسكورية فاكلت منها وعيالي وعلفت دوابي واطعمت اضيافي سنة كاملة"[٢].

ونتيجة لاختلاف الموازين والمكاييل المستخدمة في مدن المغرب الاقصى كما عرفنا من الروايات السابقة ادى ذلك الى الغش فقد اشار ابن عبدون واكد على ان المكاييل المستخدمة للطعام يجب ان "تكون اجنابه مرتفعة ازيد من شبر، فان القصير الجنب يقدر فيه على السرقة والخديعة، ويحمل وزن ربع الميزان، فيكون الربع يحفظ القدح، والقدح يحفظ الربع، والذي وجب ان يصنع في كيل الحنطة وحدها ان تمد حديدة على وسط فم القدح، مستمرة من الجانبين في وسطها طاج العدل ان يحمل ربعا"[٣]، اما ما يخص الارباع والصنوج "يكون منها عند الامين مثالات من حديد معدلة، مطبوعا عليها. ارباع الكيل: يجب ان تكون طوابعها في اعناقها ضيقة فان الواسعة تحمل في عرض اصبع منها زيادة كثيرة، ويجري الكيل فيها على العادة القديمة"[٤]، وهناك موازين خاصة لكل بضاعة منها وباعة الفاكهة واللحوم وغيرها[٥]. وسجل ابن عبد الرؤوف ملاحظات حول كفات الموازين ومما تصنع قائلا: "تكون الكفات من حديد او نحاس، فانها اسلم من الزيادة والنقصان فان لم يجد فمن العود وهي افضل من كفات الحجارة فانها تلصق فيها الاشياء اللزجة في حال الوزن فتثقل. ويؤخر بمسحها في كل وقت وعند كل وزن ولا يتركونها حتى تتلطخ وتثقل فيغشون بذلك"[٦]، وبالرغم من هذا التشديد في مراقبة الموازين والمكاييل فقد كان الغش موجوداً على ما يبدو وقد اشار السقطي الى استخدامهم طرائق متعددة للغش منها على سبيل المثال: "منهم من يعد صفيحة رصاص تكون زنتها ثلاث اواق او ازيد ويدهن وجهها بالشحم المخلوط فيه الزيت فاذا جاء من يشتري يلصق تلك القطعة بيده اليسرى في باطن الكفة ويزن بها كذلك فينتقص المشتري من كل وزنة ثقل الرصاص المذكور فاذا اكمل قصده

---

(1) م، ن، ص ١٥١؛ وينظر القبال، الحسبة المذهبية، ص ٧٧.

(2) التشوف الى رجال التصوف، ص٣٨٣.

(3) رسالة في آداب الحسبة، ص٣٩٠؛ابن عبد الرؤوف، رسالة في الحسبة، ص١٠٦-١٠٧.

(4) ينظر ابن عبدون، م، ن، ص٣٩.

(5) ينظر ابن عبدون، م، ن، ص٤٠-٤١.

(6) رسالة في الحسبة، ص ١٠٧.

انتزعها ولا يشعر به ولا يلقيها في الارض بين يديه الى حين يحتاج اليها"[1]، ومن المؤكد ان هناك اساليب اخرى استخدمها المتلاعبون من اجل الغش والكسب الحرام.

المطلب الرابع : الاسعار.

لم نعثر في مصادرنا التراثية على تدخل الكيانات السياسية في المغرب الاقصى خلال فترة الدراسة في فرض التعسيرة على البضائع المتداولة في الاسواق. وكذلك لم تمدنا هذه المصادر باحصائيات واضحة ودقيقة عن اسعار السلع والبضائع في اسواق المغرب الاقصى، مع ذلك سوف نعرض ما وجدناه يخص هذا الموضوع من قريب او بعيد.

وصف لنا ابن حوقل الاسعار في المغرب قائلا: "انها غاية الرخص في الاطعمة والاغذية والاشربة واللحمان والادهان ولهم من جيد الفواكه والتمور والارطاب وسائر الاغذية"[2]، وخصص مدينة فاس بقوله: "وجميع ما بها من الفواكه والغلات والمطاعم والمشارب والتجارات .. فزائد على سائر ما قرب منها"[3]، ومدينة سجلماسة "وليس بالمغرب كله بلد اجمع ولا ناحية اوفر واغزر واكثر خيراً منها"[4].

ان مثل هذه النصوص تشير الى رخص الاسعار لتوفر السلع والبضائع ورخاء الاحوال تبعا لذلك.

اما ابن ابي زرع فقد تكلم عن الرخاء بالمغرب الاقصى ايام الادارسة خلال السنوات ٢٠٨-٢٤٨هـ/٨٢٨-٨٦١م، فقد حدد لنا اسعار المواد الغذائية في تلك الفترة قائلا: "كثرت الخيرات بالمدينة وظهرت البركات فكان الزرع فيها ايام ادريس وايام ذريته لا يباع ولا يشترى لكثرته مبلغ وسق القمح بها في ايامهم درهمان ووسق الشعير بدرهم والقطينة ما لها سوم، والكبش بدرهم ونصف والبقرة باربعة دراهم والعسل خمسة وعشرون رطلا بدرهم والفاكهة لا تباع ولا تشترى من كثرتها، دام ذلك خمسين سنة"[5]، واضاف وهو يصف رخاء الاسعار في

---

(1) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٩٧-٩٨.

(2)

(3) من ن، ص٩٠-٩١.

(4) م، ن، ص٩١.

(5) الانيس المطرب، ص٥٠.

مدينة فاس قائلا: "ثلاثة دراهم للوسق(ό) واقل واكثر "(١)، اما البكري الذي كتب في القرن ٥هـ/١١م وهو يتكلم على مدينة ورزيغة الواقعة على الطريق بين مدينة اغمات ومدينة فاس انه كان يباع فيها "الف حبة اجاص بربع درهم"(٢)، وفي مدينة اغمات يباع التفاح بـــ"وقربغل بنصف درهم"(٣)، ووصف اسعار مدينة اغمات انها "راخي (رخيصة) الاسعار"(٤).

اما اسعار المواد الغذائية في منطقة السوس الاقصى في القرن ٥هـ/١١م فوصفت بانها: رخيصة وخصوصاً التمر فقد "بيع حمل التمر بها بدون كراء الدابة من البستان الى السوق"(٥)، وهذا يدل على رخص التمر لان الدابة التي تحمله اجرتها اغلى من التمر الذي يحمل الى السوق. اما قصب السكر المتوفر في السوس فكان "اكثر شيء بها يحمل الرجل بربع درهم منه ما بوده حمله"(٦)، "وقنطار سكرها يبتاع بمثقالين"(٧).

اما اسعار الالبسة فهي تختلف من مدينة الى اخرى ويتحكم باسعارها المادة المصنوعة منها فعلى سبيل المثال في مدينة سجلماسة بلغ سعر الثوب ذي الصوف الجيد بـــ"ازيد من عشرين مثقالا"(٨)، كما يجب ان نضع تحت نظرنا ان من الامور التي تحكمت في اسعار بلاد المغرب هي قضية ما كانت تمر به تلك البلاد من سنوات قحط او رخاء فعلى سبيل المثال في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م، وصف بـــ"الرخاء المفرط فكان الزرع لا يجد من يشتريه لكثرته وكان الحراثون يتركون في فدادينهم ولا يحصدون لرخصه"(٩)، ووصفت ايام حكم دوناس المغراوي

(ό) الوسق: ستون صاعا، بصاع النبي صلى الله عليه وسلم وآله، ابن سلام،ابي عبيد القاسم(ت٢٢٤هـ)،كتاب الاموال صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي(مطبعة عبد اللطيف،القاهرة،١٣٥٣هـ)،ص٥١٧؛ وينظر القلقشندي، صبح الاعشى،ج٥،ص١٧٢.

(1) ابن ابي زرع، الانيس، ص ٩٦.

(2) البكري ، م، ن، ص١٥٥.

(3)البكري ، م، ن، ص١٥٣.

(4)البكري ، م، ن، ص١٥٣.

(5)البكري ، م، ن، ص١٦٢.

(6)البكري ، م، ن، ص١٦٢.

(7)البكري ، م، ن، ص١٦٢.

(8)البكري ، م، ن، ص١٤٧.

(9) ابن ابي زرع، م، ن، ص١٠٢.

بفاس سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، بــ"كانت ايامه دعة وهدنة ورخاء كثير"[١]، اما عن سنوات القحط التي تعود في الغالب الى الكوارث الطبيعية التي شهدتها بلاد المغرب الاقصى فكان لا بد ان يرافقها غلاء بالاسعار لشحة السلع والمواد.

فعلى سبيل المثال في سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، "عم الغلاء والقحط جميع بلاد المغرب .. وباء عظيم مع غلاء السعر وعدم الاقوات"[٢]، وفي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م، كان في بلاد العدوة مجاعة عظيمة وغلاء كثير وبلغ "مد القمح ثلاثة دنانير"[٣]، وفي سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م، حكم بني مغراوة في فاس وبسبب الحروب فانه "غلت الاسعار واشتدت المجاعة"[٤]، وكذلك "بلغ الدقيق بمدينة فاس وغيرها من البلاد المغربية القريبة منها اوقية بدرهم"[٥].

المطلب الخامس : انواع الضرائب.

فرضت الدولة العربية الاسلامية منذ وقت مبكر ضرائب على العاملين في البيع والشراء في الاسواق، وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) نجد ان العشور كانت تجبى من اهل السوق[٦].

وكذلك في زمن الدولة الاموية فقد فرض المكس على المبيعات داخل المدينة والعشور على المستوردات[٧]، وقد الغى الخليفة عمر بن عبد العزيز المكس بكتاب وجهه الى امير البصرة عدي بن ارطأ[٨].

اما الضريبة المنظمة على الاسواق فكانت قد فرضت لاول مرة في العصر العباسي[١]، والضرائب على الاسواق في بلاد المغرب هي بدون شك لا تختلف في تنظيماتها عما يوجد في

---

(1) ابن ابي زرع، م، ن، ص١١١.

(2) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ٩٦-٩٧.

(3) ابن ابي زرع، م، ن، ص٩٨.

(4) ابن ابي زرع، م، ن، ص١١١.

(5) ابن ابي زرع، م، ن، ص١١٤.

(6) الديار بكري،حسن بن محمد بن الحسين(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)،تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس(المطبعة الوهبية القاهرة،١٢٨٣هـ)، ج٢، ص٢٦٧.

(7) المكس: دراهم كانت تاخذ من بائع السلع في الاسواق قبل الاسم وكل من باع شيئا اخذ منه الخراج او العشر وهو المكس، ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٢٠-٢٢١.

(8) ابو عبيد، الاموال، ص٧٠٢؛ ابن سعد،محمد بن منيع البصري(ت٢٣٠هـ)،الطبقات الكبرى،٨ اجزاء(دار صادر بيروت،١٩٨٥)،ج٥،ص٢٨٣.

اقاليم الدولة العربية الاسلامية الاخرى والذي يهمنا هو الضرائب المفروضة على النشاط التجاري للمغرب الاقصى.

لقد وجدنا معلومات ضئيلة ونادرة احيانا عن الضرائب التجارية في المغرب الاقصى التي تخص فترة بحثنا مع الاسف. ويمكن مما جمعناه من روايات تقسيم الضرائب التجارية الى الضرائب الرسمية وغير الرسمية وثالثة الضرائب الشرعية(الزكاة).

أ-الضرائب الرسمية:-

فيما يخص الضرائب الرسمية، لم اجد في المصادر اية اشارة حول هذه الضرائب في المغرب الاقصى في القرن ٣هـ/٩م، والذي يمكن قوله انه لا بد من وجود نوع من الضرائب التجارية فرضها الادارسة حكام المغرب الاقصى في ذلك القرن ولكن لم تصلنا الروايات الخاصة بها مع الاسف.

اما في القرن ٤هـ/١٠م، فقد سجل ابن حوقل شيئا عن الضرائب التجارية الرسمية في المغرب الاقصى في اثناء كلامه عن مدينة سجلماسة ايام حكمها من قبل بني مدرار الزناتيين فقال: "ولم يزل المعز ايام ولايتها وهو اميرها يجتبيها من قوافل خارجة الى بلد السودان وعشر وخراج وقوانين قديمة على ما يباع ويشترى من ابل وغنم وبقر الى ما يخرج عنها ويدخلها من نواحي افريقية وفاس والاندلس والسوس واغمات"(٢)، من نص ابن حوقل نستطيع القول:

١-ان هناك ضرائب تجارية رسمية تفرض على البضائع الداخلة والخارجة الى بلاد المغرب في القرن٤هـ/١٠م.

٢-ان هذه الضرائب كانت عشر وخراج وكما يصفها ابن حوقل "قوانين قديمة" اي انها في مقاديرها كانت على شاكلة ما كان يؤخذ قبل ايام زيارته للمغرب الاقصى، ولكنه مع الاسف لم يوضح عمق هذا القدم.

٣-من نص ابن حوقل نستطيع القول ان الضرائب التجارية كانت تؤخذ من البائع والمشتري، وهذا يعني ان الضرائب المفروضة على النشاط التجاري في القرن ٤هـ/١٠م، كانت ثقيلة(٣).

---

(1) الشيخلي،صباح ابراهيم،الاصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها(دار الحرية للطباعة بغداد،١٩٧٦)، ص١٥٠-١٥١.

(2) صورة الارض، ص٩٩-١٠٠.

(3) ينظر عز الدين، النشاط الاقتصادي، ص٢٦٥-٢٦٦.

ولعل ما يؤيد ثقل هذه الضرائب التجارية اننا نجد ان القرن ٥هـ/١١م، وبعد انهاء المرابطين حكم الزناتيين فانهم سوف يقومون بتعديل نظام الضرائب التجارية.

فقد اشار ابن ابي زرع انه حال دخول الامير المرابطي يحيى بن عمر اللمتوني الى مدينة سجلماسة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م. (بعد اندفاع المرابطين من صحاراهم الى المغرب الاقصى) [1]، عمل هذا الحاكم، بعد ان اخضع المدينة لسيادة المرابطين بان "ازال المكوس واسقط المغارم ..ترك ما اوجب الكتاب والسنة تركه"[2]، ومما يدلل على ان حكام زناتة في المغرب الاقصى قد اثقلوا كاهل الناس بالضرائب دعوة واستنجاد اهلها، ولا سيما فقهاء سجلماسة لتخليصهم من الحكم الزناتي الجائر، ولذا فان اصلاح الضرائب كان واجباً على المرابطين الداخلين الى بلاد المغرب وفي هذا يقول ابن القاضي وهو يتكلم على الامير المرابطي اللمتوني يحيى بن عمر "وما كان ياخذ الا ما امر الله به من الاعشار والغنائم .. ورد احكام البلد الى القضاة واسقط ما دون الاحكام الشرعية"[3].

وهكذا نجد ان المرابطين قد قطعوا جميع انواع الضرائب التي فرضها حكام زناتة واقتصروا على الزكاة في التجارة وهي الضريبة الشرعية.

ولكن سياسة الاقتصار على الضرائب الشرعية في المغرب الاقصى ايام المرابطين لم يستمر طوال فترة حكمهم. فبسبب الازمة المالية التي مرت بها دولتهم وكان سببها الجهاد العسكري الكبير الذي قامت به تغيرت واشار ابن عبدون الى انه "يجب ان يحد للبواب ما ياخذ ممن يدخل عليه، اذ هي عادة قد جرت"[4]، وهذا يوضح لنا التغيير الكبير في السياسية المالية عند المرابطين فهم ياخذون الضرائب من الداخلين الى المدن وبالتاكيد هذا ينطبق على التجار.

ب-الضرائب غير الرسمية:-

اطلق هوبكنز عليها اسم "خفارة"[5]، والخفارة تكثر في المناطق التي لا تصل اليها سلطة الدولة، ولذا فرضت القبائل الضرائب على القوافل التجارية فمنها قبائل صنهاجة اخذت الضرائب من القوافل التجارية المارة في مراكز استقرارها في الصحراء الى بلاد السودان

---

(1) ينظر حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين،(مكتبة النهضة المصرية،١٩٥٧)،ص٤٠٠-٤٠٢.

(2) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٢٨.

(3) جذوة الاقتباس، ح٢،ص٥٤٥.

(4) رسالة في القضاء والحسبة، ص٣٣.

(5) النظم الاسلامية، ص٩٦.

الغربي "ولهم لوازم على المجتازين عليهم بالتجارة من كل جمل وحمل ومن الراجعين بالتبر من بلد السودان وبذلك قوام بعض شؤونهم"(١)، وكذلك عملت قبائل البرانس الساكنين بين السوس واغمات وفاس ياخذون الضرائب على القوافل التي تمر بهم "ولهم لوازم على المجتازين من فاس الى سجلماسة يلزمونهم على ما معهم من التجارة"(٢)، ولهذا السبب عملت القبائل على حماية القوافل التجارية، لانهم يدفعون لهم رسوماً على ذلك، فضلاً عن انهم يؤمنون لهم الماء والغذاء والعلف للجمال(٣).

ت-الزكاة:-

اوجب النهج الاقتصادي للدولة العربية الاسلامية على التجار القادمين من خارج البلاد ضريبة العشر التي كانت تختلف باختلاف طوائفهم(٤)، "وانما وجبت الزكاة في العروض والرقيق وغيرها اذا كانت للتجارة ..، اما اموال التجار فانما هي للنماء وطلب الفضل. فهي في هذه الحال تشبه سائبة المواشي التي يطلب نسلها وزيادتها ووجبت فيها الزكاة لذلك"(٥). وسئل سحنون في زكاة الغنم التي تشترى للتجارة "رجلا اشترى غنما للتجارى فبارت عليه واقامت عنده سنين أيقومها كل سنة فيزكيها زكاة التجارة ام يزكيها زكاة السائمة كلما حال عليها الحول عنده وجاءه المصدق. (فقال) بل يزكيها زكاة السائمة كلما حال عليها الحول عنده"(٦). وسئل الامام مالك في زكاة تجار المسلمين اذا اتجروا فقال: "نعم: قلت في بلادهم ام اذا خرجوا من بلادهم. فقال: بلادهم عنده وغير بلادهم سواء من كان عنده مال تجب فيه الزكاة"(٧).

اما من التجار الاجانب فقد عثرنا على اشارة مفادها انه كان ياخذ من التجار الروس (الذين هم جنس من الصقالبة) جزية لانهم "يدعون انهم نصارى"(٨).

---

(1) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٠٢.

(2) ابن حوقل، م، ن، ص١٠٢.

(3) كارلتون القافلة، ص٤٩٥.

(4) الكبيسي،حمدان ، "ضريبة العشور" ، مجلة المؤرخ العربي، ع٣٧،(بغداد ١٩٨٨)، ص١٤٨.

(5) ابن سلام، كتاب الاموال، ص٤٢٩.

(6) التنوخي،سحنون بن سعيد(ت)،المدونة الكبرى للامام مالك بن انس(مطبعة السعادة مصر،١٣٢٣هـ)،، ص٣١٤-٣١٥.

(7) م، ن، المجلد الاول، ص٢٧٩؛ والمزيدج ينظر، ص٢٨٠-٢٨١.

(8) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٥٤.

المطلب السادس : الاشراف على الاسواق.

منذ عهد مبكر من تاريخ الدولة العربية الاسلامية ظهر الاهتمام بالاسواق ومراقبة الانشطة الاقتصادية فيها. فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "انه مر بصبرة طعام فادخل يده فيها فنالت بللا، فقال ما هذا يا صاحب (الطعام) فقال اصابته السماء يا رسول الله فقال: افلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشنا فليس منا"[١]، كما نجد في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم واحاديثه اهتماماً بالسوق[٢]، وقد ندب صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة للاشراف على الاسواق، فاستعمل سعد بن سعيد بن العاص (رضي الله عنه) مشرفا على سوق مكة بعد الفتح، واستعمل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على سوق المدينة[٣].

كذلك اهتم الخلفاء الراشدون بمراقبة المعاملات الجارية في السوق[٤]، وياتي ذلك من اجل تطبيق مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والضرب على ايدي العابثين والغشاشين في الاسواق[٥]. واستمر الاشراف والرقابة على الاسواق والعاملين بها طوال العصر الاموي بتعيين موظف سمى "العامل على السوق" واجبه مراقبة عمليات البيع والشراء فيه وما يتصل بها من غش وتدليس[٦].

---

(1) السقطي، رسالة في آداب الحسبة، ص٤٤؛ صباح الشيخلي، الاصناف، ص١٣٩.

(2) ابن بسام،محمد بن احمد(عاش في ق ٨هـ/١٤م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة،تح.حسام الدين السامرائي،(مطبعة المعارف،بغداد،١٩٦٨)، ص١٢-١٣.

(3) بن خياط، خليفة(ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)،تاريخ خليفة،تح.اكرم العمري(النجف،١٩٦٧)، ص٦١.

(4) ابن سعد، الطبقات، ح٧، ص٢٥٦.

(5) للتفصيل ينظر، الشيخلي، الاصناف، ص٣٩-١٤٠.

(6) ينظر ابو عبيد، الاموال، ص٧١١؛ الشافعي،محمد بن ادريس (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)،الام،تصحيح محمد زهري النجار،٨ اجزاء،ط١(القاهرة،١٩٦١)،ح٤، ص٢٠٥.

ومما يبدو فوظيفة العامل على السوق كانت النواة الاولى لوظيفة المحتسب[١]. واول اشارة صريحة الى وجود هذه الوظيفة تعود الى زمن الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور وقد عين عاصم بن سليمان الاحول في الكوفة على "الحسبة في المكاييل والاوزان"[٢].

وللمحتسب واجبات ومهام عدة تتطور مع تطور الحياة المدنية في الدولة العربية الاسلامية، ونذكر من بينها مراقبة اهل المهن والحرف في افعالهم وانشطتهم الاقتصادية في الاسواق فيمنعوا من الغش والتلاعب بالاوزان والمكاييل ومن الغش في البضائع المباعة، والغش في السلع المصنعة، والاهتمام بالانتاج الصناعي ووسائل جودته. فضلاً عن اشرافه على تنظيم ورقابة الاسواق وكذلك على المرافق العامة في المدينة[٣]. وهذا ما نجده في كل اقاليم الدولة العربية الاسلامية ومنها بلاد المغرب[٤].

وفي الكلام حول الاشراف على الاسواق نجد ان يحيى بن عمر (ت) صاحب اقدم كتاب على الاشراف على الاسواق وصل الينا من بلاد المغرب يذكر ان من واجبات الوالي مراقبة الاسواق بما فيها من المكاييل والموازين[٥].

ويجب الاشارة هنا بان القاضي سحنون (٢٣٤هـ/٨٤٦م) صاحب كتاب المدونة. كان من امر بمراقبة الاسواق من حيث انواع السلع فيها وتصرفات التجار، وامر بتغيير المنكر اذ وجب ان يخرج من السوق كل من يغش[١].

---

(1) وهناك شروط يجب ان تتوفر في المحتسب منها "فقيها في الدين قائما مع الحق نزيه النفس، عالي الهمة، معلوم العدالة، ذا اناة وحلم وفهم وعارف بجزئيات الامور وسياسيات الجمهور لا يستنفره طمع ولا تلحقه هوداة ولا تاخذه في الله لومة لائم مع مهابة تمنع من الاذلال عليه، وترهب الجاني لديه" ينظر السقطي،م، ن،ص٥؛معالم القربة،ص٢٥؛ ابن بسام، نهاية الرتبة،ص٣؛ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة،ص٢٠.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج٧،ص٢٥٦.

(3) تنظر كتب الحسبة: الشيرزي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة؛ ابن الاخوة، معالم القربة في احكام الحسبة، ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة.

(4) تنظر كتب الحسبة المغربية: يحيى بن عمر، احكام السوق، ضمن المعيار،ج٦،ص٤٠٦؛ابن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص٨٧-٨٩؛ ابن عبدون، رسالة في الحسبة،ص٥١؛ العقباني، ابو عبد الله محمد بن احمد(ت٨٧١هـ/١٤٦٧م)،تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح.علي الشنوني، (دمشق ١٩٦٧)، ص١٢١.

(5) ينظر احكام السوق، في كتاب: الونشريسي، المعيار، ج٦، ص٤٠٦.

ان الموظف المشرف على الاسواق في بلاد المغرب، كان قد سمي بــ"صاحب السوق" وكان من اهم واجبات الاشراف على الاسواق والمشتغلين فيها، ومن بينهم العاملين في ميدان التجارة، وهم موضع اهتمامنا في بحثنا. فصاحب السوق يتدخل في انواع البضائع والسلع التي يتاجر فيها اهل بلاد المغرب فمثلا نجد فتاوى عن المتاجرة في الصور من العظام (يعني التماثيل) في كتاب يحيى بن عمر فقد اجاب "التجارة في العظام على قدر شبر يجعل لها صورة يتخذها الجواري، فقال: لا خير في الصور"[٢].

وسئل يحيى بن عمر عن "خلط الزيت الردئ بالجديد والسمن الردئ بالجديد هل يحل شيء من ذلك ؟ قال: لا يحل ذلك ولا خير فيه، ..، فان خلط .. واشتراه رجل وهو لا يعلم ثم علم بذلك. قال يحيى: ... فله ان يرد على البائع وياخذ منه الثمن الذي دفع اليه، ويتقدم الى البائع الا يبيع مثل هذا فان نهي مثل هذا ثم باع اخرج من السوق ونهي ان يبيع فيه وهو اشد عليه من الضرب"[٣].

وشمل عمل صاحب السوق ايضا النظر في الابار التي يستفيد منها التجار او العامة "اطولة الابار التي يستقى بها باليد، يزاد في طولها وغلظها ويكون لها مقدار معلوم، وكذلك القفف: يجب ان تكون قفف الطين والتراب مصلبة فهي اقوى وابقى"[٤].

اما الطرق التجارية سواء كانت داخلية او خارجية فلم يغفل صاحب السوق عنها فاشار ابن عبدون الى ذلك قائلا: "يجب ان يؤمر اهل الارباض بحمايتها عن طرح الزبول والاقذار والكناسة فيها، واصلاح المواضع المتطأمنة التي تمسك الماء والطين ويصلح كل احد فناء داره، ويحميه فان كان موضع كثير القنوات يجبر على عمل سرب فيه واصلاحه يجب ان يمنع من له قناة ان يجريها في زمن الصيف في المحائج ويقطع الضرر حيث كان، قديما او حديثا"[٥]، يتبين

---

(1) المالكي،ابو بكر عبد الله بن ابي عبد الله(ت٤٥٣هــ)،رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزادهم وعبادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضلائهم واوصافهم،قام على نشره حسين مؤنس،ط١(القاهرة،١٩٥١)، ج١، ص٢٧٦؛ ينظر موسى لقبال، الحسبة المذهبية، ص٤٣.

(2) الونشريسي، المعيار، ج٦، ص٤١٥.

(3) الونشريسي، م ، ن، ج٦، ص٤١٦.

(4) ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص٣٥.

(5) رسالة في الحسبة، ص٣٧.

لنا انه يجب منع الناس الذين تقع دورهم على الطرق يمنعون من رمي الاوساخ او عمل قنوات لتسريب المياه الى الطرق لان ذلك يضر بالمصلحة العامة.

واشار ابن عبد الرؤوف الى اهمية الطرق وحمايتها من قبل صاحب السوق "يمنع الناس من الجلوس على الطرق والاحداث فيها وعقد المصادع فيها من غير حاجة الا لمأمون خاصة"[١]، ولم يغفل جانب اخر في حماية الطرق الا وهو منع من طرح الازبال وغيرها في الطرق لان ذلك يضر بها وبالناس ايضا، ومنع الحطاب عن حمل الحطب والمشي في الطرق لانها تضر بالناس[٢]، ومنع صاحب السوق من الركوب على الدواب والدخول بها الى الاسواق "يمنع من الناس من الدخول في القيسارية والاسواق على ظهور الدواب .. ويمنع من توقيفها في الطرق الضيقة ومن ارسالها من غير ممسك"[٣].

وبين الجرسيفي ايضا اهمية النظر في الطرق فقال: "ويجب عليه النظر (اي صاحب السوق) في شوارع المسلمين واسواقهم فيما ينجسها او يوعرها او يظلمها او يضيقها كالاجنحة والسوابيط، والبيع في الطرق لما في ذلك من تضييق شوارع المسلمين"[٤].

اما فيما يخص مراقبة الاسعار فقد اشار الجرسيفي الى بعض الباعة الذين يغشون بالاسعار بقوله "ومهما غير سعرٌ لاحد يغشه او رداءته، نصب عليه علما يعرف به ليرتفع الايهام وتظهر فائدة الاحكام"[٥]، من هذا النص يتضح لنا معاقبة الذين يغشون بالاسعار لكي يتعظ الباعة. ومن الملاحظ ان صاحب السوق كان يتخذ له اعواناً يساعدونه في عمله وكان يختارهم "من ثقات اهل الاسواق ووجوه ارباب الصنائع من تعرف ثقته وينفع المسلمين نصحه ومعرفته، يستظهر بهم على سائرهم ويطلعونه على خفي اسرارهم وخبيث سرائرهم حتى لا يختفي من امورهم كثير ولا قليل ولا يستتر من شأنهم دقيق ولا جليل فيزول مكرهم، ويرتفع عن المسلمين غشهم

---

(1) رسالة في الحسبة، ص١١٠.

(2) ينظر ابن عبد الرؤوف، م، ن، ص١١١.

(3) ابن عبد الرؤوف، م، ن، ص١١١.

(4) الجرسيفي،عمر بن عثمان بن العباس(ت في النصف الاول من ق ٦هـ/١٢م)،رسالة في الحسبة،منشور ضمن ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب،تح.ليفي بروفنسال،(القاهرة،١٩٥٥)،ص١٢٢.

(5) رسالة في الحسبة، ص١٢٥.

وضرهم ويتفقد في بعض الاحيان احوال رجاله"[١]، وهذا يدلل على الاهتمام بالاشراف على شؤون الاسواق والعاملين بها في بلاد المغرب.

(1) السقطي، رسالة في الحسبة، ص٩.

الخاتمة:

واخيرا وبعد الانتهاء من كتابة صفحات هذه الرسالة نود القول:

١- هناك جملة من العوامل السياسية والطبيعية تحكمت في النشاط التجاري في اقليم المغرب الاقصى وكانت هذه العوامل سبباً في ازدهاره.

فالكيانات السياسية في المغرب الاقصى بصورة عامة عملت على تشجيع النشاط التجاري لمردوده الاقتصادي الكبير ولحاجتها له في دعم قوتها السياسية فوفرت الامن والاستقرار واهتمت بالطرق التجارية. فقد وجدنا انه حتى في حالات الفوضى السياسية في المغرب الاقصى فان النشاط التجاري لم يتوقف.

ولتنوع التضاريس والمناخ في بلاد المغرب الاقصى وكثرة الموارد المائية اثر بارز في نمو النشاط الزراعي وتنوعه. وان هذا النشاط والتنوع كان له مردود على النشاط التجاري الذي كان اعتماده واضحاً على الانتاج الزراعي.

ان امتلاك المغرب الاقصى لثروات طبيعية عديدة ساعد على قيام صناعات متنوعة كما ساعد الانتاج الزراعي الواسع على ذلك وان هذه الصناعات المتنوعة قد دخلت ضمن عملية التبادل التجاري الداخلي والخارجي فانعشته.

٢- اما عن قائمة السلع والبضائع الصادرة والواردة الى المغرب الاقصى فنقول انها كانت قائمة واسعة وان هناك توازناً في عملية الصادر والوارد فالفائض عن الحاجة من السلع والبضائع كان يصدر الى مدن واقاليم بلاد المغرب والى خارجه وما ينقص بلاد المغرب كان يستورد . يضاف الى ذلك وجود سلع وبضائع استوردها المغرب الاقصى واعاد تصديرها.

٣- امتلك المغرب شبكة من الطرق التجارية البرية والمائية الداخلية والخارجية ربطت مدنه ومناطقه فيما بينها وبالعالم الخارجي وبذلك مارس تجاره نشاطاً واسعاً وبمختلف الاتجاهات.

٤- للنشاط التجاري نظمه في المغرب الاقصى فالاسواق كانت على انواع وتخصصات مما ساعد على ازدهار واتساع النشاط التجاري فيه فمارس التجار المغاربة والغرباء

انشطتهم في الاسواق والمراكز التجارية وفي هذه الاسواق والمراكز نجد ان هناك وسائل متعددة في التعامل التجاري فقد استخدم اسلوب البيع والشراء نقداً وبالمقايضة وبالصكوك والسلف.

٥- فيما يخص الاسعار واشراف الدولة على الاسواق فقد عثرنا على بعض الروايات التي اثبتت لنا ان اسعار السلع والبضائع التجارية كانت رخيصة في المغرب الاقصى بصورة عامة وان الدولة لا تتدخل في تحديد الاسعار.

كما نجد ان الضرائب على النشاط التجاري كانت على انواع لكنها تفرض في حالات خاصة كالازمات كما حدث في فترة من فترات الحكم المرابطي . كما عثرنا ايضا بالجانب الاخر ان الاسواق كانت تحت رقابة الدولة بوجود موظف مختص يسمى (صاحب السوق) وله اعوان يشرفون على الاسواق والعاملين بها فيمنعون التلاعب والغش.

وهكذا فقد دونا صفحة من صفحات تاريخ امتنا الاقتصادي وتوصلنا الى ان كثافة النشاط التجاري في المغرب الاقصى خلال القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية والتاسع والعاشر والحادي عشر الميلادية.

ومن الله التوفيق

الباحثة